

حزب البعث العربي الاشتراكي

ضمن تركيبة المجتمع العراقي

الدكتور

عزو محمد عبدالقادر ناجى





حزب البعث العربي الاشتراكي ضمن تركيبة المجتمع العراقي

الدكتور عزو محمد عبدالقادر ناجي



الدكتور عزو محمد عبد القادر ناجي باحث سوري ولد في مدينة دوما إحدى ضواحي دمشق، مهتم بالشأن الشرق أوسطي والإفريقي،حصل على البكالوريوس والماجستير في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في تخصص العلاقات الدولية من أكاديمية الدراسات العليا في طرابلس والدكتوراه في الدراسات السياسية في تخصص الفكر السياسي والنظام السياسي من معهد البحوث والدراسات العربية في قسم الدراسات السياسية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إحدى منظمات جامعة الدول العربية في القاهرة وله أبحاث منشورة على الحوار المتمدن بما يقرب من ٦٠ بحث علمي في ميادين السياسة والاقتصاد والقانون الدولي وحقوق الإنسان، وله ١٤ كتاب منشورة على موقع البنك العربي للمعلومات أسك زاد، كما نشرت له بعض المواقع الأخرى.

حقق بحثه عن الوحدة الوطنية جائزة التفوق الأولى في جامعة القاهرة ونشر له مركز رعاية الشباب التابع لجامعة القاهرة بحثه.

حصل على المركز الثاني في محاكاة جائزة نوبل التي اشتركت فيها جميع الجامعات المصرية. كما اشترك في نموذج تصحيح العالم ليمثل قضية كوسفو حيث يمثل هذا النموذج ما يمكن أن يكون من أجل الوصول لأفضل السبل في القضية المطروحة، حيث اشترك طلاب من الجامعات المصرية لإنشاء مثل هذا النموذج الذي يحاكي مجلس الأمن والأمم المتحدة. حاصل على شهادة تقدير في القانون الدولي من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.
حاصل على شهادة في مجال حرية الصحافة والإعلام في ظل حقوق الإنسان من كلية الحقوق في جامعة القاهرة.

حاصل على دبلوم في البورصة والأوراق المالية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.
حاصل على شهادة قيادة الكمبيوتر (ICDL) من اليونسكو.

حاصل على عدة شهادات تقديرية من مركز حوار الحضارات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة لمشاركته في فعاليات هذا المركز.



حاصل على عدة شهادات تقديرية لمشاركته في فعاليات مركز البحوث والدراسات السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة .

وحاصل على شهادة تقديرية في مجال مناهج البحث من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.

اشترك في الكثير من المنتديات والمؤتمرات البحثية في مجال الاقتصاد والسياسة والقانون الدولي.

نشرت له مجموعة من الصحف الليبية والمصرية، وبعض الصحف العربية الأخرى إضافة لبعض الجامعات بعض الأبحاث السياسية والاقتصادية.

عضو في المنظمة العربية لحقوق الإنسان.

عضو في المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سوريا.

عضو في اللجنة العربية لحقوق الإنسان.

عضو في منتدى القانون الدولي في جامعة القاهرة

يقوم الآن بإعداد بحث عن العلاقات العربية مع جمهورية جنوب أفريقيا بعد الأبارتهايد ضمن متطلبات إعداد دكتوراه أخرى في جامعة يونيسا في جنوب أفريقيا.



حزب البعث العربي الاشتراكي ضمن تركيبة المجتمع العراقي



الفصل الأول

حزب البعث العربي الاشتراكي

ضمن تركيبة المجتمع العراقي

يقسم هذا البحث إلى مبحثين، فيتناول المبحث الأول: حزب البعث العربي الاشتراكي، من حيث الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي ساهمت في وجوده في كال من سوريا، والعراق،على اعتبار أن تشابه الظروف يولد تشابهاً في الآراء والمعتقدات السياسية، خاصة أن بداية ظهور هذا الحزب كان في سوريا ثم في العراق، لم تكن بعيدة في فترتها الزمنية عن الاتفاقية الإنكليزية الفرنسية حول تقسيم منطقة الهلال الخصب، التي بموجبها انفصل العراق، وسوريا عن بعضهما البعض، مكوناً كل جزء دولة خاصة به، كما سيتناول هذا المبحث عن تاريخ نشوء حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا والعراق،على اعتبار أنه قد بدأ في سوريا، ومن ثم انتقل إلى العراق، وتمتد هذه المرحلة حتى وصول حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في كل من هذين البلدين، ثم يتناول هذا المبحث أيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي، وأهدافه وبرامجه السياسية، إضافة إلى آراء أهم مؤسسي هذا الحزب، وهو ميشيل عفلق الذي فسَّر الكثير من آراء الحزب، وأيديولوجيته، واستراتيجيته، ورغم أن ثمة رفقاء لمشيل عفلق في تأسيس هذا الحزب؛ إلا أنه يبقى المنظر الأساسي للحزب، خاصة وأنه استمر في قيادة الحزب حتى نهاية الثمانينات من القرن الماضي، فكان في معظم مراحل البعث الأمين القومي العام للحزب، كما سيتعرض المبحث إلى بعض المنطلقات النظرية للحزب، تلك التي تهم الدراسة.



أما المبحث الثاني، فسيتناول تركيبة المجتمع العراقي من الناحية الإثنية، والطائفية، والحزبية، والعشائرية، والإقليمية، والطبقية على اعتبار أن المجتمع العراقي يحتوي عدة قوميات في داخله إضافة إلى القومية العربية السائدة فيه، فهو يحوي كل من الأكراد، والتركمان، والآشوريين، والفرس، وغيرها من الجنسيات المستوطنة في العراق، وكل منها لها خصائص مميزة تختلف عن الأخرى، سواءاً باللغة، أو ببعض العادات، والأعراف، كما تختلف بدرجة ولاءها للنظام السياسي القائم، أيضاً يحتوي المجتمع العراقي على طوائف دينية، ومذهبية عديدة، فرغم أن الديانة السائدة في العراق هي الإسلام؛ إلا أن هذا الدين افترق في العراق والعديد من الدول الإسلامية إلى عدة مذاهب أهمها، المذهب السني، والمذهب الشيعي، وكل من هذين المذهبين انقسم إلى مذاهب فرعية، إضافة إلى وجود طوائف دينية أخرى مثل اليهود الذي يعود تاريخهم إلى عهد أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إضافة إلى وجودهم في عهد الدولة البابلية عندما قام ملكها نبوخذ نصَّر بسبيهم إلى العراق، والمسيحيين الذين كانوا في العراق قبل وجود الإسلامي فيه، وكلا الديانتين اليهودية، والمسيحية مقسمة إلى مذاهب دينية عديدة، كما توجد طوائف دينية بعيدة عن هذه الديانات السماوية الثلاث، مثل الصائبة، والعلى اللهية. واليزيدية، والشبك، وكل منها لها طريقتها الدينية الخاصة بالحياة، كما أن المجتمع العراقي، قد حوى أحزاباً عديدة، فتاريخه السياسي قد حوى الكثير من الأحزاب السياسية التي وصل بعض منها إلى السلطة منذ نشأة دولة العراق، قبل حركة البعث الأولى في العراق عام ١٩٦٣، وتحتوي تركيبة المجتمع العراقي على الكثير من العشائر، والقبائل العراقية العربية، والكردية، والتركمانية وغيرها من الأعراق الموجودة في العراق؛ لأن المجتمع العراقي هو مجتمع عشائري، وقبلي، قبل كل شيء، وتتسم كل عشيرة منه بسمات خاصة بها قد تتشابه في بعض السمات مع عشائر أخرى، وقد تختلف بسمات أخرى، كما يتناول هذا المبحث الطبقات الاجتماعية في المجتمع العراقي؛



لأن المجتمع العراقي كان يحوي على ثلاث طبقات اجتماعية، حيث ستتناول الدراسة أهمية كل طبقة في المجتمع العراقي، ودورها خلال الفترة السابقة للدراسة،لأن دراسة دورها قبل فترة الدراسة سيحدد دورها خلال فترة الدراسة، إضافة إلى ذلك سيتناول هذا المبحث عن دور التمايز الإقليمي في المجتمع العراقي، على اعتبار أن المجتمع العراقي يحتوي أقاليم متعددة، جبلية، وسهلية، وصحراوية، وتمايز بين الأقاليم الريفية، والبدوية، وبين الأقاليم المدينية، وتأثير كل منها على سكان هذه المناطق أو الأقاليم.

والغرض من دراسة التمايزات المجتمعية في العراق هو للتعرف على الظروف التي ولد فيها حزب البعث العري الاشتراكي، وكيف استطاع صياغة أيديولوجيته في مثل هذا المجتمع؟ وما هي برامجه السياسية التي اعتنقها في ظل ظروف المجتمع العراقي؟ وفي ظل دولة تتمتع باحتياطات نفط تبلغ ١١٢ مليار برميل من النفط المؤكد الوجود في العراق، حيث يحتل المرتبة الثانية في العالم بعد السعودية في حجم احتياطي النفط، وبحسب التقارير فإن ٩٠ % من نفط العراق لا يزال غير مستكشف، ويقدر النفط الموجود بهذه الآبار الغير مستكشفه ب ١٠٠ مليار برميل، ويتميز النفط العراقي أن تكاليف إنتاجه هي من أدنى المستويات في العالم، وتتركز معظم احتياطات النفط في مناطق البصرة– ذات الأغلبية الشيعية في جنوب البلاد، وفي منطقة كركوك – ذات الأغلبية الكردية والتركمانية– الواقعة شمال غرب البلاد.



المبحث الأول

حزب البعث العربي الاشتراكي

حزب البعث العربي الاشتراكي هو حزب وُلِدَ في ظروف مجتمعية سياسية واقتصادية كان لها دورها الكبير في صياغة أهدافه، وبرامجه السياسية حيث كانت سوريا ما تزال تحت الانتداب الفرنسي، أما العراق فرغم أنه كان قد حقق نوعاً من الاستقلال منذ عام ١٩٣٠، إلا أنه كان مرتبطاً مع بريطانيا بمعاهدة تحد من استقلاله، وتجعله تابعاً سياسياً، واقتصادياً لبريطانيا، فما هي هذه الظروف التي ساهمت في وجود هذا الحزب وما هي تداعياتها على أهدافه، وبرامجه السياسية؟، هذا ما سيوضحه لنا هذا المبحث من خلال بحثه في أيديولوجية حزب البعث وعقيدته السياسية والاقتصادية في تفسيره، وتحليله للمجتمع العربي بشكل عام، والعراقي بشكل خاص، وتفسير هذه الأيديولوجيا على ضوء أفكار منظر البعث ومؤسسه الأول ميشيل عفلق؛ من خلال عرض أهم آراءه حول تناقضات المجتمع، وحلولها من وجهة نظره، على أساس أنه يعتبر المفسِّر الأول والأخير لأيدولوجيا حزب البعث، إضافة لما يهم الدراسة من بعض المنطلقات النظرية للحزب؛ تلك المنطلقات التي صاغتها المؤتمرات القومية للحزب خلال فترات انعقادها.



المطلب الأول

الظروف السياسية والاجتماعية

التي أدت إلى ظهور حزب البعث

منذ رفض العرب لسياسة التتريك؛ التي اتبعتها الدولة العثمانية، بعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨، ومن ثم توافق العرب بجميع طوائفهم الدينية،على تجاوز خلافاتهم حول فكرة القومية العربية، واتفاقهم على برنامج عملي عربي قومي، بدأت الأحزاب القومية في الظهور فكانت كلها تنادي بالقومية العربية، وضرورة قيام كيان عربي موحد، رغم أن الظروف لم تكن مواتية، إلا أنهم سعوا إلى أن تكون لهم شخصيتهم القومية المتميزة في ظل الدولة العثمانية، فقد اشترك قسماً من السياسيين العرب في المؤتمر العربي في باريس في يونيو ١٩١٣، وقرروا الأمور التالية[1]:

١- اشتراك العرب في الحكومة المركزية للامبراطورية العثمانية.

٢- اشتراك العرب يجب أن يكون فعالاً، وليس اسمياً.

٣- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية،والاعتراف بها كلغة ثانية في البرلمان العثماني.

---

(1) شفيق عبد الرزاق السامرائي، **المشرق العربي**: **العراق**، **سوريا**، **لبنان**، بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٠، ص ص ٧٢- ٧٣، للمزيد أنظر:

c. Ernest dawn , **the formation in the inter –war years** , international Journal of middle East Studies , 20 February, 1980,p 80

٤- اقتصار الخدمة العسكرية على حاجات الولايات العربية، باستثناء الحالات العادية.

٥- إقامة نظام لامركزي في جميع الولايات العربية.

٦- مشاركة العرب للأرمن حول نظام لا مركزي مماثل.

ومنذ ذلك الوقت بدأت الآراء القومية تجد لها مريدين في الدول العربية وخاصة تلك الدول التي عانت من التقسيم الاستعماري لها، وهي دول الهلال الخصيب، حيث قُسِّمت هذه المنطقة بين فرنسا، وبريطانيا؛ فكان نصب فرنسا كل من سوريا، ولبنان، أما نصيب بريطانيا فكل من العراق، والأردن، وفلسطين، ورغم ما كان يربط هذه المنطقة ببعضها البعض من روابط سياسية، وعشائرية، واقتصادية، إلا أن نظامي الانتداب الفرنسي والإنكليزي عملا على حل هذه الروابط؛ فنشأت فيها موجات متصاعدة من الصراع الداخلي.

وقد تميزت هذه المرحلة بعدة سمات أهمها(٢):

١- اجتماع القوى الوطنية بغض النظر عن انتمائها الطبقي، وتكوينها الفكري على مكافحة الاحتلال من منطلقات، ومواقف، ومصالح مختلفة.

٢- هيمنة الطابع الإقليمي على الحركات الاستقلالية، وتركيزها على تحقيق الاستقلال السياسي ضمن حدود القطر العربي الواحد.

٣- ظهور وتنامي الشعور القومي مقترناً بوعي قومي خالص اشتراكي.

٤- سيطرة الفئات البرجوازية على قيادة الأحزاب، والمنظمات السياسية.

٥- بدء بروز الطبقة الوسطى عن طريق بعض المثقفين، والضباط، وقيادات الأحزاب، والحركات السياسية.

---

(٢)شفيق عبد الرزاق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٨٣-٨٤ .



٦- بروز دور النخبة المثقفة على حساب المشاركة الواسعة والفعَّالة للجماهير.

٧- إهمال الأحزاب الوطنية التي تتزعمها البرجوازية للمطالب الاجتماعية، وعزلها لطلب الاستقلال، والحرية عن مطلب التغيير الاجتماعي، والتطور الرأسمالي.

وفي هذه الظروف اتسم المجتمع العربي في بنيته الاجتماعية، بعدة سمات أهمها[٣]:

١- هيمنة الظاهرة الاستعمارية، وتأثر المجتمع العربي بتطور النظام الرأسمالي.

٢- طابع التخلف المسيطر على القطاعات الأساسية الثلاث (البدوي، الريفي، المديني) للبناء الاجتماعي، وارتفاع نسبة السكان في القطاعين البدوي والريفي، وانخفاضها في القطاع المديني.

٣- غلبة العلاقات الإقطاعية في الريف، والنمو النسبي للعلاقات الرأسمالية في المدن (البرجوازية التجارية،والصناعية).

٤- بدء بروز الطبقة العاملة،وصعود الطبقة الوسطى (الملاكون، وصغار التجار، وأصحاب المهن الحرة، والمثقفون الوطنيون، والعناصر الوطنية في الجيش....الخ)، خاصة بعد بدء إنتاج النفط العراقي الذي اكتشفت في عام ١٩٢٧، بالقرب من شمال مدينة كركوك العراقية، ثم في بقية أجزاء العراق[٤].

---

(٣) نفس المرجع السابق، ص٨٣.

(٤) Albert Hourani , **Arabic though in the liberal age** , 1997-1939(London . . 1962) chap 2

Also Look: Spotlight on Iraq , qustia, , Vol. 66, 2002



٥- انتشار الأيديولوجيات الليبرالية، والاشتراكية، والفاشية إلى جانب الوعي القومي، ونمو النزعات الاستقلالية، والتحررية.

وعلى هذا الأساس رأى الكثير من المثقفين أن التكامل العربي من خلال الوحدة الاقتصادية العربية، هو الهدف الرئيسي وهو السبيل والأساس المادي للوحدة العربية الشاملة، وإن تجاهل هذه الأهداف يجعل التكامل الاقتصادي بين الدول العربية ليس سوى شكلاً من أشكال التكاملات الاقتصادية العادية التي هي شكل من أشكال التنظيمات الإقليمية؛ للقضاء على التمييز في المعاملة في محيط الدول الأعضاء، وأن السياسة الاستعمارية عمدت إلى تجزئة الوطن العربي؛ من أجل القضاء على الوحدة العربية، واستنزاف ثروات الأمة، والاستفادة من الموقع الاستراتيجي للوطن العربي، وإضعاف الروابط بين اقتصادياته، وربطها بالغرب، والحيلولة دون قيام الصناعات الوطنية؛ إلا بما يخدم أغراضها الاستعمارية(٥).

لهذا كان للنموذج الوحدوي جاذبية كبيرة في الدول العربية، وخاصة في دول الهلال الخصيب؛ بسبب ما تعانيه هذه الأقطار من تشرذم سياسي، وعدم تجانس ثقافي، ووجود الولاءات الطائفية، والقبلية، والإقليمية، فلا وفاق جماعي داخلها في القضايا الأساسية التي تواجهها؛ لذلك رأى الكثير من السياسيين في هذه الدول ضرورة التطلع خلف حدود هذه الأقطار من أجل حل المشاكل المتعلقة بهوية هذه الدول؛ بسبب ما تعانيه من أزمة الهوية داخلها، حيث حاول الاستعمار أن يصنع لها هوية مختلفة عن هويتها الأصلية، وجعلت تلك الهوية عمداً لصالح الأقليات سواء كانت أقليات طائفية، أو عرقية، أو طبقية، أو غير ذلك، لذلك فقد أخفقت

---

(٥) John .F. Devlin, **The baath party: rise and metamorphosis,** London. 1991, **Also Look**: John F. Devlin**. The American Historical Review**, Vol. 96, No. 5 (Dec., 1991), pp. 1396-1407, **Also Look**:

شفيق عبد الرزاق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٧٧-٨٢.



حكومات مابعد الاستقلال؛ التي كانت سياستها قطرية، وإقليمية إلى حد بعيد في جذب مشاعر الولاء، والطاعة من الشعب كله، من هنا كان دور الصفوة السياسية التي جعلت من أولى مهامها البحث عن الهوية الوطنية من خلال إقليم يتجاوز حدود هذه الدول، فكانت مشاريع سوريا الكبرى، أو الهلال الخصيب، أو الوحدة العربية الشاملة، تلك المشاريع التي دعت إلى وجوب وجود هوية جامعة خارج كيان هوية الدولة القطرية[٦].

وكان فشل السياسيين السورين التقليديين، الذين تزعموا نضال الشعب السوري ضد الانتداب الفرنسي في المفاوضات، مع سلطات الانتداب الفرنسي، قد ساهم في سلب لواء الإسكندرونة السوري لصالح تركيا عام ١٩٣٩، كما أنهم تميزوا في فترة ما بعد الاستقلال الرسمي السوري عام ١٩٤٣؛ بعدم القدرة على قيادة هذه المرحلة؛ بسبب نقصهم للكفاءات الإدارية، وعدم قدرتهم على حل المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية، إضافة لعدم قدرتهم على تحقيق التضامن العربي، كبديل لسد عجزهم عن كبح جماح التسلط الصهيوني على فلسطين التي يعتبرها الكثيرين أنها جزءاً من الوطن السوري بشكل خاص، والعربي بشكل عام، كل ذلك أدى إلى ولادة أحزاب جديدة سواء كانت تقليدية، أو يسارية[٧].

كما كان ظهور جماعة مساندة للثورة العراقية عام ١٩٤١، واشتراك عدداً من القوميين السوريين فيها، ودعهما مادياً، خاصة أن هذه الثورة كانت قد دعت لتحرير سوريا، والعراق معاً، مما زاد من مريدي الأحزاب القومية في كل من سوريا،

---

(٦) عادل مختار الهواري، **الصفوة السياسية في الشرق الأوسط**، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٤، ص ص ١٥-١٧.

(٧) أمين أسبر، **تطور النظم السياسية والدستورية في سوريا (١٩٤٦ – ١٩٧٣)**، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٩، ص ص ١٩-٢٠، أنظر أيضاً، حنا بطاطو، **العراق: الشيوعيون، والبعثيون، والضباط الأحرار**، ترجمة عفيف الرزاز، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٢، ص ص ٣٣-٣٤



والعراق، حيث رؤوا أن التجزئة الحاصلة بين الدول العربية، هي تجزئة تحاول أن تكون ثابتة، وشرعية، بخلاف العهود قبل سايكس بيكو[٨].

كما أن وجود الجامعة العربية منذ عام ١٩٤٣، وقيام دستورها منذ عام ١٩٤٥، قد أثار القوميين العرب، الذين رؤوا فيها مؤامرة غربية بريطانية تهدف لمنع تدخل الحكام العرب في شؤون بعضهم البعض، واحترام كل منهم لحدود الدول العربية الأخرى، وإقامة الصلات الدبلوماسية مع بعضهم البعض كما لو كانوا دولاً أجنبية، مما حذا بهؤلاء القوميون إلى السعي؛ لإقامة أحزاب تدعو إلى الوحدة العربية، بغض النظر عن الجامعة العربية[٩].

هذه الظروف اجتمعت مع بعضها البعض؛ لتساهم في ظهور حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا، كحزب رأى أنه قادر على حل تناقضات المجتمع العربي السياسية، والاجتماعية، وعلى قيادة الدول العربية من خلال أيديولوجيته وبرامجه وأهدافه، فما هي الديناميكية التي ظهر من خلالها حزب البعث؟ وكيف استطاع نقل هذه الأيديولوجية إلى العراق؟ وما هي الأسباب التي جعلته يستقطب الكثير من أفراد المجتمع سواءاً في سوريا أم في العراق؟ هذا ما سيبحثه المطلب الثاني من هذا المبحث، حيث سيبحث عن ديناميكية نشوء هذا الحزب في سوريا وانتقاله إلى العراق.

المطلب الثاني

نشوء حزب البعث في سوريا وانتقاله إلى العراق

(٨) حبيب عيسى، **السقوط الأخير للإقليميين العرب**، بيروت: دار المسير، ١٩٧٨، ص٣٤، أنظر أيضاً: أمين أسبر، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٨-٣٠ .

(٩) حبيب عيسى، مرجع سابق ذكره، ص٣٣ .

● البعث في سوريا

كان نشوء حزب البعث في ظل ظروف كان قد عمل فيها الاستعمار الأوروبي على تجزئة الوطن العربي، وإنشائه للحدود السياسية المصطنعة بين الدول العربية، وإضفائه للقدسية التي تحرم التنقل بين الأقطار العربية إلا بإذن مسبق، مما مهد لنشوء وتعزيز التيارات الفكرية، والإقليمية التي تتحرك من قاعدة أن القطر العربي الواحد يشكل أمة كاملة ومتمايزة، وآزرها التقوقع على الذات والابتعاد عن التراث في كل منها، والتخلف الاقتصادي وانتشار الجهل، والنهب الأوروبي لثروات الوطن العربي، من خلال استعماره المباشر، أو غير المباشر، أو من خلال معاهداته التي تقيد الدولة ببنود التبعية الاقتصادية، أو السياسية[١٠].

لكن النشوء العملي لحزب البعث بدأ عندما كان أحد الطلبة السوريين في باريس وهو ميشيل عفلق يدرس هناك منذ عام ١٩٢٩ وكان تأثره بالجمعيات العربية القومية التي كانت في سوريا قبل الانتداب الفرنسي، إضافة لما أثرت به الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ضد الانتداب الفرنسي، مما حذا به – وهو في باريس– إلى الانضمام لجمعيتين عربيتين قوميتين هما: الجمعية العربية السورية، وجمعية الثقافة العربية، وكانت الجمعية الأولى سياسية تطالب بالاستقلال والدفاع عن قضية فلسطين، وتدعو إلى الوحدة العربية الشاملة، أما الثانية فكانت ثقافية تعتمد أسلوب التثقيف من خلال إلقاء المحاضرات التي تتناول أعمال الأدباء العرب القدماء، وتذِّكر العرب بأنفسهم بأنهم أبناء حضارة واحدة، وقد اطلع ميشيل عفلق خلالٍ نفس تلك الفترة على أعمال المفكرين الأوروبيين – إضافة لتأثر أفكاره

(١٠) Michel Aflaq: **The Battle for a Unique Destiny**, p. 185،أنظر أيضاً:هاني الفكيكي، **أوكار الهزيمة: تجربتي في حزب البعث العراقي**، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٣، ص١٥٥.



بعصر التنوير في أوربا – أمثال: دستوفسكي، وتولستوي، وبيرغسون، وأناتول فرانس،وفيختيه،ونيتشه وغيرهم من المفكرين الغربيين الذين يتسمون بالنزعة القومية والاشتراكية، والنازية[١١].

وقد استجاب لأفكار ميشيل عفلق التي اتسمت بالدعوة لإحياء الفكرة القومية في نفوس العرب، عدداً من أصدقائه الذين كانوا معه في الدراسة في باريس، وكان من أهمهم صديقه صلاح الدين البيطار، الذي كان يدرس الفيزياء، بينما كان ميشيل عفلق يدرس التاريخ، لذلك تحالف الاثنان على العمل من أجل القضية القومية، وعندما عادا إلى سوريا اشتغالا بالتدريس الثانوي في دمشق منذ عام ١٩٣٣، وكونا أول منظمة سياسية باسم " **منظمة الإحياء العربي** " عام ١٩٤١،على أساس أن منظمتهم تهدف إلى إحياء المجد العربي، كما أسسا " **حركة نصرة العراق**"•، عقب اندلاع ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، التي اتهمت بعلاقتها بالنازية الهتلرية خلال الحرب العالمية الثانية[١٢]، لكن منذ عام ١٩٤٣ أصبحت بيانات الحركة تحمل اسم "**البعث العربي**"، الذي قصدو به، إعادة نهضة الأمة العربية من خلال بعث الروح القومية فيها لتعود إلى أمجادها، كما كانت في الماضي، وافتتح أول مكتب للحزب منذ عام ١٩٤٥ وكان عدد الأعضاء يصل إلى ٤٠٠ عضو[١٣].

---

(١١) The Economist, London , 24-30June,1978.p.78، للمزيد انظر: ميشيل عفلق، **في سبيل البعث** ج١، بغداد، مكتبة الثقافة والإعلام، د ت، ص٨ .

• انظر بيان الحركة التي كتبه ميشيل عفلق في **الملحق** .

(١٢) George Kerevan. **Ruling party learned from Nazis**,. The Scotsman newspaper.29 March 2003

(١٣)ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**،ج١،مرجع سابق ذكره، ص ٩، للمزيد انظر: Wikipedia article. **Baath_Party**

لكن يرى بعض البحاث أن من الذين لهم دور في تأسيس البعث المفكر زكي الأرسوزي، الذي كان عضواً في عصبة العمل القومي عام ١٩٣٢، لكنها انتهت عام ١٩٤٠، إلا أن الأرسوزي عاود العمل في السياسة فأسس الحزب القومي العربي، الذي حاول نشر أفكاره في العراق، لكنه فشل، وتتسم أفكاره بأنها أفكار هدامة للمجتمع، فهو يعتبر أن كل من لا يؤمن بأفكاره خائناً، وكان إعجابه بالنازية وكتبها مثل أفكار نيتشه، وفيختيه، وإعجابه بالشعر العربي الجاهلي الذي اعتبر عصره الفترة الذهبية للعرب، وتفضيله التكلم بالفرنسية على العربية، وعيبه على كل إنسان متأثر بالقرآن، كل هذه الأمور قد أبعدت الكثيرين عنه، حيث انتهى عمله السياسي بسقوط سوريا بيد الإنكليز وقوات فرنسا الحرة، وذلك بعد فشل الثورة العراقية نهاية عام ١٩٤١[١٤]، وكانت أفكار الأرسوزي قد تأثرت، بسلب لواء الإسكندونة من سوريا عام ١٩٣٩ كونه من لواء الإسكندرونة السوري، ومن ضمن السوريين الذين هجروا بيوتهم وانتقلوا إلى بقية أنحاء الوطن السوري بعد ضم لواء الإسكندرونة إلى تركيا، حيث كان اللواء يحتوي على أقلية تركية؛ لكن حدث اتفاق فرنسي تركي، لضم اللواء إلى تركيا، رغم احتجاجات سكانه الأكثرية الذين كانوا من العرب والأرمن، مما حذا الأرسوزي إلى الدعوة لاستنهاض الشباب العربي من أجل القضية العربية القومية، ورغم انضمام بعض المريدين إليه، إلا أنهم سرعان ما تركوه؛ بسبب انفعالاته وعزلته، وانضموا إلى أحد مريديه وهو وهيب القائم الذي انضم إليه فايز إسماعيل ووصفي الغانم، الذين كان لهما الدور الأول في زرع بذور البعث الأولى في العراق، إلا أن كل هؤلاء كانوا

: **from the website** http://en.wikipedia.org/wiki/Nationalism

أنظر أيضاً: قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق، المشكلة الكردية**، جامعة القاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٧، ص٢٦٦.

(١٤) سامي الجندي، **البعث**، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٦٩، ص ص ٢٠-٣٨ .



متعلقين بأفكار ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار[١٥]؛ اللذين عبَّرا عن أفكارهما عام ١٩٤٤، بقولهما: " لقد جئنا إلى الاشتراكية عن طريق الفكر والعلم، ووجدنا أنفسنا أمام تفسير بارع وساحر لكل المشاعر السياسية والاجتماعية التي ترهق العالم عموماً، والتي نعانيها نحن العرب بشكل خاص"[١٦].

وسبب تأثر الاثنان بالاشتراكية؛ أنه لم يكن أحد يتعاطف مع السوريين الموجودون في باريس سوى الشيوعيين والاشتراكيين، إلا أنهما تأثرا بالقومية بعد تحول روسيا في عهد ستالين إلى دولة قومية، وتخليها (عملياً) عن الشيوعية الأممية[١٧]، وقد سميا الحركة بحركة الإحياء العربي، ومنذ عام ١٩٤٣ استعملت اسم حركة البعث العربي، وفي عام ١٩٤٥ تشكل أول مكتب تنفيذي للحزب.

وأول نواة للبعث العربي كانت عام ١٩٤٠، وأصدرت أولى بياناتها عام ١٩٤١، دعماً للاضطراب السوري ضد فرنسا[١٨]، وبعدها استقال كل من ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار من التدريس عام ١٩٤٢، وتفرغا للعمل الحزبي، ثم انضم مريدو زكي الأسوزي إلى تنظيم ميشيل عفلق عام ١٩٤٥، وأصدر البعث صحيفة البعث في الثالث من يوليو عام ١٩٤٦، رغم أن أول صحيفة سرية للبعث كانت قد صدرت عام ١٩٣٢ باسم (**العربي الجديد**)، ثم (**العربي الاشتراكي**)

---

(١٥) **Baath Party,** Encyclopedia Article، مأخوذ من الموقع:
http://uk.encarta.msn.com/encyclopedia_761580273/Baath_Party.html
أنظر أيضاً: حنا بطاطو، **العراق: الشيوعيون، والبعثيون، والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٩-٣٢ .

(١٦) حنا بطاطو، **العراق: الشيوعيون، والبعثيون، والضباط الأحرار**،مرجع سابق ذكره، ص٣٢

(١٧) نفس المرجع السابق، ص٣٣ -٣٤

(١٨) عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٣، ص ص ٢٧-٢٨ .



[١٩]، وفي السابع من مايو ١٩٤٧ تم انعقاد المؤتمر التأسيسي للحزب بمقهى الرشيد في دمشق، وتميز بأن معظم أعضاءه كانوا من النخبة المثقفة ومن الطبعة الوسطى.

وقد اشترك في المؤتمر التأسيسي الأول جميع الأفراد الذين انتسبوا للحزب من سوريا ولبنان وكان عددهم لا يتجاوز مائة عضو، وقد ترأس الاجتماع عضو اللجنة التنفيذية جلال السيد، وقد برز في المؤتمر تياران: الأول: وصف بالاعتدال يتزعمه ميشيل عفلق وصلاح البيطار، والثاني: وصف بالتطرف يتزعمه وهيب الغانم الذي كان يصر على إبراز الهوية الاشتراكية للحزب، وأهم النقاط التي دارت حولها المناقشات هي[٢٠]:

* موقف حزب البعث من الدين والرجعية الدينية.
* مفهوم الوحدة والسياسة الخارجية على الصعيد العربي.
* الحرية الفردية.
* مفهوم الاشتراكية العربية.

ولقد انتهى المؤتمر بعد إقرار دستور الحزب وانتخاب لجنته التنفيذية الجديدة التي تشكلت من ميشيل عفلق والبيطار وجلال السيد ووهيب الغانم، واعتبر هذا التاريخ هو الميلاد الرسمي لحزب البعث العربي.

---

(١٩) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٣-٣٤، للمزيد انظر:
Isam, Khafaji,. **State Incubation of Iraqi Capitalism Merip,** Middle East Report, No. 142. pp. 4-12
إيمان راسخ، **البعث العربي الاشتراكي**،ط٤، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧، ص ص ٢٤-٢٥ .

(٢٠)مصطفى دندشلي، **حزب البعث العربي الاشتراكي**، بيروت،دن، ص ص ١-٤٩، انظر أيضاً:
إيمان راسخ، **البعث العربي الاشتراكي**،ط٤، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧، ص ص ٢٤-٢٥ .



وقد رشح الحزب ميشيل عفلق للانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٧، ونجح فيها، ثم قاد ميشيل عفلق مع صديقه صلاح الدين البيطار، كتائب المتطوعين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨[٢١]، وأعقب ذلك مرحلة الاضطراب السياسي في سوريا؛ بسبب الانقلابات العسكرية، مما زاد من قوة جاذبية الحزب من قبل النخبة المثقفة، إلا أنها تراجعت عن تأييدها لعميد الحزب ميشيل عفلق؛ بسبب رسالته إلى الرئيس السوري المشير حسني الزعيم، الذي سجنه، حيث احتوت تلك الرسالة على نوع من الخنوع والاستجداء، وهذا ما اعتبره البعض خيانة في حق الحزب، إلا أن معظم أعضاء الحزب رؤوا أن هذه الرسالة كانت؛ بسبب ما لاقاه من تعذيب في سجن المزة، وأنه قد ضحى بنفسه من أجل حماية الأعضاء الآخرين في الحزب، حيث هدد الرئيس السوري بقتلهم.

وبعد سقوط نظام الرئيس حسني الزعيم عام ١٩٤٩، عاد ميشيل عفلق إلى العمل بالسياسة،ودخل الحكومة الجديدة، وتسلم وزارة التربية بعد أن رشحه الحزب لذلك، لكن بعد انقلاب أديب الشيشكلي في سوريا أصدر عفلق بياناً ضد النظام الانقلابي، ودعا لإبعاد الجيش عن السياسة، وقد وافقه في العداء للدكتاتورية العسكرية، زعيم الحزب العربي الاشتراكي أكرم الحوراني، الذي حوَّل حزب الشباب الذي أسسه عمه عثمان الحوراني، إلى الحزب العربي الاشتراكي، وقد تقاربت أفكار كل من الحزبين: العربي الاشتراكي، والبعث العربي، تجاه ديكتاتورية الشيشكلي، إضافة إلى تبنيهما الاشتراكية بدعوتهما للتأميم، وإزالة الهيمنة الأجنبية، وتوفير الخدمات الاجتماعية الشاملة، إضافة إلى الدعوة للوحدة العربية، وفي عام

(٢١) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج١، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٥٦-٢٦٢، ص ٢٦٧ – ٢٧٢



١٩٥٤عقد المؤتمر القومي الثاني للحزب وغير اسم الحزب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي بدلاً من حزب البعث العربي وانتخب قيادة قومية له تتألف من[٢٢]:

١- الأمين العام للحزب وهو ميشيل عفلق.

٢- القيادة القومية بعضوية كل من: أكرم الحوراني، وصلاح الدين البيطار وكلاهما من سوريا، وعبد الله الريماوي وعبد الله الفواس من الأردن، وعلي جابر من لبنان، وفؤاد الركابي من العراق.

وأخذ البعث في سوريا يزرع في نفوس الشعب أن الإقطاعيين يريدون أن يستنفذوا الثروة الوطنية ويخضعوها للمصالح الأجنبية، من خلال البرجوازية الوطنية، وأن استثمارات هذه البرجوازية مع الإقطاع الوطني هي استثمارات جاهلة للحكم والاقتصاد؛ لأنها تريد تحويل البلاد إلى مزرعة لأبناء العائلات الإقطاعية والانتهازية التجارية، وأن هؤلاء عديمو الوطنية؛ لأنهم عجزوا عن الدفاع عن الوطن في نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، وعجزوا أمام عودة الاستعمار بشكله الجديد الذي اتخذ شكل محاور، وأحلاف في المنطقة، وعلى الجماهير أن تحتقر مستوياتها الجاهلة، والتابعة، والتقليدية، والغيبية؛ لأنها لا وطنية لها، وانتهازية، وفاسدة، وعميلة للرجعية الرسمية العربية، وللإمبريالية العالمية من خلال المخططات الاستعمارية مثل: مشروع الهلال الخصب تحت الحكم الهاشمي الرجعي الموالي للعميل نورى السعيد، أو من خلال مخطط سوريا الكبرى التابع للاستعمار البريطاني من خلال الأردن، لذلك فإن حزب البعث يرفض الواقع المتخلف من خلال الإقطاع والرأسمالية ويتطلع إلى بناء مجتمع عصري متحرر من الاستعمار كلياً، ومن الاستقلال والتخلف داخلياً، وذلك من

(٢٢) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٥- ٣٦، انظر أيضاً شفيق عبد الرازق السامرائي، مرجع سابق ذكره ص ٩٦، أيضاً: ناجي أبي عاد وميشيل جريتون، **النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط**، ترجمة: محمد نجار، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٧٧، أنظر أيضاً:



خلال إقامة الدولة العربية الكبرى القادرة على تحرير وطنها ودحر محاولات الاستعمار الخارجية، وإعداد الإمكانيات البشرية والمادية لبناء المجتمع العصري المتقدم والعادل[٢٣].

وأنه ثورة ذات مضمون ثوري صحيح بكل أبعادها، ومعانيها، ومستوياتها؛ لأنها قضاء على المصالح الإقليمية التي توضحت، وترسبت عبر القرون، حيث تجابه هذه الثورة مصالح، وطبقات الذين يعادون الوحدة العربية ويقفون في وجهها، وأن البرلمانية في الوطن العربي ليست سوى بناءاً كرتونياً هزيلاً ونسخةً مزيفةً عن البرلمانية الغربية، على أساس أنها لم تستطع مواجهة مهام النضال القومي الاشتراكي من جهة، ولم تستطع ترسيخ جذورها في الحياة السياسية، وأن الحزب يعارض الحكم الفردي، ويؤمن بالديمقراطية الثورية التي لا يمكن أن تأخذ مداها التطبيقي الفعَّال إلا إذا قامت على تنظيم شعبي طلائعي، يؤمن بديمقراطية الجماهير الشعبية، ويتيح المجال لدور طلائعي فعَّال للعمال، والفلاحين خصوصاً، جماهير الكادحين عموماً، ويكون ذلك سيطرة الطبقة الكادحة على مقاليد السلطة وتخطى البرلمانية على اعتبار أنها إحدى أشكال سيطرة الطبقات البرجوازية، والإقطاعية على الجماهير الشعبية، ويكون تحقيق الديمقراطية الشعبية من قبل الشعب بالتدريج، وبصورة دورية من الأسفل إلى الأعلى وخضوع الأقلية للأكثرية، خضوعاً مخلصاً وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات العليا، وخضوع المنظمات لقرارات القيادة المركزية، وتوجيهها، والهدف النهائي هو إقامة

(٢٣) مطاع الصفدي، **التجربة الناصرية والتجربة الثالثة**، بيروت: مؤسسة الأبحاث العلمية العربية العليا، ١٩٧٣، ص ص ١٩٤-١٩٥، للمزيد انظر: Raymond Hinnebusch, **Syria: Revolution from Above,** , London: Routledge, 2001, pp.139-164. أنظر أيضاً: أمين أسبر، **تطور النظم السياسية والدستورية في سوريا (١٩٤٦-١٩٧٣)**، بيروت دار النهار للنشر، ١٩٧٩، ص ص ٢٨-٢٩.



مجتمع عربي اشتراكي موحد، تزول فيه الطبقات، وتنتهي فيه كل أشكال الاستغلال[٢٤].

وأنه حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الأقطار العربية، وهو لا يعالج السياسية القطرية، إلا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا، وهو قومي شعبي انقلابي، يؤمن أن أهدافه الرئيسية في الوحدة والحرية والاشتراكية تسعى لتحقيق أهداف القومية العربية، وأنها لن تتحقق إلا عن طريق الانقلاب، وأن قضية فلسطين هي قضيته المركزية في النضال وهي أساس سياسته، وقوميته العربية ذات محتوى تقدمي•، فلا يتفق أو يتظاهر بالنزعة العنصرية، أو الإقليمية، أو العشائرية، أو الإقطاعية، أو البرجوازية، أو الطائفية[٢٥].

وأن القومية العربية هي الشعور بالانتماء إلى كيان جماعي واحد هو الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وهي التي تبلورت تاريخياً على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، بفعل الإسلام وحضارته، وبفعل اللغة العربية كأداة خطاب وتواصل، وبفعل الجوار الجغرافي، والتفاعل الاجتماعي كموحدات للمصير، والمصالح، وبفعل التحديات الخارجية من التتار، والمغول، والصليبيين إلى الاستعمار الغربي الحديث إلى الصهيونية التي خلقت وحدة الهموم والمصير[٢٦].

([٢٤]) أمين أسبر، **تطور النظم السياسية، والدستورية في سوريا، (١٩٤٦، ١٩٧٣)** بيروت: دار النهار للنشر ١٩٧٩) ص ص ٢٨-٣٠ .

• انظر دستور حزب البعث ومبادئه في الملحق .

([٢٥]) نفس المرجع السابق، ص ص ٢٨-٣٠، ص ص ٤٣-٣٧.

([٢٦]) سعد الدين إبراهيم، **مصر تراجع نفسها**، القاهرة: دار المستقبل الجديدة، ١٩٨٣، ص ١٩٦.



وأن جامعة الدول العربية هي تزوير لإرادة الأمة العربية، في الوحدة الحقيقية التي يهدف الحزب إلى تحقيقها، وأنها صنيعة استعمارية كان المقصود منها إضعاف إمكانيات الفئات التي أخذت على عاتقها إقامة الوحدة العربية الحقيقية[٢٧].

وفي كل ذلك يصف صلاح الدين البيطار حزب البعث بقوله:

"كان الحزب غير الأحزاب القائمة، لم يكن حزباً تقليدياً، أو رجعياً، لم يكن يبحث فقط عن زيادة الأجور، وتحديد ساعات العمل، وكل ما تقوم به الأحزاب التقليدية في البلاد العربية، بل كان حزباً يرمي إلى بعث حضارة يشارك فيها الجميع، ويتقدم الصفوف من هو المؤهل نضالياً للتقدم"[٢٨].

كما يوضح ميشيل عفلق أن البعث هو حزب شعبي، وأنه ضد أعداء الشعب، حيث يقول في ذلك:

" لو جعلنا الشعب العربي في صف، والذين يعادون ويعرقلون القضية القومية، ويقيمون في سبيلها، جعلناهم في صف أخر، فليس فقط الرأسماليون والإقطاعيون هم أعداء الشعب، بل أيضاً السياسيون الذين يتمسكون بالتجزئة؛ لأنها تقيدهم شخصياً، وليس هؤلاء فحسب، بل أولئك الذين يسايرون الاستعمار بشكل من الأشكال، وأولئك الذين يعادون الفكر، والعلم، والتطور.......والتفتح والتسامح، والذين يقاومون أو يحولون دون تجذر أمتنا، وضعناهم في صف، ومجموع الشعب في صف أخر، فنحن إذاً لا نقول أننا قسّمنا أمتنا إلى طبقات، أو طبقتين"[٢٩].

---

(٢٧) مطاع الصفدي، مرجع سابق ذكره، ص ص١٩٤ – ١٩٥ .

(٢٨) جمال الشاعر، سياسي يتذكر، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، دت، ص٥١ .

(٢٩) عز الدين ديان، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .



هذه الأمور جعلت الكثير من القوى الشعبية تؤيد الحزب في خمسينات القرن العشرين، خاصة بعد اندماج البعث العربي مع الحزب العربي الاشتراكي عام ١٩٥٢، ذلك الحزب الذي كان ذو طابع فلاحي، على اعتبار أن مؤسسه أكرم الحوراني كان عدواً لدوداً للإقطاع في سوريا، كما كان تنديد الحزب لبعض المشاريع الغربية مثل مشروع إيزنهاور، وحلف بغداد، والتحالف التركي الإسرائيلي، قد زاد من شعبية الحزب في أوساطاً القومين في سوريا، خاصة بعد تلاقيه في الأفكار مع الثورة المصرية بقيادة محمد نجيب في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتأييده للوحدة بين سوريا ومصر، والعمل على تحقيقها باستقطاب بعض أفراد الجيش إليه، مما أدى لولادة الوحدة السورية المصرية، رغم عدم رغبة الكثير من السياسيين السوريين وعلى رأسهم الرئيس السوري شكري القوتلي للطريقة التي تمت بها الوحدة، بسبب ارتجاليتها، وعدم دراستها دراسة علمية دقيقة من كافة النواحي.

لكن في عهد الوحدة، أُلغي حزب البعث العربي الاشتراكي نظرياً، كما أُلغيت جميع الأحزاب في سوريا، بعد قرار رئيس دولة الوحدة جمال عبد الناصر بضرورة إلغاء جميع الأحزاب السورية، وإقامة ما سمي آنذاك بالاتحاد القومي؛ إلا أنه عملياً رفض البعث حل نفسه، وظل ميشيل عفلق الأمين القومي للحزب فقد جمع أعضاء الحزب في بيروت عام ١٩٥٩، وعقد مؤتمراً حزبياً هناك وأكد في ذلك المؤتمر على ما يلي:[٣٠]

١- إن الهدف من إقامة الوحدة كان؛ لإيقاف المد الشيوعي الذي سيطر على سوريا في الشارع والمؤسسات قبل الوحدة.

---

(٣٠) نيقولاوس فان دام، **الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة ١٩٦١ – ١٩٩٥**، ط٢، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥، ص٤٥.



٢- إن الخلل والاضطراب داخل صفوف الحزب، قد قاد إلى تفتيت، وانهيار المؤسسة الحزبية، وكان حل الحزب والوحدة مع مصر، طريق الإنقاذ للحزب.

وكان قرار حل الحزب قد تم من القيادة مباشرة دون التشاور مع أعضاء البعث حول ذلك، مع أن ميشيل عفلق كان يعلم أن عبد الناصر سيحكم دولة الوحدة بمؤسساته المعروفة والمعتمدة بالدرجة الأولى على أجهزة الأمن والمخابرات، إضافة إلى شعبيته الطاغية، إلا أنه كان معتقداً أن عبد الناصر كان من الممكن أن يعطي البعث حصة الحكم في سوريا، أو أن تعطي لميشيل عفلق رئاسة الاتحاد القومي، بعدما أُعطي أكرم الحوراني منصب نائب رئيس دولة الوحدة [٣١]، إضافة إلى خمسة وزراء بعثيين في الحكومة المركزية لدولة الوحدة.

وظهر الخلاف بين قيادات البعث خلال عهد الوحدة، إلا أنهم ظلوا على صلة مع بعضهم البعض، ولم يلبث أن أخذ البعث يقاوم الأخطاء التي ظهرت في عهد الوحدة؛ فقدم الوزراء البعثيون استقالتهم من الحكومة المركزية، إضافة إلى نائبه أكرم الحوراني، وحاول ميشيل عفلق تأليب بعض الضباط المصريين ضد نظام الحكم؛ إلا أنه عندما شعر بخطورة الموقف ذهب إلى بيروت حتى سقوط الوحدة على يد عبد الكريم النحلاوي عام ١٩٦١، حيث وقَّع اثنين من قادة البعث على وثيقة الانفصال وهما: أكرم الحوراني، وصلاح الدين البيطار، كما أن

([٣١]) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص١٤٧، للمزيد أنظر: أديث وائي وايف، بينروز، مرجع سابق ذكره، ص ٢٣٠، أنظر أيضاً: **Baath_Party**. Wikipedia article. _.

from the website: _http://en.wikipedia.org/wiki/Nationalism



ميشيل عفلق قال حول ذلك: "الانفصال شر لابد منه"[٣٢] ثم أيد ذلك بقوله:

"كنا مقنعين بأن الوحدة العربية لن تقوم بدون مصر، ولم يكن ذلك لاقتناعنا بأنها ستكون بروسيا العالم العربي، وستحقق الوحدة بالقوة، ولا لأننا كنا نعتقد بأنه لا يمكن لأي بلاد أخرى أن تتخذ مركز التقاء، ولكننا فعلنا ذلك بشكل خاص؛ لأنه كانت أمامنا قوة العرقلة المصرية، فقد كانت قادرة وتريد أن تقف بنجاح في وجه أي حركة نحو الوحدة تستبق مصر، مثلما أظهرت ذلك قصة مشاريع الهلال الخصيب المؤسفة "[٣٣] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في ظل الوحدة ظل البعض من البعثيين بعد قرار حل الحزب عام ١٩٥٨، متواجدين في بعض المناطق البعيدة عن دمشق مثل دير الزور واللاذقية، وكانوا على اتصال دائم باللجنة العسكرية البعثية التي تشكلت سراً في عهد الوحدة من عدداً من الضباط السوريين الذين تذمروا من حكم الوحدة، وشكَّلوا تنظيماً سرياً لإسقاط النظام القائم[٣٤].

لكن سرعان ما انقلب زعماء البعث مرة أخرى على بعضهم البعض، وذلك بعد تشكيل البعث رسميا مرة أخرى عام ١٩٦٢، وقرر المؤتمر القومي الخامس للحزب طرد الحوراني من الحزب، ثم أخذ البعث يعمل على إسقاط نظام الانفصال في سوريا، فعمل على استمالة الضباط العسكريين القوميين والناصريين وأعضاء اللجنة العسكرية البعثية، للقيام بحركة الثامن من إبريل عام ١٩٦٣ وساعدها في ذلك نجاح حركة البعث في العراق وسيطرتها على السلطة هناك وذلك في ٨ مارس

([٣٢]) نفس المرجع السابق، ص ص ١٥٤ – ١٥٦ – ص ١٩٦

([٣٣]) هنري لورانس، **اللعبة الكبرى**: **المشرق العربي والأطماع الدولية**، ط ٢، بنغاري، دار الكتب الوطنية، ١٩٩٣، ص٢٣٦ .

([٣٤]) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٨ – ٣٩ .



١٩٦٣، ومنذ تولي البعث للسلطة في كل من العراق وسوريا عام ١٩٦٣، أصبح له جيشاً عقائدياً على أساس أن مهمته الدفاع عن الثورة داخلياً وخارجياً، وأن يكون البعث هو المشارك الفعلي في بناء الاشتراكية، وأصبح ميشيل عفلق الموجه والمراقب للحزب[٣٥].

وتجدر الإشارة هنا أن حركتي البعث في كل من العراق، وسوريا لم تكونا عفويتين، بل كانتا بعد اجتماع القيادة القومية لحزب البعث أوائل عام ١٩٦٣ بمجموعات عراقية، وسورية في بيروت، ودراستها سبل الإطاحة بنظامي عبد الكريم قاسم في العراق، وناظم القدسي في سوريا، وأن تكون الإطاحة في يوم واحد، لذلك ربطوا معهم مجموعة من الضباط – غير البعثيين إضافة للضباط البعثيين – لتحقيق نجاح الحركتين، وعلى هذا الأساس تشكلت لجنة سرية من ممثلي البعث وأعضاء من لجنة الضباط الأحرار القديمة[٣٦] .

كما تجدر الإشارة أيضا أنه في المؤتمر القومي الخامس لحزب البعث عام ١٩٦٢، قد قل عدد أعضاء حزب البعث بشكل كبير، ولم يكن سوي إثنين في القيادة القومية، هما ميشيل عفلق وجمال الأتاسي، وقد أعيد تشكيل القيادة القطرية لحزب البعث في سوريا بعد تكليف القيادة القومية لبعض البعثيين العراقيين، ومنهم على صالح السعدي وهاني الفكيكي لتشكيلها في سوريا من جديد؛ وكان ذلك بسبب الصراعات العنيفة بين البعثيين السوريين[٣٧] .

---

(٣٥) عز الدين دياب، مرجع سابق ذكره، ص ٢٣٤

(٣٦) أديث وائي، إيف بينروز، **العراق: دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥ – ١٩٧٥**، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، بيروت دار الملتقي، ١٩٨٩، ص ص ٤٥١ – ٤٥٢

(٣٧) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٥٩ – ٦٠



وبالنسبة للتنظيم الهرمي للحزب، فبناء على أن حزب البعث العربي الاشتراكي، فهو يعتبر نفسه ممثلا للأمة العربية كلها من المحيط إلى الخليج؛ فيكون له قيادة قومية تشمل الوطن العربي كاملاً، وتتبعها القيادات القطرية، حيث بكل قطر عربي قيادة قطرية تسيِّر أمور الحزب في ذلك القطر، ويكون لها ممثل في القيادة القومية، ويحق له التصويت وإبداء الرأي والمشورة، كما تحتوي القيادة القومية على مجموعة مكاتب الحزب للإدارة والثقافة والعمال والرياضة والمالية، ومن رئيس وأعضاء المكتب السياسي[٣٨].

وتعيينات قيادات الوحدات المختلفة تتم من الأعلى على كافة المستويات، وماعدا الأمين القومي (العميد)، فإنها تنتخب من قبل المجلس الحزبي المؤلف من: العميد، ورؤساء مكاتب الحزب وفروعه، وأعضاء المكتب السياسي، والأعضاء المنتجون الذين يمثلون كل الفروع[٣٩].

وقد كان هذا التنظيم يضم كل الأعضاء الرئيسيين الذين يكونوا مسؤولين بشكل خاص عن نشاطات الحزب وتقدمه، ومنهم يتم اختيار كل من العميد، وأمناء الفرق، والشعب، وأعضاء الأجهزة الإدارية للفرع، ومختلف المكاتب، وهؤلاء ينتخبون مجلس الحزب[٤٠].

وقد عرف المؤتمر التأسيسي للحزب عام ١٩٤٧، العميد بأنه: المرجع الأعلى للحزب في كل سياساته، ومدير كل تنظيماته، وهو وحده يجري كل التعيينات في

([٣٨]) حنا بطاطو العراق: **الشيوعيون البعثيون والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص ٢٩

([٣٩]) نفس المرجع السابق، ص ٣٠

([٤٠]) نفس المرجع السابق، ص٣١



كل المناصب الحزبية الأساسية، وهو الذي يوقع على ترقي الأعضاء الرئيسيين، ولكن بعد عام ١٩٥٤، تم تعديل بعد اللوائح ومنها(٤١):

١- ألغي منصب العميد، وأصبح بدلاً منه أسم الأمين القومي العام.

٢- أضيف إلى الوحدات السابقة، وحدتان تنظيميتان هما الحلقة التي تضم ثلاث إلى سبع أشخاص، والأمين القطري الذي تمتاز به القيادة القطرية، المنتخبة من القيادة القومية للحزب.

٣- أُلغي الفاروق بين الأعضاء والأعضاء الرئيسيين، وأصبح الأعضاء هم المرشح، والعنصر العامل، ويترقى المرشح إلى عضو عامل بعد مضي ستة أشهر، ثم أوجدت بعد ذلك عضوية المؤيدين أو الأنصار•.

• البعث في العراق

العراق هو: إحدى الدول العربية الواقعة في المشرق العربي، ويشكل منفرداً الجزء الشرقي للبيئة الجغرافية والتاريخية المسمى الهلال الخصيب، وهناك آراء مختلفة عن أصل كلمة العراق حيث يرجح بعض المستشرقين أن مصدرها هي مدينة أورك السومرية القديمة والتي تسمى الآن بالوركاء، ويرى البعض الأخر أن كلمة العراق مصدرها العروق نسبة إلى النهرين دجلة، والفرات اللذين شبهتا بالعرق أو الوريد لأهميتهما بالنسبة للعراق، ويرى البعض الآخر أنها سميت بالعراق نسبة إلى عروق أشجار النخيل التي تتواجد بكثرة في جنوب ووسط العراق بينما يرى الآخرون أن أصل التسمية هي عراقة المنطقة الموغلة بالقدم.

(٤١) **A Country Study: Iraq,** U.S. Library of Congress .5/1988، أنظر أيضاً: حنا بطاطو العراق: **الشيوعيون البعثيون والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص ٣٢

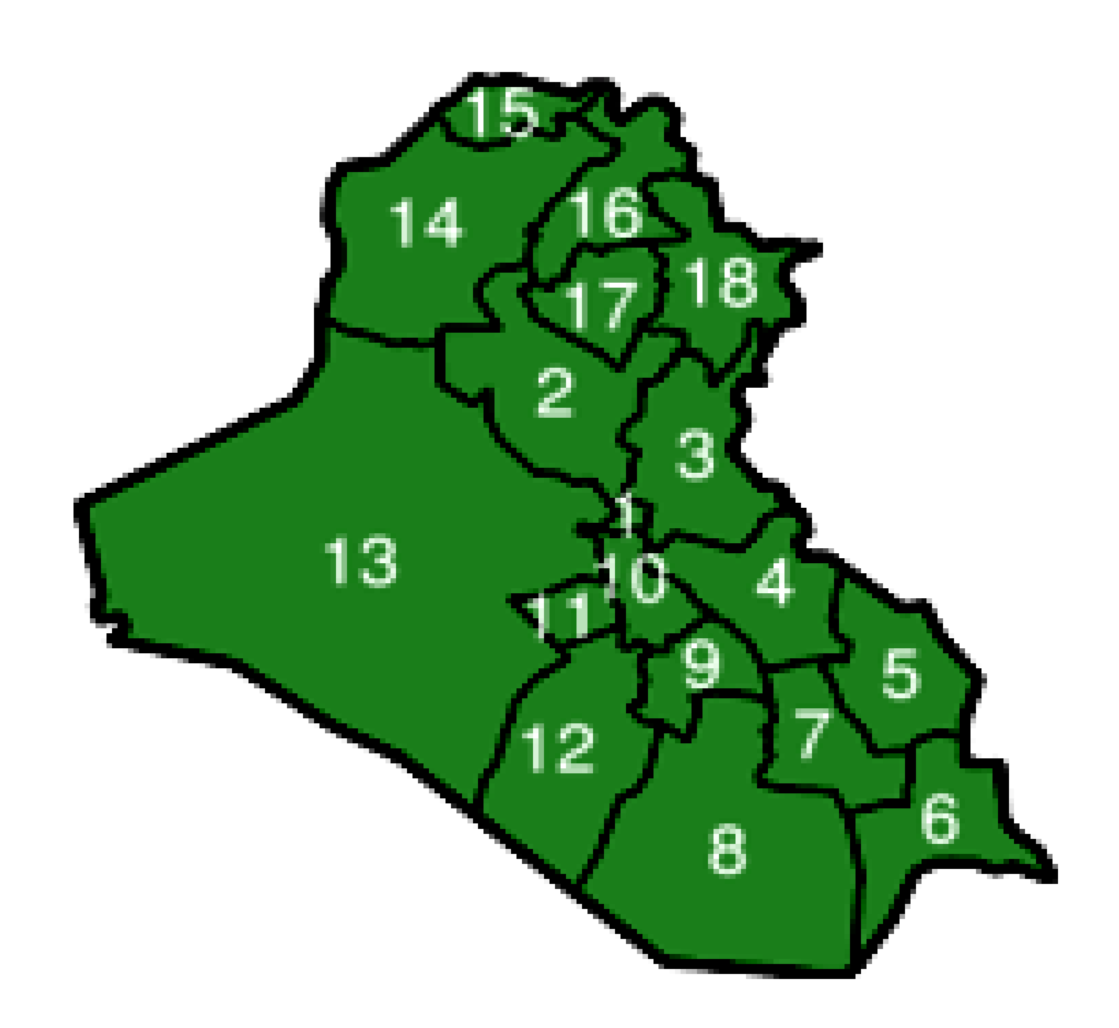
• عضوية المؤيدين ظهرت في العراق، وناظرتها في سوريا عضوية الأنصار (الباحث) .



وأطلقت كلمة العراق ما كان يسمى ببلاد ما بين النهرين، بيت نهرين Beth-Nahrain بالآرامية التي كانت تشمل الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات بما في ضمنها أراضي تقع الآن في سوريا وتركيا، ويعتبر العراق "مهد الحضارات"، وله أكثر من ميناء بحري على الخليج العربي أهمها ميناء أم قصر.

لذلك يعتبر العراق أحياناً أحد دول الخليج العربي، لكنه ليس عضواً في مجلس التعاون الخليجي حيث يبلغ طول الساحل البحري للعراق أكثر من ٢٠ كيلومتر، يمر نهرا دجلة والفرات في البلاد من شماله إلى جنوبه، اللذان كانا أساس نشأة حضارات مابين النهرين التي قامت في العراق على مر التاريخ حيث نشأت على أرض العراق وعلى امتداد سبعة آلاف سنة مجموعة من الحضارات على يد السومريين، والأكاديين، والبابليين، والأشوريين، والمناذرة، وانبعثت من هذه الحضارات بدايات الكتابة، وعلوم الرياضيات، والشرائع في تاريخ الإنسان.





شكل رقم (١) خريطة للعراق تمثل جميع المحافظات العراقي

محافظات العراق حسب الخريطة:(بغداد، ١)، (صلاح الدين- تكريت-، ٢)، (ديالى، ٣)، (واسط، ٤)، (ميسان، ٥)، (البصرة، ٦)، (ذي قار، ٧)، (المثنى، ٨)، (القادسية،٩)، (بابل، ١٠)، (كربلاء، ١١)، (النجف،١٢)، (الأنبار، ١٣)، (نينوى-الموصل-، ١٤)، (دهوك، ١٥)، (أربيل، ١٦)، (كركوك، ١٧)، (السليمانية، ١٨)



وقد بدأ البعث في العراق في المدارس الثانوية في بغداد إضافة إلى جامعتها، وذلك من خلال بعض الطلبة السوريين الذين كانوا يدرسون في بغداد ومعظمهم من مريدي زكي الأرسوزي الذين انضموا لتنظيم ميشيل عفلق عام ١٩٤٥، ومنهم: أدهم مصطفى، وسليمان العيسى، وفائز إسماعيل، ثم أنضم إليهم فؤاد الركابي، وحازم جواد– ابن أخت فؤاد الكابي–، وبعض المثقفين الآخرين، وكان أكثرهم من الشيعة الفقراء، ثم أمتد البعث إلى بقية المدن العراقية في الناصرية، والرمادي، والبصرة، والنجف وغيرها من المدن العراقية•، وقد قاد البعث في العراق في هذه الفترة الطالب السوري: فائز إسماعيل، ثم انتقلت القيادة إلى طالب سوري آخر هو:عبد الرحمن الضامن عام ١٩٥٠، وذلك بعد عودة فائز إسماعيل إلى سوريا، ثم تسلمها عام ١٩٥١ المهندس العراقي: فؤاد الركابي لمدة ثمان سنوات أي حتى عام ١٩٥٩، وهو أول عراقي استلم قيادة التنظيم في العراق، ويتميز بانتمائه إلى عائلة شيعية فقيرة، وهذا ما جعله يتأثر بفكرة العروبة والاشتراكية التي ينادي هما البعث، وقد انتسب إلى الحزب مائة عضو عام ١٩٥٢، ومنذ ذلك الوقت اعترفت به القيادة القومية في سوريا، وقد وصل أعضاءه عام ١٩٥٥ إلى مائتين وتسعة وثمانين عضواً عاملاً ماعدا ألاف المؤيدين(٤٢).

• كما كان للطلبة العراقيين الذين كانوا يدرسون في جامعة دمشق دور في نقل الأفكار البعثية إلى العراق، وذلك بعد عودتهم للعراق، كما كانت بعض الكتل و التجمعات الأهلية تحمل شعارات قومية مثل: جماعة الأهالي في العراق، و حزب الاستقلال، حيث انضم أفرادها فيما بعد لحزب البعث انظر حول ذلك أيضا أنظر قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي العراق: المشكلة الكردية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة،، ١٩٧٧، ص ص ٢٦٦ – ٢٦٩.

(٤٢) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره ص ص ٥٩ – ٦٠، أنظر أيضا حنا بطاطو، **العراق: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره ص ٤٧ – ٤٨، أنظر حول الخلفية الطبقية لأعضاء حزب البعث، هنري لورانس، **اللعبة الكبرى**، مرجع سابق ذكره، ص، ٢٣، أيضاً: Wikipedia article. **Baath.Party** op.cit **, Also Look: A Country Study: Iraq**, U.S. Library of Congress, 5.1988



أما الرعيل الثاني للحزب فقد ظهر في العراق بعد انتفاضة العراق عام ١٩٥٢ ضد معاهدة بورتسموث، فظهر التيار العنيف في الحزب من خلال كل من: علي صالح السعدي، وسعدون حمادي، وهاني الفكيكي وغيرهم، وبعد ذلك ظهر الرعيل الثالث للحزب من خلال كل من: فائق البزاز، وعبد الخالق السامرائي، وطارق عزيز وغيرهم، وقد بدأ أعضاء البعث يتجهون إلى الجيش والكليات العسكرية منذ عام ١٩٥٥، وكانت النشرات الطباعية للبعث تدعو للانقلاب منذ عام ١٩٥٤، على أساس أن انقلاب البعث هو انقلاب على الذات، كما اتبع البعث استراتيجية التحالف مع الشيوعيين؛ الذين كان لهم قوة شعبية في العراق، وكانت اتصالات البعث في العراق مع القيادة القومية في سوريا تقوم من خلال السفير السوري في العراق محمد كبول، والأمين القطري لحزب البعث في العراق فؤاد الركابي، إضافة إلى المراسلات المباشرة مع القيادة القومية في سوريا[٤٣].

أما الديناميكية التي وصل فيها البعث بأفكاره إلى العراق فكانت منذ عام ١٩٥٠ تحت اسم نادي قومي سمي "**نادي البعث العربي**"، كرد فعل للحركات الإقليمية في العراق، وإلى آمنت بالتقسيمات الاستعمارية للمنطقة العربية، وخاصة الاتفاقية الاستعمارية للمنطقة العربية سايكس بيكو عام ١٩١٦؛ لذلك نادي هذا

([٤٣]) هاني الفكيكي مرجع سابق ذكره ص ص ٦٥ – ٧٨ ،وقد أنضم أعضاء حزب الاستقلال- بعد حله- إلى حزب البعث، أنظر حول ذلك قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره ص ص ٢٦٩ – ٢٧٠، انظر أيضاً:

Doreen, Warriner,. **Land Reform and Development in the Middle East: A Study of Egypt, Syria, and Iraq.** London: Oxford, University Press for the Royal Institute of International Affairs, 1962,pp.20-180. **and Look**: Kemal, Abu Jaber,. **The Arab Baath Socialist Party**, Syracuse: Syracuse University Press, 1966,pp.10.250



النادي بضرورة حل مشاكل العرب الاجتماعية، والاقتصادية، وتحقيق ثورة جذرية في المجتمع، وتحقيق دولة موحدة مستقلة للعرب.

لكن مما تجدر الإشارة إليه أنه قبل ذلك كانت أفكار البعث، قد صدرت قبل تأسيس ذلك النادي، وكانت سبباً في تأسيسه، حيث كان قد صدر كراسان موقعان في العراق منذ عام ١٩٤٨، أي بعد سنة واحدة من تأسيس حزب البعث في سوريا، وحمل الأول من هذان الكراسان عنوان: "**أحاديث البعث العربي**"، والثاني كان بعنوان: " **في السياسة العربية**" وقد أكد كل منهما على مطالب الشعب، ورفض الحزب لكل المساومات وطالب بالحلول الجذرية، والتأكيد على وحدة المصير، وأن طريق الثورة هو الحل؛ لتحقيق التغيير، ثم استمرت المنشورات، والملصقات تشمل كل أنحاء العراق، خاصة بعد تأسيس فؤاد الركابي عام ١٩٥٢ لصحيفة: الأخبار البغدادية التي أعلنت عن تشكيل حزب البعث العربي في العراق، ودعا إلى القيام باضرابات طلابية في بغداد في انتفاضة ١٩٥٢ في العراق؛ لأن معظم أعضاء البعث في العراق كانوا من الطلاب وقد استنكر الحزب في هذه الانتفاضة اعتداءات الحكومة على كلية الصيدلة، والكيمياء، ودعا لمواصلة النضال ضدها ثم أصدر في عام ١٩٥٣، صحيفة سرية باسم " **العربي الجديد** "، ثم غيَّر الاسم إلى " **العربي الاشتراكي** "، ثم إلى "**الثورة العربية**"[٤٤].

---

(٤٤) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق: دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص ص ٢٠ – ٢١ للمزيد أنظر:

Devlin, John, **The Baath Party: A History from Its Origins to1966.** :Stanford: Hoover Institution Press, 1976,PP.12-3**0. Also Look**

عز الدين دياب التحليل الاجتماعي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي مرجع سابق ذكره ص ص ٣٢٤ – ٢٤٥، للمزيد أيضا أنظر: قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي العراق: المشكلة الكردية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، **كلية الاقتصاد** والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ٢٦٦ – ٢٦٩.



وقد قاوم البعث في العراق سياسة رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد عام ١٩٩٥؛ على أثر حلف بغداد وُسجن قسماً منهم بسبب ذلك، مما حذا بالحزب إلى إصدار بياناً ضد هذا الحلف الذي سماه؛ حزب نوري مندريس نسبة إلى رئيسي وزراء كل من العراق وتركيا وقد جاء في البيان:

" إن إعلان هذا البيان المشترك لا يعتبر تحدياً صريحاً لإرادة شعبنا في التحرر والإنعتاق، فحسب، ولكن الشعب الذي صارع الاستعمار طوال السنين المنصرمة، وسجل في صراع مواقف بطولية خالدة سيقاوم اليوم بشدة أية اتفاقية استعمارية، وخاصة مع تركيا، تركيا سالبة لواء الإسكندرونة العربي، تركيا صديقة إسرائيل، تركيا التي طالبت ببقاء الجيوش البريطانية في قناة السويس، تركيا التي أرادت سلب لواء الموصل من العراق، تركيا حليفة إسرائيل، لقد آن لجماهير الشعب أن تخلع عنها رداء القنوت والانزواء وتبدأ كفاحها لإسقاط حكومة نوري السعيد، وإلغاء معاهدة ١٩٣٠ العراقية البريطانية؛ لإحباط الاتفاق العراقي التركي والمؤامرات الاستعمارية"[٤٥].

ولقد لبَّت الأحزاب الوطنية في الكليات والمدارس العراقية بمساندة الشعب العراقي هذا النداء، وأغلقت أبوابها، واعتقلت الحكومة العراقية الكثير من البعثيين، وقد ترابط البعث في العراق خلال هذه الفترة مع الحركة القومية العراقية، التي تأثرت

---

(٤٥) أكرم الحوراني، **مذكرات أكرم الحوراني**، القاهرة، مكتبة مدبولي ٢٠٠٠، ص١٧٢١، للمزيد انظر:قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**: **دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٧٢-٢٧٧ , أنظر أيضاً:John . Devlin, ,Op.Cit,pp.22-30

Also Look:Gallman, John**, Waldemar. Iraq Under General Nuri. Baltimore**, Johns Hopkins University Press, 1964,pp.50-120 , **Also Look**: http://www.icdc.com/~paulwolf/iraq/baath1963.htm
Rise of the Baath Party in Iraq, 1959-1963



بالثورة المصرية في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وعرفت بعد ذلك **بالحركة الناصرية** في العراق كما في سوريا، لكن لم يجمعهم تنظيم مشترك واحد، وكانت أهم مبادئها هي[٤٦]:

١- تحقيق الاستقلال الوطني وتنميته.

٢- مكافحة جميع أنواع الاستعمار.

٣- اعتناق مبدأ عدم الانحياز في السياسة الخارجية العراقية.

٤- تنمية الاقتصاد، والاجتماع، وكل نواحي الحياة في المجتمع.

٥- تحقيق الاستقلال الاقتصادي.

٦- السعي للوحدة العربية، وإبراز قوة العرب أمام الدول العظمى.

٧- تحقيق الاشتراكي في المجتمع العربي بتحقيق سيادة الشعب.

٨- تنبثق القيادة السياسية عن تحالف طبقات الشعب العاملة.

٩- الإيمان بالصراع الطبقي بشكل سلمي.

١٠- تحقيق السلطة القوية القادرة على تطوير المجتمع المتخلف.

وفي منتصف عام ١٩٥٣، عقد أول مؤتمر قطري للحزب، رافعاً شعار "**إتحاد وطني لإسقاط النظام الملكي**"، ثم قام عام ١٩٥٦ بالمظاهرات ضد العدوان الثلاثي على مصر، ودعا إلى إضراب عام في السادس عشر من أغسطس ١٩٥٦ وقاد علي صالح السعدي المظاهرات ضد الحكومة، واصطدم معها في مظاهرة الجسر التي وقع منها ا لكثير من الضحايا البعثيين[٤٧].

---

(٤٦) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره ص٢٠ .

(٤٧) نفس المرجع السابق، ص٢١ ص ص ٢٧٢، ٢٨١ .



وقد مرَّ حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق . القيادة القطرية . بظهور اتجاهين متضاربين في أول مؤتمر قطري له عام ١٩٥٣، وهذين الاتجاهين هما:[٤٨].

١- اتجاه على صالح السعدي: الذي رأى أن ضعف الالتزام عند بعض الأعضاء وعدم تقيدهم بواجباتهم الحزبية، وعدم حضورهم اجتماعات الحزب بشكل منظم، سيؤدي إلى ضعف الحزب، لذلك فهو يرى ضرورة أن يضم الحزب أعضاء صداميين، يلتزمون بأوامر الحزب، ويتحملون التضحيات التي قد يتعرضون لها، حتى يستطيع الحزب أن يعتمد عليهم، ويوكل لهم المهمات التي تتطلبها الظروف، وضرورة فصل الأعضاء غير الملتزمين.

٢- اتجاه حازم جواد، الذي يرى عدم فصل هؤلاء الأعضاء، وإعطاءهم الفرصة لتأكيد ولاءهم ومواقفهم الحزبية.

وقد حل الخلاف بين هذين التيارين بانتخاب أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، وعلى رأسهم فؤاد الركابي، وفصل الأعضاء الغير ملتزمين مع تجميد قسماً منهم.

وفي عام ١٩٥٥ قامت السلطات العراقية باعتقال الأمين القطري للحزب في العراق، بسبب استعمال الحزب لطابعة تنشر منشورات ضد الحكومة بعدما كان أعضاء الحزب يكتبون في صحيفة " **الحرية** " منذ عام ١٩٥٤؛ لكن أفرج عنه، وبعد ذلك عقد فؤاد الركابي اجتماعاً ضم القيادة القطرية في العراق عام ١٩٥٧

(٤٨) قاسم جميل قاسم، **التكامل القوي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

وذلك للبحث في الأمور الداخلية التي تهم المجتمع العراقي، وقد قررت القيادة عدداً من الأمور أهمها[٤٩]:

١- تنظيم أعضاء الحزب خارج بغداد.

٢- موقف الحزب من جبهة الاتحاد الوطني التي انعقدت مع مجموعة من الأحزاب السياسية العراقية ومنها حزب البعث؛ للاتفاق على إسقاط النظام الملكي العراقي، وقد ظهر شيئاً من الخلاف بينه، وبين الحزب الديمقراطي الكردي (البارتي)، ولم يشجع البعث التعاون معه على عكس الحزب الشيوعي في العراق.

وعلى مستوى الوطن العربي هاجم الحزب في العراق، نظام الرئيس السوري أديب الشيشكلي، واعتبره ديكتاتورياً، ودعا إلى جبهة وطنية موحدة تضم جميع الكتل السياسية والحزبية في سوريا لإسقاطه؛ إلا أنه رفض محاولة النظام الملكي العراقي إسقاط النظام السوري، على اعتبار أن ذلك يخدم الاستعمار البريطاني، الذي يحاول الإطاحة بالنظام السوري العميل للولايات المتحدة، وشجب الحزب محاولات الحكومة العراقية إثارة عدم الاستقرار السياسي في سوريا بتهريب السلاح إلى مؤيديها في سوريا، وعلى الصعيد الأردني رحب البعث في العراق بإبعاد كلوب باشا عن قيادة الجيش الأردني عام ١٩٥٦، وطالب بإلغاء المعاهدة البريطانية الأردنية، والاستغناء عن الإعانة المالية البريطانية، وقبول الإعانة العربية، والانضمام إلى المواثيق العربية، وتقوية الجيش الأردني لمجابهة إسرائيل، واعتبر الوحدة العراقية الأردنية بما عرف بالاتحاد الهاشمي الذي تم عام ١٩٥٨، بأنها كانت بإيعاز من الاستعمار ضد الوحدة السورية المصرية، وأيد الثورة المصرية عام ١٩٥٢، لكنه ندد بتقارب الرئيس المصري محمد نجيب من الولايات المتحدة، واعتبر ذلك دليلاً على

---

(٤٩) نفس المرجع السابق، ص ٢٧٠ .



محاولة جديدة من الاستعمار لتكبيل مصر، بيد أنه غيَّر موقفه بعد تأميم قناة السويس، وقال بيان القيادة القطرية حول ذلك: " تأميم قناة السويس نصر جديد للسياسة العربية التحررية"، ودعا الحزب إلى دعم الثورة الجزائرية التي ابتدأت عام ١٩٥٤، ودعا لاستقلال المغرب وتقديم الدعم الموحد لكل من المغرب والجزائر، وإلى تقديم ما يلزم للثورة الجزائرية[٥٠]، ثم أيد الإضرابات التي قام بها العمال في الشركات النفطية، في شركة الدخان العراقية، وفي كل أنحاء الوطن العربي، فحين أضرب عمال شركة أرامكو الأمريكية السعودية، دعا الحزب لمساندة عمالها، وشجب موقف النظام السعودي في ذلك الوقت[٥١].

وفي إطار محاولات البعث في العراق؛ لإسقاط النظام الملكي العراقي، أيَّد الحزب إضراب عمال النفط في البصرة عام ١٩٥٣، ووجَّه نداءً بضرورة مساندتهم ضد استغلال شركات النفط، وضد الحكم الذاتي الذي كان يدعم تلك الشركات، وهاجم الحزب شركة نفط كركوك من موقفها من العمال، وأكدت صحيفته أن عيد مايو ١٩٥٦ يجب أن يكون حافزاً لجمع العرب؛ من أجل تحرير الأمة العربية من الاستعمار والاستغلال، ودعا العمال العراقيين للثورة ضد مستغليهم، وحثَّ نقابات العمال على العمل من أجل العمال، وهاجم الحكومات العراقية الداعمة للاستقلال، واعتبرها عميلة للغرب وضد مصلحة الشعب، وشدد على الحكومات التي يرأسها نوري السعيد، أو أحد مواليه، وهاجم رأي نوري السعيد في حل قضية الإقطاع في العراق، بأن توزع أراضي الإقطاعي على أولاد الاقطاعي بعد وفاته ثم على أحفاده بعد وفاة الأولاد، وبذلك تنتهي مشكلة الإقطاع بعد جيلين أو ثلاثة، واعتبر هذا الرأي خاطئاً؛ لأن الفلاح العراقي وفق ذلك عليه أن ينتظر عشرات

---

(٥٠) نفس المرجع السابق، ص ٢٨١، ص ص ٢٨١- ٢٨٣، أنظر أيضاً حنا بطاطو: **العراق: الشيوعيون، والبعثيون، والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص ٧٥-٨١ .

(٥١) نفس المرجع السابق، ص ٢٧٢.



السنين؛ ليحصل على العدالة في المجتمع، واعتبر الحزب أن كل الحكومات العراقية الملكية موالية لنوري السعيد ورجعية ومفروضة على العراق، ودعا الأحزاب العراقية إلى ضرورة الالتفاف حول جبهة الاتحاد الوطني؛ لإسقاط النظام الملكي وتحرير العراق(٥٢).

كل هذه الأمور جعلت حزب البعث في العراق مساهماً أساسياً في إسقاط النظام الملكي في العراق في ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ بقيادة عبد الكريم قاسم، كما كانت قيادة البعث على علم دقيق وتفصيلي بتلك الثورة وبتنظيمات ضباطها، ولعب الأمين القطري للبعث في العراق فؤاد الركابي دور همزة الوصل مع الجيش، وخاصة مع عبد السلام عارف، وناجي طالب، ورفعت الحاج سري، وناظم الطبقجلي،وعبد الوهاب الشواف، ونجيب الربيعي، وأصبح عبد السلام عارف المعبِّر الأساسي عن أفكار الثورة، ورغم حل القيادة القومية في سوريا نظرياً؛ إلا أن الصلات بين القيادة القومية المنحلة بقيادة ميشيل عفلق، والقيادة القطرية في العراق ظلت كما هي، واعتلى فؤاد الركابي إحدى الوزارات العراقية في حكومة عبد الكريم قاسم(٥٣).

وبحدوث الخلاف بين عبد الكريم قاسم، وعبد السلام عارف، انحاز البعث إلى عبد السلام عارف ذو العلاقة الحميمة بفؤاد الركابي، حيث كان عبد السلام عارف متوافق الآراء مع البعث حول الوحدة، وحول العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة، وقد حاول البعث تهريب عبد السلام عارف من السجن عندما سجنه

---

(٥٢) نفس المرجع السابق، ص ص ٢٧٥ . ٢٧٨، للمزيد انظر:

Elie ,Kedourie,. **"Continuity and Change in Modern Iraqi History,"** Asian Affairs London, June 1975,pp. 140-146.

(٥٣) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٨٥- ٩٩ .



عبد الكريم قاسم، وحرص البعث أيضاً على تقديم مساعدة عائلته مالياً عندما كان في السجن(٥٤).

وما زاد من عداء البعث لعبد الكريم قاسم، إضافة إلى سجنه لأهم أصدقاء البعث في حينها وهو عبد السلام عارف، أن قاسم اعتمد الديكتاتورية الفردية في حكمه؛ بسبب ما أعطى لنفسه من صلاحيات في الدستور الذي أقامه من خلال قوته العسكرية، بعد أن حلَّ جبهة الأحزاب التي تألفت في العراق عام ١٩٥٧، وأسقطت الحكم الملكي عام ١٩٥٨، وكان حزب البعث من أهم أعضائها، فقد أصبح قاسم بموجب الدستور الذي وضعه هو رئيساً للوزراء، الذي كانت له كل الصلاحيات التنفيذية في الدولة، ولم يكن ما سمي بمجلس السيادة برئاسة نجيب الربيعي أي شأن، سوى التوقيع على المعاهدات، والقرارات التي يقررها قاسم، كما سيطر قاسم على التشريع بموجب الدستور، وخاصة من خلال مادتيه الحادية والعشرين والثانية والعشرين، ولم يكن للوزراء أي سلطة على قاسم، خاصة أنه قد احتفظ لنفسه بقيادة الجيش ووزارة الدفاع، كما أجاز قاسم للحزب الشيوعي الذي شكله هو بعد أن حل الحزب الشيوعي القديم، وأجاز الحزب الوطني الديمقراطي ذي الاتجاهات الإقليمية، والحزب الوطني الكردستاني ذي النزعة القومية الكردية الانفصالية، رغم أن الغرب عمل على إثارة الأكراد في الشمال من خلال تركيا وإيران ضد نظام عبد الكريم قاسم، وشجعوا المعارضة الطائفية ضده، من خلال ما عرف بحلف السنتو وهو نفس حلف بغداد بعد سقوط النظام الملكي العراقي وخروج العراق منه، حيث كان قد تحول إلى هذا الاسم، كما قام قاسم بتشجيع وإجازة التيار الإسلامي؛ لأجل استغلاله، وإتباعه أسلوب وجود قوي متقاربة القوة لضربها ببعضها البعض، بحيث تضعف وتنهي نفسها بنفسها، كل هذه الأمور

(٥٤) نفس المرجع السابق، ص١٨٠ .



جعلت بعض الوطنيين الوحدويين ومنهم عبد الوهاب الشواف، ورفعت الحاج سري، وناظم الطبقجلي، وغيرهم، يعارضون حكم قاسم، مما حذا بهم إلى القيام بثورة الموصل عام ١٩٥٩ . لكنها فشلت وأعدم القائمين فيها . وعملت الأحزاب الموالية لقاسم، وأهمها الحزب الديمقراطي الكردستاني، والحزب الشيوعي على تصفية وقمع كل من كان له علاقة بالثورة، رغم أن معظمهم قد شارك في ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨، واشتهروا بوطنيتهم، ثم كان إتباع قاسم لسياسة العزلة السياسية عن الأقطار العربية، وتأكيده على الطابع المحلي للثورة، واتِّخاذه سياسة خارجية ارتجالية بدون أي ضوابط أو محددات، وإخضاعها له بشكل مطلق، وخلقه لأزمة الكويت عام ١٩٦١، مما أثار عداوات بعض الدول العربية ضده، إضافة إلى محاولاته استرجاع مناطق الإمتيازات النفطية الخاصة بالشركات الأجنبية؛ مما أثار له خصومات كبيرة مع دول الغرب، ثم خلقه لأزمة الأكراد من خلال إعطائه صلاحيات كبيرة للحزب الوطني الكردستاني، وإجازة تسليحه، وارتفاع نفوذ التيار الشيوعي في عهده، وتنكره لأهداف ثورة ١٩٥٨، التي كان من أهدافها تحرير العراق من الاستغلال الاقتصادي، وإنهاء القيود التي فرضت على حريات الشعب وحقوقه وإنهاء الوجود الاستعماري على أرض العراق وإرجاعه إلى الركب العربي مع تحقيق الديمقراطية الشعبية، ورفع مستوى الطبقات الفقيرة[٥٥].

كل هذه الأمور ألقت على عاتق البعث العراقي مهمة إسقاط عبد الكريم قاسم، خاصة وأنه لم يبقى في الساحة السياسية سواه، حيث أصبح يعمل في السر بالاتفاق مع القيادة القومية المنحلة نظرياً في سوريا، وكان لسريته خلال هذه الفترة وقعاً نفسياً، وسياسياً، وثقافياً مؤثراً على مريديه الذين كانت تتوافر فيهم النضالية، والصدامية، والصمود، والكتمان، والطاعة العمياء لمرؤوسيهم، معتمدين على نظام

---

(٥٥) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٢٤٣-٢٤٥.



الأرقام للأعضاء، كما أخذ الحزب على عاتقه أنه لابد من إزالة النظام على اعتبار أن البعث يمثل الأمة والشعب؛ لذلك حاول البعث إحداث انشقاقات في نظام عبد الكريم قاسم، ثم حاول قتله عام ١٩٥٩ من خلال بعض الأعضاء البعثيين، حيث تم التنسيق بين فؤاد الركابي في العراق، وحازم جواد الذي كان لاجئاً في سوريا وبين بعض البعثيين في العراق، كما كان يتم تهريب السلاح عبر الحدود إلى العراق، من خلال العقيد السوري أمين الحافظ•، وقد تمت محاولة الاغتيال بالتنسيق أيضاً مع القيادة القومية المنحلة في سوريا؛ لكن فشلت المحاولة وقتل في العملية عبد الوهاب العزيري، وهرب فاتك الصافي، و**صدام حسين مجيد التكريتي**، كلاجئين إلى سوريا، وقد أصيب صدام حسين بساقه في هذه العملية [٥٦].

كما كان نظام الوحدة بين سوريا، ومصر يقدم المساعدات للبعثين العراقيين من مساعدات مالية، وأجهزة إرسال إذاعي، واتصالات لاسلكية، ويدربهم في معسكرات خاصة؛ بسبب الخلاف بين نظام الوحدة بقيادة عبد الناصر . ونظام عبد الكريم قاسم في العراق، كما أشرف أحد البعثيين العراقيين ضمن الجمهورية العربية المتحدة في دمشق على إذاعة " **صوت العراق الحر** " وهو عبد الهادي الفكيكي [٥٧].

• أصبح رئيساً لسوريا خلال الفترة (١٩٦٣-١٩٦٦)، حيث يعتبر أول رئيس بعثي تسلم الحكم في سوريا، ثم قامت مجموعة من الضباط بالانقلاب عليه بحركة ٢٣ فبراير ١٩٦٦، وبذلك انشق البعث السوري عن العراقي الموالي للقيادة القومية (الباحث) .

(٥٦) أديت وائي، إيف بينروز، مرجع ساق ذكره، ص ص ٢٥١ – ٤٥٢، أنظر أيضاً هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٤٦ . ٢٧٧، ص ص ١٣٩ – ١٤٢ .

(٥٧) هاني الفكيكي،، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٦٠ – ١٨٥، ص١٣٥



كما كان هناك تنسيق بين البعث في العراق والسفارة الأمريكية عن طريق مساعد الملحق العسكري في بغداد وليم ليكلاند منذ عام ١٩٦٢؛ بغية إسقاط عبد الكريم قاسم(٥٨).

وكانت استراتيجية البعث لإسقاط عبد الكريم قاسم، هو التعاون مع الضباط العسكريين في الجيش الذين رفضوا مواقف قاسم، وتذمروا منها وأيدوا التعاون مع القوميون الوحدويين والناصريين والبعثيين (٥٩).

ثم قام البعث بإشعال المظاهرات في بغداد للاحتجاج على ارتفاع أسعار البنزين في مارس ١٩٦١، ثم حدث إضراب عام ١٩٦٢ للاتحاد الوطني لطلبة العراق، ثم اتبعه اضطراب الطلبة في كلية الآداب، بعد فترة وجيزة من نفس العام، وفي بداية عام ١٩٦٣، أصدر الاتحاد الوطني لطلبة العراق، نداءاً إلى جميع منظمات الطلبة، والشبيبة في العالم لتحقيق عدة مطالب، ثم حدث اعتصام مائتي طالب في مقر جامعة بغداد، وأعلنوا إضرابهم عن الطعام، ثم حدثت مواجهات بينهم، وبين الانضباط العسكري، وفي هذه الأثناء أقرت القيادة القطرية في العراق التعاون مع الأكراد؛ لإسقاط عبد الكريم قاسم، مقابل إقرار الحقوق الثقافية للأكراد ولامركزية الحكم فيما لو استلم البعث السلطة في العراق(٦٠).

كل هذه الأمور أثارت الرأي العام في العراق، ومهَّدت الأجواء لتدخل بعض ضباط الجيش البعثيين ضد نظام عبد الكريم قاسم، حيث قاموا بحركة الثامن من فبراير ١٩٦٣، وقتلوا قائد القوة الجوية، ثم قصفوا وزارة الدفاع، وفي اليوم التالي،

---

(٥٨) نفس المرجع السابق، ص ١٨٠، أنظر أيضاً، أديث وائي، إيف، بينروز، ص٢٣٧ .

(٥٩) شفيق عبد الرازق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص١١٠-١١٣ .

(٦٠) نفس المرجع السابق ص١١٥، أنظر أيضاً هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره ص١٧١، ص١٩١.

تم قتل عبد الكريم قاسم[٦١]، وهكذا وصل البعث إلى السلطة في العراق، وكان أهم رموزه خلال هذه الفترة علي صالح السعدي الذي تسلم الحرس القومي، وأحمد حسن البكر الذي عينه البعث رئيساً للوزراء، حيث لم يرد البعث احتلال منصب الرئاسة، على اعتبار أنه استلم الحكومة برئاسة أحمد حسن البكر، وكان عبد السلام عارف حليفاً رئيسياً للبعث، واستولى البعثيون على معظم الوزارات العراقية، وخاصة الرئيسية منها، أما حازم جواد فقد تسلم القيادة القطرية للحزب في العراق، وعلى هذا الأساس فقد أصبح الحكم بعثي يؤازره بعض القوميين الناصريين وعلى رأسهم عبد السلام عارف.

وعلى ذلك يلاحظ من خلال دراسة مرحلتي نشوء البعث في سوريا والعراق، عدة أمور تميز فيها حزب البعث سواء بقيادته القومية، أو بقيادتيه القطريتين في سوريا، والعراق وأهم هذه الأمور هي:

١- ظهرت مشاهد انقسام عديدة في الحزب أهمها: انقسام الأمين القطري في الأردن عبد الله الريماوي، بعد أن اتهمته القيادة القومية بالخيانة؛ لأنه تعامل مع مخابرات عبد الحميد السراج في عهد الوحدة، وانقسام الأمين القطري في العراق فؤاد الركابي، حيث اتهمته القيادة القومية المنحلة نظرياً في عهد الوحدة؛ بعدم تنفيذ أوامر القيادة، فشكل في مصر تنظيم الوحدويين الاشتراكيين، وأصبح وثيق الصلة بعبد الناصر في مصر، وفي المؤتمر القومي الخامس في بيروت، ظهر انقسام أحد قيادتي الحزب في سوريا وهو أكرم الحوراني، الذي انفصل عن البعث وشكل حزباً جديداً هو "الاشتراكيون العرب"، وكان ذلك بسبب

(٦١) Abbas ,Kelidar,. **The Integration of Modern Iraq**. New York: St. Martin's Press, 1979.pp.50-60. **also Look**:
أديث وائي، إيف، بينروز، مرجع سابق ذكره، ص ص ٤٥١ – ٤٥٢ .



خلافه مع ميشيل عفلق حول قيادة الحزب، ثم ظهر في المؤتمر القومي السادس عام ١٩٦٣، مشهد انقسام علي صالح السعدي عن حازم جواد، بعد وصول البعث إلى السلطة في العراق، ثم انفصال القيادة القطرية في العراق عن القيادة القومية، وهذا سهَّل كما سنرى في الفصل القادم، من اختراق الحزب من قبل بعض العناصر العسكرية، وعلى صعيد سوريا أيضاً حدث فيما بعد انقسام القيادة القطرية عن القيادة القومية في سوريا عام ١٩٦٦، حيث كانت بوادر هذا الانقسام منذ الوحدة بين سوريا، ومصر عام ١٩٥٨، وذلك عندما قام نائب حماه عبد الكريم زهور، بالسعي للانفصال عن القيادة القومية، بدعوى أنها قبلت بحل الحزب، فتألفت **حركة سيناء** فيما بعد من قبل مجموعة من العسكريين البعثيين، التي قامت بحركة ٢٣ فبراير ١٩٦٦ في سوريا، واتهمت القيادة القوية بالعمالة والسقوط[٦٢].

٢- تميز معظم أعضاء البعث بالشباب، وكان معظم البعثيون من الطبقات البرجوازية الصغيرة، أو من الطبقات الكادحة، وكانت في معظمها من أصول قروية، وفي العراق تحديداً تميزت معظمها بأنها شيعية، حيث كانوا متأثرين بوضعهم الطبقي، في ظل نظام معظم ضباطه من السنة[٦٣].

٣- الصلات القوية بين القيادات القطرية في كل من سوريا والعراق، فقبل وصول البعث إلى السلطة في العراق كان يتلقى الدعم من القيادة القطرية والقومية في سوريا، وعندما وصل البعث إلى السلطة في العراق عمل على إثارة عدم الاستقرار الداخلي في سوريا ضد النظام السوري في عهد ناظم القدسي، مما

---

(٦٢) عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص ٤١٥، انظر أيضاً، هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٠٠ – ١٠٣ .

(٦٣) حنا بطاطو، **العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٥٢-٧٦.



أدى إلى سقوطه بعد شهر واحد فقط من وصول البعث العراقي إلى السلطة في العراق[٦٤].

٤- تميزت بعض قيادات البعث في العراق بأنها لم تكن على درجة كبيرة من التمرس السياسي، أو المستوى العلمي، الذي يؤهلها لتسلم حكم العراق، إضافة إلى ما كان له دور في وصولها إلى هذه المراكز الحساسة، من عوامل إقليمية ومذهبية فعلى سبيل المثال كان علي صالح السعدي، وهاني الفكيكي، وصلاح التكريتي، معلمين ابتدائي، أما أحمد حسن البكر ومروان التكريتي وصالح مهدي عماش، فكانوا ضباطاً[٦٥]، وبالنسبة إلى صدام حسين التكريتي فقد كان طالباً في الحقوق لم يكمل دراسته، لكن القيادة القطرية في العراق أتاحت ترفيعه من عضو عادي في الحزب إلى عضو في القيادة القطرية في الحزب، وأصبح له رأي مسموعاً أمام أرفع السلطات الحزبية، خاصة بعد توصية الأمين القومي للحزب به [٦٦].

مما سبق نرى أن نشوء حزب البعث في كل من سوريا والعراق كان متأثراً إلى حد بعيد بمشكلات المجتمع السوري أوالعراقي، وبالوضع الاجتماعي والسياسي لأفراد الشعب العراقي، إضافة إلى الوضع الإقليمي والعالمي، فكل هذه الأمور

---

(٦٤) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٠٢ – ٢٠٤ .

(٦٥) **سعد جمعة**، مجتمع الكراهية، **مرجع سابق ذكره، ص٥٩، للمزيد أنظر: Ba'ath party**، مأخوذ من الموقع: http://www.infoplease.com/ce6/history/A0805601.htm

(٦٦) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص١٩١



ساهمت في وجوده على الساحة العراقية، ومن ثم نفوذه من خلال الجيش إلى السلطة في بداية عام ١٩٦٣م.



المطلب الثالث

أيديولوجية وفكر حزب البعث وآراءه

حول التمايزات المجتمعية في المجتمع العربي

١. أيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي

لابد لتبيان أيديولوجية حزب البعث من التعرف على مبادئه التي نادى بها في مؤتمره التأسيسي عام ١٩٤٧، وما طرأ عليها من تعديلات بعد ذلك، وهل تناسبت هذه الأيديولوجية بتطوراتها مع تطورات المجتمع خاصة في الأقطار التي ظهر فيها البعث بقوة مثل سوريا، والعراق، ثم نأتي إلى تفسير هذه الأيديولوجيا على ضوء فكر المؤسس الرئيسي لحزب البعث العربي الاشتراكي وهو ميشيل عفلق، إضافة إلى بعض المنطلقات النظرية في فكر الحزب.

مبادئ حزب البعث في مؤتمره التأسيسي(٦٧)

١- حزب البعث العربي الاشتراكي هو حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الأقطار العربية، وهو لا يعالج السياسية القطرية، إلا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا.

٢- أنه حزب قومي يؤمن بأن القومية العربية حقيقة حية خالدة، وأن الشعور القومي الواعي الذي يربط الفرد بأمته ربطاً وثيقاً هو شعور مقدس.

---

(٦٧) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٧٤ – ٢٧٥، للمزيد حول أيديولوجية البعث، انظر الملحق .

٣- يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية، وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الانقلاب والنضال، وإن الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالإصلاح الجزئي السطحي يهدد هذه الأهداف بالفشل والضياع.

٤- حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد مقدسة، ولا يمكن لأي سلطة أن تنتقصها.

٥- السيادة ملك الشعب، وأن قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن إرادة الجماهير، كما أن قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها.

٦- إقامة نظام نيابي دستوري، السلطة التنفيذية فيه مسؤولة أمام السلطة التشريعية التي ينتخبها الشعب مباشرة.

٧- السلطة القضائية مصونة، ومستقلة عن أية سلطة أخرى، وتتمتع بحصانة مطلقة.

٨- يسعى الحزب لوضع دستور للدولة؛ يكفل للمواطنين المساواة المطلقة أمام القانون، والتعبير بملء الحرية عن إرادتهم، واختيار ممثليهم اختياراً صادقاً ويهيئ لهم بذلك حياة حرة ضمن نطاق القوانين.

٩- اعتبار الاشتراكية ضرورة منبثقة من صميم القومية العربية، واعتبارها النظام الأمثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق إمكانياته، وتفتح عبقريته على أكمل وجه.

١٠- الثروات الاقتصادية ملك للدولة.

١١- يمنع استثمار جهد الآخرين.

١٢- يعاد توزيع الثروات توزيعاً عادلاً.

١٣- تدير الدولة المؤسسات ذات النفع العام، وتمتلك وسائل الإنتاج الكبرى ومصادر الثروة.

١٤- تشرف الدولة على التجارة الداخلية، والخارجية إشرافاً مباشراً.

١٥- تحدد الملكية الزراعية بمقدور المالك على الاستهلاك.



١٦- تباح ملكية العقارات على ألا تستثمر.

١٧- يشترك العمال في إدارة المعمل ويمنحون نصيباً في الأرباح عدا أجورهم.

١٨- يوضع برنامج شامل للتصنيع على ضوء أحدث النظريات.

١٩- يؤمَّن الطب للجميع.

٢٠- العمل إلزامي للجميع وتضمن الدولة معيشة العاجزين.

٢١- يلغى التفاوت الطبقي والتمايز الطبقي.

٢٢- حرية التملك والإرث مصونة في حدود المصلحة القومية.

وقد نص دستور البعث على أن العرب أمة واحدة، وإن المشاكل القطرية يجب أن تحل على أساس النظرة القومية، لهذا السبب فقد رفض البعث تحديد عمله في قطر عربي واحد، واعتبر أن مجال عمله يشمل جميع الأقطار العربية[٦٨].

ويرى أن الاشتراكية هي اشتراك جميع أفراد المجتمع في إنتاج الثروة وتوزيعها؛ بقيام الدولة بالهيمنة على هذين الجانبين الإنتاج والتوزيع، على اعتبار أنهما أساس الحياة الاقتصادية، وهذه الاشتراكية لا تنكر وجود الدولة أو تعاديها لكنها تثق في الدولة ومقدرتها على إدارة، وتوجيه الحياة الاجتماعية، والاقتصادية بما يقضي على الشرور الناجمة عن الحرية الفردية، ويؤدي إلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية التي تتضمن كفالة مستوى لائق من المعيشة للأفراد وخاصة الطبقات الفقيرة، فغاية الاشتراكية هي الفرد وتحقيق نموه الكامل بعيداً عن استغلال الطبقات المالكة، والرأسمالية[٦٩].

---

[٦٨] شفيق عبد الرازق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص٩٦ .

[٦٩] نفس المرجع السابق، ص١٤٠.



ويرى البعث أن العرب أمة واحدة لها حقها الطبيعي في أن تحيا في دولة واحدة وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها، ولهذا فإن حزب البعث يعتبر أن[٧٠]:

١- الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ، ولا يمكن لأي قطر من الأقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلاً عن الآخر.
٢- الأمة العربية وحدة روحية ثقافية وجميع الفوارق القائمة بين أبناءها عرضية زائفة تزول بيقظة الوجدان العربي.
٣- الوطن العربي للعرب، ولهم وحدهم حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجهي مقدراته.

كما يعتبر أن العرب أمة واحدة، وعليهم أن يؤلفوا دولة واحدة في وطن واحد، وأن لغتهم تعبِّر عن أصالتهم، ورسالة الأمة تتجلى في نشر التضامن والإخاء بين الأمم، والوطن العربي هو أرض سكنها العرب، ونشروا فيها لغتهم وطبعوها، وكل أرض اغتصبت من أراضي العرب هي جزء من الوطن العربي، ويعمل الحزب على إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف الدينية، والمذهبية، والعنصرية، والطبقية، ويهدم النظم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية الفاسدة، وأنه قد وضع نظم تتفق مع طبيعة العرب، وحاجاتهم في العصر الحاضر[٧١].

وقد نادى بضرورة إزالة الهيمنة الأجنبية، وتأميم الصناعة وتوفير خدمات اجتماعية شاملة، وهذه الأمور تتحقق بواسطة ثلاثة مبادئ هي: الاستقلال العربي

(٧٠) أبو خلدون ساطع الحصري، **العروبة بين دعاتها ومعارضيها**، ط٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥، ص ص ١٢٠-١٢٣ .
(٧١) نفس المرجع السابق، ص ١٢٣ .

التام، والاشتراكية من خلال حزب دولة واحدة، وأن هذه الأشياء غير قابلة للتعديل(٧٢).

ويرى أن راية الدولة العربية هي راية الثورة العربية التي انفجرت عام ١٩١٦ لتحرير الأمة العربية•، وتوحيدها، لذلك فعلم البعث يحتوي على أربعة ألوان هي الأبيض الذي يرمز للعهد الراشدي، والأخضر الذي يرمز للعهد الأموي، والأسود الذي يرمز للعهد العباسي، أما المثلث الأحمر فهو تعبير عن دماء الشهداء الذين ضحُّوا من أجل الأمة العربية.

لكن رغم كل هذه الأمور إلا أنه قد أخذت عدة مآخذ على البعث، فقد وصف الأمين العام للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي منيف الرزاز● حزب البعث العربي الاشتراكي بأنه: حزب الطوائف، فقد تفنن البعث في اختراع تسميات التجزيء، ففرز الناس إلى: تقدمي ورجعي. وأسس لمشروع الحقد الطبقي، واعتبر الحقد المجتمعي مقدساً، فإذا ذُكر التجار في أدبيات البعث فيجب أن يشار إليهم بـ "صغار الكسبة والحرفيين"، لأن الكبار كانوا خارج القوس البعثي، وإذا ذكر المثقفون وجب أن يقيد الذكر بـ"المثقفين الثوريين"؛ لأن الآخرين يجب أن يلقوا في زوايا الإهمال، وهذا مما لا شك فيه سيكون له ردة فعل سلبية

---

(٧٢) ناجي أبي عاد، وميشيل جريتون، **النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط**، ترجمة محمد نجار، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٧٧

• أنظر دستور حزب البعث في الملحق .

• تولي أمانة القيادة القومية عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥،أما باقي السنوات فكانت من نصيب ميشيل عفلق حتى وفاته سنة ١٩٨٩، (الباحث).

على الوحدة الوطنية، فحتى على الصعيد الحزبي نفسه مُيز البعثيون إلى يمينيين ويساريين، وادعى كل فريق لنفسه لقب اليسار وافتخر به [(٧٣)].

أما على صعيد الحرية، فقد نادى البعث بها؛ لكنه لم يضع لها المحددات، فقد نادى بأن " **لاحرية لأعداء الشعب**"، فلم يحدد من هم أعداء الشعب في مجتمع عربي مليئ بالقوميات، والطوائف، كما شكلت المادة الثامنة من الدستور صورة من صور الانتداب، ووضعت الحزب في مقام المندوب السامي، حيث اعتبرت فريقاً من المواطنين أوصياء على الآخرين، بما صار في أيديهم من أدوات القوة والإكراه من خلال تسلمه السلطة[(٧٤)].

وأما ما يسمى بالجيش العقائدي الذي ورد في دستور البعث، فمن المعروف أن مفهوم الجيش الوطني إنما يرتبط من الناحيتين البنيوية والوظيفية بمفهوم الوطن، والمواطن أي أن بنيته يلزم أن تعكس وتنعكس عن البنية الاجتماعية للوطن وأن ترتبط أساساً بالدفاع عن الوطن ضد أي عدوان خارجي محتمل، وإذا ما حاد الجيش عن هذه المهمة، وتحول إلى قوة أمن داخلي تحت ذريعة الحفاظ على النظام والدفاع عن الثورة؛ فإنه يكون قد تحوّل إلى جيش عقائدي – بالمعنى السلبي للمفهوم – ذلك أن مفهوم الجيش العقائدي غالباً ما يرتبط مع أيديولوجيا عصبوية تعكس آراء ومواقف ومصالح جزء أو أجزاء محددة، وقد تكون محدودة من المجموع الكلي للشعب، وإن أي نظام سياسي غير ديمقراطي، هو بالضرورة نظام أقلّية ما سواءاً كانت دينية، أو طائفية، أو قومية، أو قبلية، أو حزبية...الخ، وأن الجيش ! هو وسيلتها للوصول والاستمرار في السلطة، وأن إضافة صفة العقائدي

(٧٣)البعث الذكرى الحادية والأربعين للتجربة المرة (تقرير خاص)، ٢٠٠٤/٤/٨، أخذ من الموقع:
http://www.aliraqi.org/forums/showthread.php?t=44760

(٧٤)نفس المرجع السابق.



إلى كلمة الجيش، لا يعدو أن يكون غطاءاً يحاول النظام الذي يحكم في ظل تلك الأيديولوجية أن يستر بها ديكتاتوريته، والذي – الجيش العقائدي – يتداخل ويتكامل دوره السياسي في احتكار السلطة مع الغطاء الأيديولوجي الديني، أو الحزبي الذي يتخفى تحته هذا النظام، ويصبح معداً للنكسات، والهزائم العسكرية المذلة التي يحصد عواقبها الشعب بصورة أساسية، لكن لا يعني أن الجيش الوطني – الغير عقائدي –هو جيش بلا عقيدة؛ لأن كلمة وطني بحد ذاتها مشبعة بالمضمون العقائدي، ولكن المضمون الذي يعكس وينعكس عن العقيدة الكلية للأمة والوطن بكل أطيافهما، وليس عقيدة فئة محددة ومحدودة منهما، لكن حزب البعث دعا للجيش العقائدي الممثل للحزب، ولم يدعو لإقامة الجيش الوطني الممثل للشعب بكل أطيافه،وفئاته.

ومن جهة أخرى فإنه عندما يكون التمثيل الشعبي للنظام ضعيفاً، فهو لا يستطيع أن يضع كامل ثقته في الجيش العقائدي أو في الحزب القائد أو في المنظمات الشعبية، ذلك أن النظام، وبحكم تمثيله الشعبي الأقلياتي، لا يستطيع أن يمسك بكافة المفاصل الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تشكل البنية العامة والخاصة، لهذه المؤسسات، وبالتالي فإن انحسار سيطرته على المفاصل الحساسة فيها فقط، يجعله يتخوف منها،مما يدفعه إلى إحاطة نفسه بمجموعة من الأسوار الأمنية التي تتداخل في بنيتها صلة القرابة، والمنافع المادية، وتتداخل في وظيفتها مراقبة المجتمع مع مراقبة بعضها بعضاً، ويتداخل في وضعها القانوني، الدستور والقوانين النافذة مع حالة الطوارئ التي تمثل إسقاط أي قرار دستوري وقانوني حتى ولو كان إيجابياً، وخاصة أن السيطرة على الجيش والحزب تضمن للنظام السيطرة على السلطتين التشريعية والقضائية، والمنظمات الشعبية، حيث تتحول جميعها إلى مجرد واجهات للنظام[٧٥].

---

(٧٥) **A Country Study: Iraq,** U.S. Library of Congress .5/1988.



كما نلاحظ من خلال تتبعنا لأيديولوجية، وفكر البعث؛ فنرى أنها أيديولوجية علمانية ليس للدين فيها أي ذكر، على اعتبار أنها تجمع الأمة العربية بكافة أطيافها، وأنها أيديولوجية اشتراكية تعمل على إزالة الحواجز الطبقية في المجتمع العربي، وهي أيديولوجية وحدوية تنادي وتعمل من أجل توحيد الأقطار العربية كافة تحت قيادة واحدة هي قيادة البعث، الذي من المفترض أن يوحدها ويوجهها وفق أيديولوجيته؛ لكن اتسمت هذه الأيديولوجيا بغموضها؛ فلا إستراتيجية معينة لكيفية تحقيق الوحدة العربية، ولا كيفية سيطرة القيادة القومية على القيادات القطرية في الدول العربية فيما لو وصلت إلى السلطة في أي من هذه الدول، ولا وضوح للاشتراكية البعثية، حيث نادت بحق الملكية والإرث، وضرورة دفع الفرد للتنافس مع الآخرين،وتشجيع الدوافع الفردية للأفراد، فالمادة الخامسة من دستور البعث التي تقول "تحديد الملكية الزراعية بما يتناسب ومقدرة المالك على الاستهلاك"، هي غامضة لأنها مسألة نسبية، كما تشير مواد أخرى إلى إلغاء التمايز الطبقي بين الأفراد، وسيطرة الدولة على التجارة الداخلية، والخارجية، وعلى موارد الإنتاج، واشتراك العمال في إدارة المعمل، ومنحهم نصيباً من الأرباح، وعلى هذا الأساس تختلط الرأسمالية مع الاشتراكية في أيديولوجية البعث، كما أن هذه الأيديولوجية تتجاهل تماماً الفوارق بين الأقطار العربية، وتلك الفوارق التي ترسخت عبر الزمن وأصبحت عائقاً كبيراً أمام اتحاد الكثير من الأقطار العربية، كما تتجاهل كيفية التعامل مع الأقليات العرقية في الأقطار العربية فلا يكاد يخلو قطر عربي من وجود أقليات إثنية فيه، كما أن إيمانها ودعوتها للقومية العربية قد أثار تلك القوميات العرقية على أساس أن هذه الأيديولوجية؛ تهدف إلى إذابتها ضمنياً، وعلى ضوء هذه الملاحظات، كيف استطاع مؤسسو حزب البعث وفي مقدمتهم ميشيل عفلق، الإجابة عن هذه التساؤلات، وتفسير هذه الأيديولوجية، وما هو النقد الذي وجهه



إليه، أو إلى هذه الأيديولوجيا من قبل السياسيين والمفكرين من التيارات المختلفة في المجتمع العربي؟.

٢- فكر ميشيل عفلق في تفسير أيديولوجية حزب البعث

يعتبر ميشيل عفلق المنظر الأول لحزب البعث، فهو الأمين القومي للحزب منذ نشأته، وظل فيلسوفه حتى مماته في عام ١٩٨٩، ولم يترك الحزب أو ينقطع عنه سوى لسنوات معدودة امتدت من عام ١٩٦٤ وحتى عام ١٩٦٥، وعلى هذا الأساس يعتبر هو المعبر الرئيسي عن فكر البعث، وخاصة في العراق؛ لأن القيادة القطرية في سوريا انفصلت عنه منذ عام ١٩٦٦، وأصبح تفسيرها لتلك الأيديولوجيا ينطلق من مفهومها الذاتي أكثر من اعتمادها على مفاهيم مؤسسي الحزب.

وقد انطلقت هذه الأفكار من خلال مجموعة أحاديث ومقالات ميشيل عفلق، والتي اتسمت بالغموض في بعض الأحيان، وكانت فلسفية -كما سنرى- رومانسية أكثر منها علمية، ولا تقبل مقارنتها بأي مثيلٍ لها من الأفكار، والتيارات، والنظريات السياسية في العالم سواءاً كانت شيوعية، أم ليبرالية موجودة في المجتمع، كما تحتوي هذه الأفكار على وصايا منظر البعث ميشيل عفلق لكل الأعضاء البعثيين في الوطن العربي.

• آراءه حول الاشتراكية والطبقية في المجتمع العربي

يقول ميشيل عفلق:

" أن العرب يعانون مشكلة أساسية واحدة هي استسلامهم لطبقة اجتماعية تقوم على الاستثمار والاستئثار، وهذا الوضع يشكل ضعفهم الداخلي والخارجي؛



لأنه يخنق معظم قواهم وإمكانياتهم في الداخل ويظهرهم أمام العالم بمظهر الشعب المتخلف " [٧٦].

ويقول أيضاً:

" إن الفئة المتحكمة اليوم بمصير البلاد مسوقة حتماً إلى استغلال الحكم بكل الوسائل؛ لأنها مضطرة إلى إرضاء الأسرة الكبيرة التي إنما جاءت هذه الفئة إلى الحكم لتحتل مصالحها، وإلى إرضاء الأنصار الذين تعتمد عليهم وتسيِّر مصالح كبار التجار الذين يسندونها في الظروف الحرجة... ولكن الخطر الحقيقي الجسيم هو في أن هذه الفئة الحاكمة لكي تصل إلى ما تريد من استغلال لثروة البلاد ووظائف الدولة، لا تستطيع أن تلجأ إلى قوة الجيش، ولابد لها لذلك من أن تحتال على دستور الدولة وقوانينها، لكي تحول دون مراقبة الشعب لها، واعتراضه على أعمالها، من هنا يأتي عداءها للحرية واعتداءها عليها"[٧٧].

ويستطرد الكلام حول الطبقية في المجتمع العربي بأنها المشكلة الكبرى التي يواجهها الشعب الكادح، وأن الوسيلة لتحرره من الظلم والعبودية هو؛

إسقاط النظام القائم ومن ثم الإجهاز على الطبقة المستغلة وعلى ذلك يقول:

" فمصيبة العرب في هذا الدور هو أن الطبقة التي فرضت نفسها عليهم تعيش في طريق معاكس تماماً لنفسيتهم وآمالهم، فهي طليقة شائخة، طبقة فاسدة، أفسدها الترف، أفسدها الاستعمار، أفسدها ظلمها للآخرين، ونفسية

([٧٦]) ميشيل عفلق، **البعث والاشتراكية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣، ص٣٩، انظر أيضاً: ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٨٠-٨١ .

([٧٧]) نفس المرجع السابق ص ص ٤٠-٤١ .



الظالم، نفسية المستثمر، نفسية الغاصب، هي دوماً نفسية شائخة هرمية متعبة، لذلك تنظر هذه الطبقة إلى أبسط الأمور وتحسبها غاية ما يطمح إليه ويرغب فيه، تنظر إلى مظاهر بسيطة من التقدم، فتقول للشعب، للأمة العربية جمعاء، هذا أقصى ما يمكن أن تصلى إليه"[٧٨].

وعلى هذا الأساس يرى ميشيل عفلق أن العدو الأساسي للشعب هو في طبقة الأغنياء، وأن مشاكلهم لا تحل إلا بانهيار هذه الطبقة، ولا يدرك أن الكثير من أفراد هذه الطبقة كان لهم دورهم البارز في تحقيق استقلال الكثير من البلاد العربية وفي مقدمتها سوريا، فهو لا يدعو إلى زيادة الاستثمار في الدولة كما فعلت الدول الرأسمالية المتقدمة، ولا يدعو إلى الضمان الاجتماعي للعمال في ظروف عملهم، لكنه يدعو إلى تدمير بينة المجتمع الطبقية، وإحلال سلطة الدولة على هذه الممتلكات الصناعية والزراعية، رغم أن هذه السياسة قد أثبتت فشلها فازداد الفقر في معظم المجتمعات التي حلت بها الشيوعية، وهذا ما يفسر انهيار الاتحاد السوفيتي، والدول الأوروبية الشرقية، وإتباعها بعد ذلك نظام السوق، وعودة التنافس الاقتصادي بين الأفراد لزيادة الإنتاج، وزيادة الدخل القومي الذي يؤدي إلى زيادة الدخل الفردي.

وعن تفسيره لمعنى الاشتراكية فاتسم بالتضارب والتناقض فهو يقول:

" الاشتراكية تعني دوماً تأميم المرافق العامة، والصناعات الحيوية الكبرى، كما تعني التوزيع العادل للأراضي، وإشراف الدولة، أو وضع يدها على التجارتين الخارجية والداخلية... الاشتراكية ليست غاية في حد ذاتها؛ بل وسيلة ضرورية لتضمن للمجتمع أعلى مستوى من الإنتاج مع أبعد حد من الانسجام

---

(٧٨) نفس المرجع السابق ص ٤٥، للمزيد أنظر:

Baath Party: Encyclopedia II - Baath Party – Origins



والتضامن بين المواطنين.. الاشتراكية أن ترفع عن صدر أكثرية مواطنينا هذه الأثقال، أثقال الفقر والجهل والمرض، وترجعهم إلى طريقهم الطبيعي السوي، وتقول لهم أنتم أبناء الوطن، لكم ما لغيركم من الحقوق، فانطلقوا، أو أنتجوا، وأبدعوا حتى ترفعوا بناء وطنكم وتكونوا عنوان فخر لأمتكم"[٧٩].

فهذا تفسير يشبه التفسير الشيوعي للاشتراكية، لكنه في مكان أخر يربط هذه الاشتراكية بالعروبة فيقول: " الاشتراكية العربية: تستمد من روح الأمة العربية وحاجاتها العميقة وأخلاقها الأصلية، وتزود أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب العربي بكل الوسائل والفرص؛ ليستطيعوا تحقيق عروبتهم على أكمل وجه"[٨٠].

لكن ما الذي يربط بين العروبة والاشتراكية، هل تبنى المجتمع العربي منذ القديم وحتى نشوء البعث المنهج الاشتراكي؛ ليزدهر ويتقدم؟ رغم أن الكثير من المجتمعات قد تقدمت بدون تبنيها لهذا المنهج، وبعضها تبنى الاشتراكية دون ربطها بالمحتوى القومي، وهذا ما أدى إلى تضارب بين مفهومه السابق الذي يشبه المفهوم الشيوعي، وبين مفهومه الأخر الذي يربطها بالقومية العربية.

لكن ميشيل عفلق يقارن في مكان أخر بين اشتراكية البعث، والاشتراكية الشيوعية بقوله:[٨١].

---

(٧٩) نفس المرجع السابق، ص ص ٤٧-٥٤.

(٨٠) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، بغداد: دار الحرية للطباعة، د ت، ص ص ٢٥-٢٨، وحول تأثره بالشيوعية ومبادئها، وترتيباتها أنظر:

Ruling party learned from .The Scotsman newspaper.29 March. 2003 GEORGE KEREVAN .**Nazis**

(٨١) نفس المرجع السابق، ص ص٢٠٩ – ٢١٠.



- " الاشتراكية الشيوعية قضت على حق التملك، وبذلك قضت على الدوافع الغريزية للأفراد، بينما اشتراكية البعث تعتبر أن أغزر قوة في الأمة تكمن في الدوافع الذاتية للأفراد.
- الشيوعية لا تعترف بحق الأرض، بينما اشتراكية البعث تعترف بذلك.
- اشتراكية الحزب الشيوعي تعد الشعب العربي؛ بأنها ستحقق حاجاته الماسة إلى الاشتراكية في حين أن غايتها ربط مصير العرب بمصير دولة أخرى هي روسيا.
- الحزب الشيوعي يدعو للأممية اللاقومية، بينما البعث يدعو للدولة العربية القومية.

إلا أن البعث دعا على الإصلاح الزراعي والتأميم، أما حق التملك الذي رآه فهو حق لا يسمح له بالمنافسة، والإنتاج الكثيف، وتحقيق الإنتاج الكبير على غرار الإنتاج في الدول المتقدمة، كما أن الحزب الشيوعي السوفيتي نفسه قد تحول إلى حزب قومي في عهد ستالين، وعلى هذا فيتشابه الحزبان حول الاشتراكية، ورغم ذلك يهاجم ميشيل عفلق الشيوعية في آراءه ويعتبرها غريبة

عن المجتمع العربي فيقول:

"الشيوعية غريبة عن كل ما هو عربي..... إن الشيوعيون يتجاهلون النظريات، والأنظمة المنبعثة من حضارة العرب، وأوضاعه لا تلبي حاجات البيئة العربية، ولا تلقى فيها قبولاً....... إن الشيوعية ليست مجرد نظام اقتصادي بل هي

رسالة مادية أممية مصطنعة تنفي حقيقة القوميات في العالم، وتنكر الأسس الروحية والوثائق التاريخية التي تقوم عليها الأمة"[٨٢].

إلا أنه رغم ذلك التطبيق العملي للشيوعية في البلدان التي قامت فيها؛ إلا أنها كانت قومية إلى حد بعيد، فرغم أنها دعت إلى الأممية، لكنها أممية من أجل تحقيق مصالح القطب الشيوعي في فترة الحرب الباردة بين المعسكرين، كما أن هذه الأقوال من ميشيل عفلق لا تتفق مع آراءه في الأربعينات من القرن الماضي حيث يقول: " إن العرب وبطبيعة طموحاتهم وتقاليدهم، هم في صف الديمقراطيات الغربية ضد التجاوزات الشيوعية للفكر القومي والديمقراطي والتقاليد العربية نفسها"[٨٣]، كما يدعو في مكان آخر أن الاشتراكية هي: "تحقيق الذات العربية، ومن الممكن أن تنفصل عن الديمقراطية"[٨٤].

لكنه يقول في موضع آخر:

"إن التوزيع الراهن للثروة في الوطن العربي ليس توزيعاً عادلاً.... لا يمكن للنضال القومي أن يتم حالياً؛ إلا إذا كان يستند إلى كل العرب، وهؤلاء لن يشتركوا فيه إلا إذا كانوا مستغلين.. الاشتراكية ضرورة تنبع من عمق القومية العربية، إذ أنها تشكل النضال المثالي الذي سيسمح للعرب، بتحقيق إمكاناتهم، وتطوير نبوغهم حتى الكمال"[٨٥].

([٨٢]) نفس المرجع السابق، ص١٣٢.

([٨٣]) جمال الشاعر، **سياسي يتذكر**، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، دت، ص٢١.

([٨٤]) سعد جمعة، مرجع سابق ذكره، ص٥٦

([٨٥]) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، مرجع سابق ذكره، ص٣٨ .



ولكن لا يحدد هنا استراتيجية بناء الاشتراكية كما يرها، ولا يتفق على تعريف محدد المعالم لها، فهو تارة يربطها بالشيوعية، وتارة يربطها بالديمقراطيات الغربية، وتارة يفصلها عن الديمقراطية نفسها.

ثم يحدد علاقة البعث بالشعب بقوله:

" إن للبعث العربي دعامتين لا يستطيع أن يمشي إلا بهما معاً وهما الجناحان اللذان بهما ينهض ويحلق، هما الطبقة العاملة، والطبقة المثقفة... يجب أن يفهم المثقفون أن ثقافتهم لا تكتسب معناها ولا تعود على أمتهم بالخير؛ إلا إذا وضعوها في خدمة العمال وخدمة الطبقات الشعبية الكادحة، وإلا إذا قسموا جهودهم بين عمل الفكر وعمل اليد"[٨٦].

إلا أنه على الواقع العملي اعتمد ميشيل عفلق على المثقفين بشكل أكبر بكثير من اعتماده على الطبقة الشعبية، وكان هذا من أسباب خلافاته مع أحد قياديي حزب البعث وهو أكرم الحوراني.

كما يقول أيضاً:

"يجب أن يرتفع مستوى الشعب المادي حتى يستطيع النضال، واقع الحوادث وتاريخ حركتنا يدل على أن مستوى الشعب يرتفع نتيجة للنضال، وكلما ناضل استطاع تحقيق شيئ من التحسن في أوضاعه، وكلما كان النضال محققاً لمستوى اقتصادي أعلى كلما كان أقوى وأجدى"[٨٧].

---

(٨٦) ميشيل عفلق، **البعث والاشتراكية**، مرجع سابق ذكره، ص ٥٤، للمزيد أنظر نفس المرجع، ص ص ١٩١- ١٩٤.

(٨٧) نفس المرجع السابق، ص ٧٨ .

ولكن لا يفسر لنا هنا كيف يكون النضال، هل يكون بالإصلاح الزراعي، أم بالتأميم، وإلغاء الطبقية في المجتمع، أم يكون بسيطرة الطبقة العاملة، أو الكادحة على السلطة، وقد أثبتت التجارب أن التأميم، والإصلاح الزراعي، قد أضر بالمجتمعات الزراعية، وجعلها أضعف مادياً من ذي قبل،وهذا ما أثبتته كل التجارب في جميع الدول التي قامت به.

ثم يفرِّق عفلق بين الطبقية الماركسية، وطبقية البعث بقوله:

" ليس في فكر الحزب طبقية بالمعنى الذي تفهمه الماركسية، ولكن فيه طبقية؛ أي أننا نعترف بها وأن كنا لا نتبنى المفهوم الماركسي لها، فالماركسية أقرَّت حقيقة واقعية عندما قالت بأن الصراع في هذا العصر هو بين الطبقات، وجعلته بهذا قانون التطور التاريخي، وهي محقة في تعليلها واستقرائها لمميزات هذا العصر، إذن هناك صراع بين الطبقات لا يجوز تجاهله، إلا أن الماركسية انطلقت من نظرة جعلت هذا الصراع على النطاق العالمي الأسمى، وتجاهلت هذا التكوين التاريخي الحي للقوميات، حين اعتقدت بأن الروابط التي تجمع طبقة معينة في أمة معينة بقوميتها"[٨٨].

فلو سلمنا بأن الصراع الطبقي في المجتمع العربي، هو نفسه الصراع الطبقي حسب التعريف الماركسي مع إضافة أنه صراع بين طبقين تنتميان إلى قومية واحدة، فهل يفترق هذا الصراع الذي بينهما عن صراع بين عدوين أحداهما خارجي والآخر داخلي؟ وهل إسقاط هذه الطبقية في المجتمع العربي سيؤدي إلى نهوضه وتقدمه؟

([٨٨]) نفس المرجع السابق، ص١١١ .



وما هو التفسير العلمي للاشتراكية العربية التي يتبناها ميشيل عفلق؟ حيث يقول " الاشتراكية العربية تعني بأنها: اشتراكية ملائمة لظروف وحاجات المجتمع العربي"[٨٩]. كل هذه الأمور تجعل تفسير الاشتراكية وفق رأي ميشيل عفلق تبتعد عن العلمية، ولا تحوي استراتيجية تنموية للمجتمع.

- **آراءه حول القومية والأمة والوحدة**

يربط ميشيل عفلق القومية العربية بالاشتراكية على أساس أن الاشتراكية جزء منها بقوله: " القومية العربية عندما تعي ذاتها وعياً عميقاً وصحيحاً، عندما تتهيأ الشروط لكي تنضج النضج الصحيح وتعبر عن نفسها، تجد أن الاشتراكية شئ أصيل منها" [٩٠]؛ لكن ما هي محددات الوعي في القومية العربية حسب رأيه؟ وما هي الشروط التي تجعلها تنضج النضج الصحيح لكي تعبر عن نفسها؟ كل هذه الأمور غامضة وتحتاج إلى تفسير علمي دقيق.

ورغم أن معظم التيارات السياسية في المجتمع السوري، أو العراقي كانت تعمل على القضاء على التمايز الطبقي في المجتمع، سواءاً كانت يسارية، أم يمينية، إلا أن ميشيل عفلق يعتبر أن البعث هو الذي دعا إلى إلغاء التفاوت الطبقي في المجتمع العربي، لتحقيق النجاح للقومية العربية، وفي ذلك يقول:

"كانت هذه الحركة أول من وضع القضية القومية، قضية الأمة العربية، في قلب الواقع، في قلب الجد بوضعها المشكلة الاجتماعية في صميم الثورة القومية، بوضعها مشكلة عيش الملايين من أفراد الشعب العربي، رزق الملايين وعشرات الملايين الذين

---

(٨٩) نفس المرجع السابق، ص١٢٥.

(٩٠) نفس المرجع الساق، ص١٢٦ .



كانوا وما يزالون مشلولين إلى حد بعيد؛ بنتيجة الأوضاع الجائرة المعكوسة فالتعبير العملي عن الثورة القومية هو الثورة الاجتماعية"[٩١].

وعلى ذلك فحدوث الثورة الاجتماعية من خلال الإصلاح الزراعي، والتأميم، وسيطرة الدولة التي يقودها البعث على التجارتين الداخلية والخارجية، سيحقق الثورة القومية، ويحقق أهدافها؛ لكن عملياً اصطدم البعث مع عبد الناصر، رغم أنه حقق تلك الأشياء، بل لقد ساهم في الانفصال السوري عن دولة الوحدة.

ثم يربط ميشيل عفلق بين الوحدة العربية، والديمقراطية التي تعني عنده مشاركة الجماهير الكادحة بالسلطة بقوله:

" إن ابتعاد الأنظمة العربية التقدمية عن الشرطين الأساسيين اللذين بدونهما لا تكون الثورة العربية ثورة بالمعنى الصحيح:

- مشاركة الجماهير الكادحة.
- السير في طريق الوحدة العربية.

فقد أفقد تلك الأنظمة كل طابع ثوري جدي، وجعلها تقوم في الأساس على التسويات الطبقية والإقليمية"[٩٢].

([٩١]) نفس المرجع السابق، ص١٥٣، للمزيد حول ادعاء ميشيل عفلق، أن البعث كان أول حركة اعتنقت القومية العربية، انظر أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية: جذورها وبذورها**، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٨٤ – ١٩٥.

([٩٢]) نفس المرجع السابق ص١٩٩. عز اللين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره ص٢٦٩.



ورغم ذلك يرفض عفلق في مكان آخر مشاركة غير البعث في السلطة السياسية، كما أنه من يعتبرهم طليعة الحزب هم من يجب أن يقودوا الشعب والأمة،على أساس أنهم ممثلين لهذه الطبقات، وهذا يعني عملياً تجاهل الفئات الأخرى من الشعب – من غير البعثيين–، إضافة لجعل البعث ممثلاً عن كل فئات الأمة، وهذا يشبه المبادئ الشيوعية، والفئات الطليعية في الحزب الشيوعي.

وحول تعريفة للوحدة العربية يقول: " الوحدة العربية قبل كل شئ نضال، ووحدة في النضال، فالوحدة السياسية هي التي تتحقق في النضال، لأن النضال هو الحياة الصحيحة للعرب..... النضال هو المعبر الصحيح عن الأمة"[٩٣].

لكن حزب البعث العربي الاشتراكي رفض الوحدة السياسية على المستوى الإقليمي على غرار الوحدة الهاشمية، كما رفض وحدة الهلال الخصيب، أو وحدة سوريا الكبرى، من خلال المشاريع الهاشمية، كما رفض الوحدة العسكرية من خلال دولة تفرض نفسها على الآخرين، كما فعل كل من بسمارك وغاليباردي، على أساس أنك لو جمعت أشياء ميتة إلى بعضها البعض فلن تنتج حياة[٩٤]، كما دعا حزب البعث إلى تكوين وحدة اتحادية تستند إلى واقع الفوارق الإقليمية، لكنه أصدر أحكاماً تؤدي إلى زيادة الفوارق الإقليمية وتعمقها من خلال مشروع الوحدة الذي أقرته القيادة القومية عام ١٩٦٣[٩٥]، كما كان هناك تناقض بين آراء ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار، حول الوحدة وآرائهما لم تكن تتضمن أي

(٩٣) Michel Aflaq **,The Baath's Struggle**, Part III, pp. 316-317، أنظر أيضاً: عز اللين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره ص٢٦٩.

(٩٤) نفس المرجع السابق ص ٢٦٨ .

(٩٥) أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية، جذورها وبذورها**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥، ص ٥١ – ٥٢، للمزيد أنظر:

Michel Aflaq: **Following the Baath**; pp. 271-275.



استراتيجية نحو الوحدة العربية، فعلى سبيل المثال، قالت صحيفة البعث في العدد الخامس والأربعين في الخامس عشر من أبريل لسنة ١٩٦٣: " ليبيا تعد القهقري للمركزية"، حيث كان قد وافق مجلس النواب الليبي على قانون دمج ولايات ليبيا الثلاث: طرابلس، وبرقة، وفزان، معاً في ظل دولة واحدة، حيث رأت هذه الصحيفة ألا يحصل اندماج لتبقى دولة اتحادية، ويكون لكل ولاية سلطاتها الخاصة، فهي تستنكر توحيد ليبيا واعتبار هذه التوحيد تقهقراً إلى الوراء[٩٦] ويقول حول العروبة: " العروبة في أعمق وأصدق معانيها هي النضال في سبيل الحرية"(٩٧)، لكن لا يوجد أي تحديد لماهية الحرية؛ لأنها مفهوم واسع وتختلف من مكان لآخر،ومن زمن لآخر، كما أن لكل منظِّر آراءه الخاصة فيها.

كما دعت القيادة القطرية في العراق للعمل من أجل الوحدة العربية على أساس أن ذلك من أهداف البعث وشعاراته، لكنها رأت أن هذا التوحيد لا يجب أن يتم في ظل الحكومات الرجعية التي لا يؤمن بها البعث، بل بتوحيد المنظمات والهيئات الحزبية في الوطن العربي، ومن ثم يضع مسألة الوحدة كهدف أسمى يسعى لتحقيقه عاجلاً أم آجلاً[٩٨]، ويرد على هذا الرأي بأن جميع التوحدات التي حدثت بين الدول، لم تصل عملياً إلى وحدة دولها من خلال هذا الرأي، كما أنه لو افترضنا أن كل الحكومات رجعية، فكيف نستطيع إسقاطها؟ هل بوصول حزب البعث في كل واحدة منها إلى السلطة؟ وهذا شئ صعب؛ لأن الظروف التي

([٩٦]) نفس المرجع السابق، ص ص ٦٤-٦٧، ص ص ١٥٧ – ١٦١ .

([٩٧])ميشيل علق، **في سبيل البعث**، ج٢، مرجع سابق ذكره، ص ١٣٧، انظر أيضاً:

Michel 'Aflaq: **Following the Baath**, pp. 285-286; pp. 287-290

([٩٨]) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ١٨٠، للمزيد حول آراء البعث في الوحدة وواقع التعامل معها على الواقع العملي أنظر: سعد جمعة، مرجع سابق ذكره، ص٥٢ .



أتاحت وجود حزب البعث في السلطة في كل من سوريا، والعراق ليست هي نفسها الظروف الموجودة في كل البلاد العربية، وعلى هذا فمن المستحيل تحقيق هذا الرأي.

كما يقول ميشيل عفلق حول الوحدة: "نؤمن بالوحدة الديناميكية المنفتحة الهجومية، التي تعرف بأن الزمن قد يكون معاكساً لها وأنها يجب أن تفرض نفسها وأنها مفجرة للقوى"[٩٩]؛ لكن كيف يكون ذلك وما هي الأسس التي تقوم عليها هذه الوحدة، وكيف تجعل الزمن يسير معها، وكيف تفرض نفسها وتفجر قواها؟ كل هذه الأسئلة لها إجابات غامضة في فكر ميشيل عفلق أو فكر البعث.

وحول تعريف الأمة يقول ميشيل عفلق: " الأمة ليست مجموعاً حسابياً بل فكرة مجسدة في كل أو بعض أفرادها، ولهذا فإن أولئك الذين يجسدون هذه الفكرة يملكون الحق في التحدث باسم الأمة بأسرها"[١٠٠]، ونتساءل هنا هل البعث وحده هو من يجسد الفكرة القومية، ليمتلك التحدث باسم الأمة العربية كلها؟ ألا توجد قوى قومية، أو وطنية تمثل جانباً مهماً من الأمة، لتعبر عن تلك الجوانب؟.

ويقول أيضاً: " حزبنا هو حزب ثوري عبَّر عن ثوريته في عدة مجالات، ولكن أهم مجال عبَّر فيه عن هذه الثورية هو مجال وحدة التنظيم، كون الحزب ذا تنظيم عربي لا ينحصر في قطر واحد، ويشكل تحدياً لواقع قوى وصعب جداً هو واقع التجزئة"[١٠١]، إلا أنه عملياً انتشر التنظيم الناصري المجسد للفكرة القومية التي

([٩٩]) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٣٢، للمزيد حول آراء ميشيل عفلق في الوحدة أنظر:

Michel Aflaq, Part III,Op, Cit، pp. 261-267; pp. 269-270, **And Look**: Michel Aflaq **The Baath's Struggle**; Part IV, p. 105 ,pp. 84-87.; pp. 72-83.; pp. 79-80.

([١٠٠]) نفس المرجع السابق، ج٤، ص٤٦

([١٠١]) نفس المرجع السابق، ج٤، ص٧٤



عبَّرت عنها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ومن خلال فلسفة الثورة التي عبَّر عنها عبد الناصر وذلك في مجموعة من الدول العربية، وكان لها تأثير في إسقاط أنظمة الكثير من الدول العربية، كما في اليمن وليبيا، والعراق وغيرها من الدول وعلى ذلك فإن الادعاء بأن هذا الفكر وحده الذي انتشر في الدول العربية، لا يمكن أن يكون هو الحقيقة الكاملة بل ثمة تنظيمات قومية أخرى كان لها انتشاراً أقوى، كما أن هناك ثمة أيديولوجيات دينية، أو شيوعية انتشرت هي الأخرى؛ منطلقة من دولة بعينها، مثل حزب الإخوان المسلمين في مصر الذي امتد إلى عدداً من الدول الأخرى خارج مصر، والحزب الشيوعي الذي امتد من روسيا ليصل إلى الكثير من دول العا لم.

- **آراءه حول الإقليمية والعرقية والطائفية والجمهورية والحزبية**

انتقد البعض الممارسات العملية للبعث في قيادته للمجتمع والدولة، على أساس أن سبب انهيار البناء القيمي للحزب هو أن قيادته قد مارست دور رئيس الأسرة، ووجيه العائلة، وشيخ القبيلة، الذي لا يعير الاهتمام لتكافؤ الفرص، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإنما يتعصب للولاء الشخصي والاستلزام، والتبعية ويعطيه كل اهتمامه وألوياته، وبذلك تفككت القيم والروابط النضالية والوحدوية، لصالح القيم التقليدية، واستمرت حلقة التفكك تتوسع تدريجياً(١٠٢).

وما يثبت هذه الأمور قول ميشيل عفلق بأن الإيمان بمبادئ الحزب يجب أن يسبق المعرفة الموضوعية بها، فهو بذلك يشبه قساوسة القرون الوسطى الذين طلبوا من غاليليو أن يستغفر الله على الإثم الذي ارتكبه باعتقادهم، وهو أن الأرض تدور

---

(١٠٢) عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٣٧٣ – ٣٧٤، للمزيد انظر: Paul Berman; **Terror and Liberalism**; W.W. Norton & Company, New York, London: 2003; p.55.



حول نفسها، كما حثَّ بذلك مريديه أن يثقوا بكل شئ يقوله دون براهين علمية، أو أرقام بقوله: " إن الأعضاء المخلصين الذين يطيعون القادة"(١٠٣)، من هذا المنطلق ترابط أعضاء البعث مع بعضهم البعض، في مجال تعاملهم مع الآخرين مما نتج عنه العوامل الشخصية والتقليدية التي ميزت أعضاء البعث.

كما يرفض ميشيل عفلق الآخرين الذين يؤمنون بالأيديولوجيات، والأفكار الأخرى المخالفة للبعث بقوله:

" هل يجوز المقارنة بين هذا النوع الفاسد المبتذل من الناس خصوم البعثيين ذوي النفوس الحقيرة، والأهداف الشخصية الوضيعة وبيننا نحن حملة الرسالة الخالدة........ إن القدر الذي حملنا هذه الرسالة، خوَّلنا أيضاً حق الأمر والكلام بقوة، والعمل بقسوة، وانتشالهم من الانتهازيين إلى الحياة الحرة السامية التي يرغبونها"(١٠٤).

فهو يعتبر أن حركة البعث هي المعبر الأول، والنهائي عن الآخرين وأن كل من ليس في هذه الحركة، أو يختلف معها هو عدو وانتهازي، وعلى ذلك يقول: " حركتنا أصبحت قدر الأمة العربية في هذا العصر... حركتنا لا يمكن لأي حركة أن تنافسها، أو أن تحل محلها" (١٠٥)، وعلى ذلك فهو يشبه حركة البعث بنظرية الحق الإلهي؛ لكنه يستبدل القدر بدل كلمة الإله.

---

(١٠٣) أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية: بذورها وجذورها**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٨٨ – ٨٩ .

(١٠٤) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٥٩، ص ٢٧

(١٠٥) نفس المرجع السابق، ص ص ٢٩٩ – ٣٠٠، للمزيد حول رأي البعث في قيادة الأمة والشعب من خلال القيادة البعثية، والتي هي أشبه بالقيادة الشيوعية للشعب والأمة، أنظر أيضاً:

Evgenii Novikov,**A View From The Other Side: An Introduction To Arab Media**, Global Terrorism Anlaysis,The Jamestown Foundation, Terrorism Monitor, Volume 1, Issue 2. 26 September, 2003.

وحول رأيه في القوميات يرى أن القومية العربية المتعصبة كان لها تأثيرها السيئ على القوميات الأخرى مثل الأكراد، والأشوريين، والأرمن[106]، كما أن البعث اعتبر الأكراد من أصل عربي، واعتبر تلك القوميات أنها عربية بقوله: "الناطقين بالسريانية من كلدان وأثوريين وسريان"، مما اعتبره البعض منهم محاولة تهدف إلى تمييع هويتهم القومية وصولاً إلى تعريبهم، والدليل على ذلك رفضه لأي تكتل قومي غير عربي لأي من القوميات الأخرى على الواقع العملي، فقد قال في مادته الحادية عشرة من دستوره، " يجلى عن الوطن العربي كل داع إلى تكتل عنصري يناهض العرب، أو منضم إليه"[107]. ورغم تعديل هذه المادة في المؤتمر القومي السادس للحزب عام ١٩٦٣، إلا أنها ظلت موضع إيمان على المستوى العملي، كما تقول المادة الخامسة عشرة من دستور حزب البعث: "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية، التي تكفل الانسجام بين المواطنين، وأنصارهم في بوتقة واحدة، وتكافح سائر العصبيات المذهبية، والطائفية، والقبلية، والعرقية، والإقليمية"[108]، كما يؤكد ميشيل عفلق ذلك بقوله:

" يعني انتماء عضو البعث العربي أنه قد رفض رفضاً باتاً ونهائياً الأفكار المتناقضة والمخالفة، أي أنه عرف واقتنع بأن العربي في مفهوم البعث لا يمكن أن يكون شيوعياً أممياً، وأن العربي لا يمكن أن يكون إقليمياً، أو طائفياً، أو أن يعمل بوحي عن وحي العروبة نفسها"[109].

---

[106] أبو خلدون ساطع الحصرين مرجع سابق ذكره، ص١٨٠

[107] هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص٧٦ .

[108] نيقولاوس فان دام، مرجع سابق ذكره، ص٢٧ .

[109] ميشيل عفلق، ج٤، مرجع سابق ذكره، ص٥٣ .



وعلى هذا فإن منظر البعث تتوافق آراءه مع الأيديولوجية البعثية، حول موضوع رفض التمايز العرقي، والطائفي في المجتمع وأن تتسهم في عضو البعث سمات تختلف عن الآخرين، وعلى هذا يقول حول ذلك:

" أعضاء الحزب يجب أن يكونوا قساة مع أنفسهم وقساة مع الآخرين وأن يتسلحوا بالعلم، وأن يكرسوا أنفسهم كلياً للنشاط الثوري للحزب وعليهم أيضاً أن يعوا أوضاع أمتهم، وأن يخلصوا لقضيتها، وأن يغاروا على حقوقها، وأن يستجيبوا لطموحات الشعب واحتياجاته وسيعرف إخلاصهم وتميزهم من خلال أفعالهم ومن سلوكهم اليومي وحتى من نبرة أصواتهم"(١١٠).

لكنه من ناحية أخرى يدعو أعضاء الحزب على القسوة مع معارضي الحزب، وتصفيتهم الجسدية فيقول في ذلك:

" العمل القومي القابل للنجاح هو ذلك الذي يستثير الحقد حتى الموت، تجاه أولئك الذين يجسدون فكرة مضادة للقومية، إن من التفاهة بمكان أن يحارب أعضاء الحركة النظريات، ويقولوا لماذا علينا أن نهتم بالأشخاص إن النظرية لا توجد بذاتها لذاتها، بل تتجسد في أشخاص لابد من زوالهم لزوالها" (١١١).

كما يؤكد هذا الرأي بقوله: " إن مقاومة الأفكار الهدامة لا تقتصر على مناقشتها ودحضها، بل تملي تصفية المؤمنين بها، والداعين إليها"(١١٢)، وعلى هذا الأساس يرفض ميشيل عفلق أي أيديولوجيات، أو أفكار، أو حركات تناقض تفكيره، أو أيديولوجيته التي يؤمن بها وهذا يبعده عن أي إيمان بحرية الرأي أو

---

(١١٠) حنا بطاطو، **العراق: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص٤٦.

(١١١) نفس المرجع السابق، ص٤٦.

(١١٢) هاني الفكيكي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٧٧-٧٨، للمزيد أنظر: ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، مرجع سابق ذكره، ص ٨٠ .



بالديمقراطية التي ينادي بها، ويؤكد ذلك بقوله: " إن الدفاع عن العقدية لا يكون إلا هجوماً"(١١٣)، وهذا ما يفسر موقفه من الأحزاب الأخرى بقوله:

" إن موقفنا من الأحزاب، فنحن لا نرفض فكرة التعاون معها، ولكننا نقيدها بجملة تحفظات وشروط تجعل مجال تطبيقها محصوراً في نطاق بعض الأحزاب دون البعض الآخر، ومقتصراً على بعض الحالات العامة التي يكون فيها التعاون ضرورة قومية، ونفصِّل ذلك أننا نخرج من نطاق التعاون بين الأحزاب التي تقوم في أساس تشكيلها على ارتباط أجنبي، وعلى فكرة مخالفة للقومية العربية"(١١٤).

ولكن ما هي محددات التعاون التي يرى فيها البعث، ضرورة قومية لهذه الأحزاب؟ وما هي المحددات المخالفة للقومية العربية كما يرها البعث؟ هذه المحددات لم يحددها ميشيل عفلق تحديداً علمياً، بحيث يمكن التعرف على من يقبل في إطاره من الأحزاب، أو الحركات التي تساهم في النشاط السياسي في المجتمع، وإلا ماذا يعني اشتراكه – قبل عام ١٩٦٣- مع الأحزاب الشيوعية التي تتسم بمعاداتها لأي فكرة قومية، أو الأحزاب الكردية التي تتسم بدعواتها الانفصالية.

أما عن رأيه في الدين والعلمانية، فقد آثار التيار الديني نحوه، على أساس رأيه القائل؛ أن الإسلام قد جاء طوراً من أطوار العقلية العربية الراقية، وهذا ما اعتبره التيار الديني وخاصة الإسلامي، ديناً غير سماوي، وغير منزه؛ لأن العقلية الإنسانية مهما كانت لابد أنها قاصرة، وإن رأي البعث. " إن للعرب رسالة غير الإسلام، على أساس أن الرسالة الخالدة حسب رأي ميشيل عفلق هي:

---

(١١٣) ميشيل عفلق **في سبيل البعث**، ج٣، مرجع سابق ذكره ص ١٠٨ .

(١١٤) نفس المرجع السابق، ص ص ٢٧-٢٨ .



" فهم العرب لأنفسهم وإدراكهم لقضايا أمتهم، وتحررهم من الاحتلال الأجنبي، وهي حضارة وقيم معينة يقوم العرب بتبليغها للأمم الأخرى، عندما يبلغون مستوى القدرة، والارتقاء وتبدأ هذه الرسالة من الانقلاب الشامل عندما يبدأ العرب يواجهون مشكلاتهم بجرأة وصدق وصراحة"[115].

فهذه الرسالة حسب رأي التيار الديني الإسلامي، تخالف رسالة الإسلام تلك الأيديولوجية السائدة في الوطن العربي منذ القرن السادس الميلادي، وحتى الآن والدليل على ذلك حسب رأي هذا التيار قول القرآن الكريم: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله "، أما أن يطلب العرب الحرية والتقدم والأمن والوحدة فهذه مطالب أية أمة من الأمم، وأن رسالة العرب حسب رأي محمد الغزالي هي: حراسة الفضائل ونشر شعارها، ومحاصرة الرذائل، وطي عارها، والالتفاف حول الإيمان بالله وحده، وقمع الإلحاد والعوج، وتسخير قوى الأمة كلها لبلوغ هذه الأهداف الإنسانية، وسوق العدالة للمظلومين والحرية للمضطهدين، واليقين والتقوى للشاكّين، وتعريف البشر بربهم بعد تحريك مواهبهم الإنسانية، وأن للإسلام فقط الفضل على العرب؛ لأنه وحدهم وحررهم من العبودية، عندما لم يكونوا شيئاً يذكر في التاريخ، وعبيداً في مستعمرات الروم والفرس[116].

كما أن قول ميشيل عفلق:

" هذه الأمة التي أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحاً متعدداً متنوعاً في تشريع حمورابي، وشعر الجاهلية، ودين محمد، وثقافة عصر المأمون، شعور واحد

(115) هذا القول لميشيل عفلق مأخوذ من مرجع: محمد الغزالي، **حقيقة القومية العربية، وأسطورة البعث العربي**، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٨، ص ص ٤٥ – ٤٦ .

(116) نفس المرجع السابق، ص ص ٤٧ – ٥٠ .



يهزها في مختلف الأزمان، ولها هدف واحد بالرغم من فترات الانقطاع والانحراف"[١١٧].

فإن هذا القول ينقص من المستوى القيمي لرسالة الإسلام، لأنه يقارن، رسالة إلهية، أنزلت على الرسول محمد (ص)، مع ثقافات بشرية لكثير من الأمم مثلها، كما لا يمكن مقارنة شريعة الإسلام بشريعة أناس وثنيين مثل حمورابي، أو بثقافة جاهلية من أناس كانوا ذوي عادات سيئة في معظمها، بشريعة القرآن، كما أن طبيعة رسالة الإسلام ترفض التمزق مثلها مثل الطبيعة العربية، وأن للقرآن الفضل الأول في حفظ اللغة العربية وجعلها لغة مقدسة، فهو الذي جعل الحفاظ عليها ديناً[١١٨]، وهو الذي جعلها تنتشر وتحل محل اللغات القبطية، والفارسية، والرومانية،والسريانية، وأصبحت جميع الأجناس البشرية تأتي؛ لتتلمذ على الذكاء العربي، في مجالات العلوم الإنسانية والفكرية.

كما أن الإسلام لم يعرف مساساً بالأقليات الدينية؛ فهم في ذمة المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، على ألا يحاربوا معهم، بل يحميهم المسلمين مقابل ضريبة رمزية تسمى الجزية، وتسقط عن غير القادرين عليها، بل يعطوا من بيت مال المسلمين إن احتاجوا، وبالنسبة للأقليات العرقية من المسلمين فلها ما لكل مسلم عربي من حقوق وواجبات، ولم تولد فكرة الأقليات إلا من خلال عصر القوميات في أوربا، وهي التي صدَّرت هذه المشكلة لتفتيت الوطن العربي، كما أن الرسول

---

(١١٧) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣، ص ١٠٢ .

(١١٨) Paul Berman; **Terror and Liberalism;** op.cit .p 78,p 94



محمد (ص) من العرب المستعربة، وليس من العرب العاربة•، ومن حق أي إنسان أن يستعرب حسب رأي الإسلام؛ لأن ذلك يدعم كيان الأمة العربية، ويمدها بأساليب البقاء والنماء، حيث أن كثير من العلماء كانوا من المستعربين، وقدَّموا خدمات علمية، وأدبية، وسياسية، وعسكرية أكثر من أقوام ترجع أصولها إلى عدنان أو قحطان، ورغم هذا كله فإن برنامج (دستور) حزب البعث لا يحوي أي ذكر للإسلام، أو أي إيماء إلى عقائده، أو شرائعه، أو ماضيه، أو حاضره[١١٩].

وينتقد التيار الإسلامي أيضاً المادة التاسعة من دستور البعث التي تقول: "راية الدولة العربية هي راية الثورة العربية التي انفجرت عام ١٩١٦ لتحرير الأمة العربية وتوحيدها"، رغم أن قائد الثورة الشريف حسين، قد أعلن هذه الثورة بناءاً على مبدأ الخيانة، والغدر على حسب رأي هذا التيار، وكان مغفلاً؛ وعمي عن أية توجهات إسلامية سياسية، وكان يريد خلافه عربية بمساعدة الإنكليز إلا أن العروبة الأصلية لا صلة لها بأناس يعشقون الحكم، ويريدونه بسلاح الأجنبي، في حرب لم تخدم سوى الحلفاء ضد العرب، والمسلمين، كما أن هذه الثورة قد ترتبت عليها اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦، والتي قسَّمت بموجبها منطقة الهلال الخصب، وترتب عليها أيضاً وعد بلفور عام ١٩١٧، الذي دعا؛ لإقامة دولة دينية قومية يهودية في فلسطين، وعلى هذا الأساس لا تعتبر هذه الثورة نهضة عربية؛ لأنها تمت في أحضان الإنكليز وشقت طريقها بسلاحهم[١٢٠].

لكن هذا لا يبرر أن ميشيل عفلق قد ارتفع فوق التناقضات الطائفية، والدينية، وبيَّن أثر الإسلام على العرب في دعوته القومية العلمانية فهو على سبيل

• النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية النبي إسماعيل ابن أبو الأنبياء إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، الذي لم يكن عربياً بل تزوج امرأة من إحدى القبائل العربية وهي قبيلة جرهم (الباحث) .

(١١٩) محمد الغزالي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٦ – ٩٠ .

(١٢٠) نفس المرجع السابق، ص ص ١٥٦ – ٢٦١ .



المثال يقوم: " إن الإسلام بالنسبة إلى العرب، ليس عقيدة أخروية فحسب ولا هو أخلاق مجردة، بل هو مفصح عن شعورهم الكوني، ونظرتهم إلى الحياة، وأقوى تعبير عن وحدة شخصيتهم"[١٢١]، كما يقول أيضاً في نفس السياق:

" علاقة الإسلام بالعروبة، ليس كعلاقة أي دين بأية قومية، وسوف يعرف المسيحيون العرب، عندما تستيقظ قوميتهم يقظتها التامة، ويسترجعون طبعهم الأصيل، أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية، يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها، ويحبوها، فيحرصوا على الإسلام حرصهم على أثمن شئ في عروبتهم، وإذا كان الواقع لا يزال بعيداً عن هذه الأمنية، فإن على الجيل الجديد من المسيحيين العرب مهمة تحقيقها بجرأة، وتجرد مضمنين في سبيل ذلك بالكبرياء والمنافع، إذا لا شئ يعادل العروبة، وشرف الانتساب إليها"[١٢٢].

وعلى هذا الأساس يعتبر ميشيل عفلق قد ربط البعث بالإسلام وجعله شيئاً أصيلاً فيه، رغم عدم تضمن برنامج البعث لإيديولوجية الإسلام، وهذا ما يعتبر دافعاً للأقليات الدينية في المجتمع العربي إلى الدخول فيه، بعد أن كانت تتخوف من العروبة، وقوميتها على أساس أنها تريد التحكم فيهم، وإخفاء شخصيتهم في بوتقتها، بل لقد زاد ميشيل عفلق من ربط البعث بالإسلام، بقوله إن الرسالة الخالدة هي الإسلام نفسه•، ثم يستدرك ذلك أيضاً، بقوله:

---

(١٢١) عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص٢٤، للمزيد حول ذلك انظر: ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، مرجع سابق ذكره ص١٧ .

(١٢٢) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

• قالها في نهاية سنوات وجوده في العراق (الباحث) .



" يفترض الحل البعثي لوحدة العصيات، التمسك بالرسالة الخالدة التي هي الإسلام تمسكاً حضارياً؛ لأن الإسلام بالنسبة للعرب أكثر من دين، أنه قوميتهم وعروبتهم وإنسانيتهم، وأداة حضورهم الأخلاقي وناموس وحدتهم العصبة"(١٢٣).

وعلى ذلك فإن هذا التعبير لابد أنه كان حافزاً لانتشار البعث في الأوساط الشعبية، بنقضه أية عصبيات دينية، أو إثنية، كما كانت مشاركة ميشيل عفلق في الاحتفالات الدينية الإسلامية كاحتفالات مولد الرسول لها دورها في ذلك(١٢٤)، فيقول حول رسالة الأمة العربية التي نشأت في قلب الأرض العربية:

"إن الأمة التي ظهرت فيها رسالة بحجم رسالة الإسلام، ترفض الخضوع، وترفض التبعية، الفكرية والحضارية، إن لها طريقها الخاص، واشتراكية عربية..... الأمة التي حملت إلى العالم رسالة الإسلام لا يمكن أن تكون قوميتها سلبية تعصبية عدوانية، فقوميتها في أساسها أخلاقية وإنسانية تحمل مبادئ العدل والمساواة"(١٢٥).

فهذه القومية الرومانسية قد خدمت وظيفة التكامل بالنسبة للمثقفين من الأقليات الدينية؛ لأنها استبدلت فكرة الأيديولوجية الإسلامية، بالفكرة الإسلامية القومية ذات الطابع العلماني التي تضم كل العرب من جميع الأديان، والذين يشتركون بتراث ثقافي واحد(١٢٦)، فعلمانية البعث، لم ترد من الشعب العربي أن ينسى تراثه، وشخصيته، وهويته، ويتنكر لما فيه، بدعوى الالتقاء بين أبناء الشعب في تعددية دينية على الساحتين الوطنية والقومية، كما أن عفلق قد رأى أن للدين دور نضالي

(١٢٣) نفس المرجع السابق، ص ٣٩١، انظر أيضاً ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**،مرجع سابق ذكره،ص ص ٣٣ - ٣٥، ص٦٠، ص ٦٤ – ٦١ .

(١٢٤) جمال الشاعر، مرجع سابق ذكره، ص٦٥ .

(١٢٥) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٠-٦٤ .

(١٢٦) عادل مختار الهواري، **الصفوة السياسية في الشرق الأوسط**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤، ص ص ١٥-١٧ .

في الثورات العربية، وأن العلاقة بين الإسلام والعروبة هي علاقة وثيقة، وأن العروبة هي الجسم، والإسلام هو الروح، وأن المسيرة الروحية للفكر السياسي العربي، لا تبعده عن العلم والمنهجية، وإنما تقربه منها وتوحده معها(١٢٧).

وبالفعل فالأمة العربية هي أمة العرب بدون تفريق بين عربي وأخر على قاعدة انتمائه الديني، أو المذهبي، والتاريخ العربي هو تاريخ مفتوح على جميع الإسهامات التي قدمتها المجوعات المنتظمة في سياقه العام، بما في ذلك المجموعات الغير عربية، وإذا كانت ثمة استشعار بخوف من اضطهاد، أو ذوبان لدى جماعة في مرحلة تاريخية ما، فذلك يعود إلى سوء التصرف في المعاملة الخاصة بسلطة متعسفة(١٢٨)، أما عن رأيه في العلمانية فيقول:

" تعتبر حركتنا بموقفها الإيجابي من الدين... أعطت الدين بصورة عامة كدين له دوره المشروع في حياة البشر وتاريخهم وتطورهم، وأعطت الإسلام الدين العربي، الدين الإنساني، أعطته المكانة الأساسية في تكوين قوميتنا.... الأيديولوجيا التي تفصل العقيدة الدينية عن العقيدة القومية، والثورة القومية، بكل متطلباتها، هذا شئ مجزأ، وسطحي، ولن يحرك كل القوى المبدعة في أمتنا وسرعان ما يتحول إلى تقليد واندفاع، إلى غوغائية ونفعية... واقعنا هو العلاقة بين العروبة والإسلام، أما العلمانية فهي الدستور، والقوانين، يجب ألا نميز مذهباً على آخر في القبول للوظائف"(١٢٩).

فالعلمانية في فكر ميشيل عفلق ليست تحييد الدين والتجرد من أحكامه، التي ترتفع بالإنسان نمو الكمال، لكنها تعني أن لا يتدخل الدين في سياسة الدولة

(١٢٧) عز الدين ديان، **التحليل الاجتماعي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص٢١

(١٢٨) محمد جابر الأنصاري وآخرون، **النزاعات الأهلية العربية: العوامل الداخلية والخارجية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص ١٨٨ .

(١٢٩) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٩-٣٣.



الإدارية والوظيفية؛ لأن السياسة تتغير بتغير الأحوال والظروف، وتعتمد في كثير من الأحيان على أشياء لا تمت للدين بأي صلة، فتحييد الدين وجعله يسير في طريقه الخاص، وأن تسير السياسة في طريقها الخاص، يحافظ على الدين، ويحافظ على القوانين، ويؤكد ذلك بقوله: "نؤمن بأن الجماهير الكبيرة الواسعة هي القادرة على إحداث التغييرات التاريخية الحاسمة وليست الأقليات المثقفة مهما يكن شأن تفوقها الفكري والثقافي"(١٣٠).

ورغم كل ذلك فإن رأي ميشيل عفلق حول رسالة الأمة العربية يتسم بالتناقض في كثير من المواضع فمثلاً يقول: "أما الرسالة الخالدة فالقصد منها أن هذه الأمة لا تعترف بواقعها السيئ، وموقفها المنفعل ولا تتنازل عن مرتبتها الأصيلة بين الأمم، بل تصرّ على أنها لا تزال هي في جوهرها"(١٣١)، وهذا ما جعل الكثيرين ينقدون فكرة الرسالة الخالدة التي قال عنها ميشيل عفلق في أيديولوجيته وآراءه وفكره.

وقد انتقد ميشيل عفلق في فكره البعثي النزاعات الإقليمية في مصر، وتوجه المسيحيين في لبنان لمسيحيتهم، ومحاولتهم مكافحة الفكرة العربية، بحجة أن العروبة معناها سيادة، وسيطرة الإسلام كدين، وتشريع، وتقاليد، وحضارة، وانتقد دعاة التعصب في القومية العربية أو الكردية، فيقول في ذلك.

"القومية المغلقة المتعصبة أكبر خطر علينا لأنها تغذي الفروق بدلاً من القضاء عليها... ووجد دوماً من صور العروبة بأنها مقتصرة على نوع معين، وعدد معين من الناس، وأنها تفاخر، واستعلاء على الآخرين، وطبيعي أن يحدث هذا رد فعل، وأن

---

(١٣٠) نفس المرجع السابق، ص٨٠.

(١٣١) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٣، ص١٠٢، للمزيد حول الرسالة الخالدة في فكر ميشيل عفلق، أنظر نفس المرجع السابق، ص١١٢.



تشعر الأقليات العنصرية بأنها مهددة بوجودها أمام مثل هذه القوى، لذلك كان هناك رد فعل على القومية المتعصبة من الأكراد، والآشورية، والأرمن ورد فعل ديني ومذهبي، إن القومية الإسلامية، والدعوات الطائفية الأخرى كان مصيرها الفشل كما كان مصير القومية الطاغية المتعصبة، نحن عندما ننادي بالمساواة الاقتصادية، وبتكافؤ الفرص، إننا سلمنا قضية البلاد لأصحابها الحقيقيين، وهم أفراد الشعب، وهم في حقيقتهم شيء واحد لا فرق بين مسلم، ومسيحي، وعربي،وكردي، ويزيدي.." [١٣٢].

ويستطرد ذلك بقوله:

"واجبنا أن نشرح للبنانيين الانعزاليين بأن العروبة التي نعمل لها؛ تمنع الضغط الديني، وسيطرة طائفة دينية على أخرى، إنهم يتهربون من العروبة، وهي مرادفة في نظرهم للإسلام؛ لأنها في نظرهم لا تسمح بتكوين مجتمع يحفظ حرية الفرد، ويساير التطور الحديث في العالم... الأكراد ظلوا مئات السنين يعيشون مع العرب ويحاربون ويستبسلون في الدفاع عن الأرض العربية، وأفراد الشعب من الأكراد ماذا يريدون، وأي شيء يطمحون إليه أكثر من أن يعيشوا حياة كريمة سعيدة، وأن يكون لهم ما للجميع وعليهم ما على الجميع؛ باستثناء بعض الزعماء الذين لهم مصالح أقطاعية، أفراد الشعب هؤلاء لا يريدون أكثر مما يريده العرب أنفسهم........ لا أحد يمنع الأكراد أن يتعلموا لغتهم شريطة أن يكونوا خاضعين لقوانين الدولة، ولا يشكلون خطراً على الدولة، والطوائف المسيحية مثلاً لا يوجد ما يمنعها من ممارسة شعارها الدينية، ومن الثقافة المسيحية ضمن هذه الثقافة العربية العامة، فمفهومنا بعيد جداً عن مفهوم القومية النازية التي تؤمن بأن هناك عرقاً مفضلاً، وله مميزات خاصة يجب أن يتطهر من كل شئ، وبالتالي أن يضطهد كل من لا تتوفر له الشروط من حيث

(١٣٢) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣، ص ١٧٢.



النسب،والعادات المعينة... فالعروبة هي إنسانية ونحن نفهم من قومينا العربية؛ بأنها الإنسانية الصحيحة، وبأنها تقديس للقوميات الآخرى، فنقدس هذا الشعور عند كل شعب آخر... أن نظهر للبربر الذين يتحفظون تجاه القومية العربية؛ بأنها عين ما يطمحون إليه، وأنها حريتهم وحياتهم وازدهارهم، وأنها القوة الحقيقية، وأنهم لن يكونوا فئة قليلة، وبأنهم سيكونون جزءاً من أمة واسعة منتشرة في الشرق والغرب، وهذا أضمن لقوتهم وسعادتهم" [١٣٣].

ويرى ميشيل عفلق أن التناقض بين العرب والكرد هو تناقض ليس بين قوميتين، بل تناقض بين طبقة مستغلة تستغل الأكراد، أو لصالح نفسها في مقاومة القومية العربية التي تنظر بتعاطف واحترام لكل القوميات الأخرى وفي ذلك يقول:

" القومية العربية هي قومية إنسانية تنظر بحب وتعاطف واحترام لكل القوميات، وخاصة لتلك القوميات التي شاركت العرب بالمصير قروناً، وأجيالاً وجمعتها بالعرب حضارة واحدة، وتراث روحي واحد........ إن المشكلة بين العرب، والأكراد هي ليست بين قوميتين، بل المشكلة هي بين أناس تقدميين منفتحين على روح العصر وهم أعداء الإقطاع، والعنصرية، وبين شخصيات عنصرية إقطاعية تحاول استثمار القومية الكردية لصالح نفسها، وإن من الأجدر لهذه القيادات أن تتطوع لقتال أعداء الأمة، وهم الصهاينة في فلسطين، وأن ما يثيرونه من توترات هو جزء من حرب الإمبريالية، والصهيونية ضد العرب، وأن هذه المشاكل دخلت بدخول الاستعمار الغربي الداعي إلى التفرقة بين الأخوة، وإننا رغم ذلك مستعدون ومنفتحون دائماً أمام من يرجع عن الخطأ" [١٣٤].

---

(١٣٣)ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٥، ص ص ١٧٣-١٧٦.

(١٣٤) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٥، مرجع سابق ذكره، ص ص١٤١ – ١٤٣ .



ويرى أنه لحل مشكلة القوميات هو في التآخي بين جميع فئات الشعب، وعدم ترك ثغرات ينفذ منها الآخرون لتفريق الشعب عن بعضه، لكنه لا يحدد ما هي محددات هذا الحل وكيف تستطيع تحقيق ذلك؟، فيقول في ذلك:

" إن المنطق لحل مشكلة الأقليات هو منطق واحد لا يتغير هو إنسانية قوميتنا العربية، المنطق بأن قوميتنا ليست هي القومية المتعصبة، ليست هي القومية الضيقة، ليست هي القومية المستعلية، والهادفة إلى التوسع، وإلى استعباد الآخرين..... مصلحتنا هي في التآخي وليست في إبقاء عوامل وأسباب للتنافر الداخلي، ولترك ثغرات يستغلها الأعداء في داخل بنياننا القومي، الإشارة إلى الفروق تعني أن كل قطر لابد أن يأخذ بعين الاعتبار واقعة الحي، ويحاول أن يجد الحل الملائم ليس هناك شئ جاهر يطابق حرفياً في كل مكان"(١٣٥).

مما سبق نجد أن ميشيل عفلق يحاول من خلال فكرة أن يصوغ فكرة القومية العربية التي تتناسب مع الأيديولوجيات الدينية، والعرقية لجميع الفئات في الوطن العربي، بحيث يجعل هذه الأيديولوجية البعثية هي وحدها القادرة على قيادة مجتمع ذو قوميات وطوائف متعددة.

كما يحارب ميشيل عفلق في فكرة، كل الأفكار الشيوعية، أو اللادينية، الداعية إلى الإلحاد، وإبعاد الدين عن حياة الأمة، فيقول في ذلك:

" نحن لا نرضى عن الإلحاد ولا نشجع الإلحاد، ونعتبر الإلحاد موقفاً زائفاً في الحياة، موقفاً باطلاً وضاراً، وكاذباً، إذ أن الحياة معناها الإيمان والملحد كاذب، أنه يقول: شيئاً ويعتقد شيئاً أخر، أنه مؤمن بشئ مؤمن ببعض القيم، ولكننا ننظر للإلحاد كظاهرة مرضية، يجب أن تعرف أسبابها لتداوي، ولا ننظر إليها كشر يجب أن

(١٣٥) نفس المرجع السابق، ص ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .



يعاقب؛ لأن ذلك لا يخفف الإلحاد بل يزيده، فعندما نبحث عن الأسباب، نستطيع أن نزيل الإلحاد"[١٣٦].

إلا أن ميشيل عفلق يرفض ما يدَّعيه رجعية دينية، ويرى أنها تحاول إيقاف عجلة التطور في المجتمع العربي، ويرى أنه من الضروري مقاومتها؛ لأنها تشوه المجتمع وخطر على الدين نفسه، لكنه مع ذلك لا يضع أي محددات لتلك الفئات المجتمعية، التي يعتبرها رجعية، وما هو معيار متاجرتها بالدين ووقوفها في وجه التحرر وتدخلها في المجتمع، وعلى ذلك يقول:

" الرجعية الدينية تؤلف مع الرجعية الاجتماعية معسكراً واحداً؛ يدافع عن مصالح واحدة، وأنها أكبر خطر يهدد الدين، إن هذه الرجعية التي تحمل لواء الدين في يومنا هذا، وتتاجر به، وتستغله، وتحارب كل تحرر باسمه، وتدخله في كل صغيرة، وكبيرة لكي يعتق الانطلاقة الجديدة، هي أكبر خطر على الدين، وهي التي تهدم مجتمعنا، وتشوهه، فلو لم نكن نحن ولو لم تكن حركتنا موجودة لتهدد المجتمع العربي، إذ أننا بمقاومتنا الرجعية الدينية بدون اعتدال وبدون مسايرة وبمواقفنا الجريئة المؤمنة لها، ننفذ مجتمعنا العربي من تشويه الإلحاد....... المناضل البعثي يجب أن تتوافر فيه شروط صعبة جداً، وتكاد تكون متناقضة، فهو حرب على كل تدجيل باسم الدين والتستر وراءه؛ لمنع التطور، والتحرر، والإبقاء على الأوضاع الفاسدة، والتأخر الاجتماعي، ولكنه في الوقت نفسه يعرف حقيقة الدين، وحقيقة النفس الإنسانية التي هي إيجابية قائمة على الإيجاب لا تطيق الإنكار والجمود........ على المناضل البعثي عندما يحارب الرجعية ويصمد أمام هجماتها، وافتراءاتها، وتهيجاتها، وإثارتها، أن يتذكر دوماً أنه مؤمن بالقيم الإيجابية، والقيم الروحية، وأنه عندما يساير جمهور الشعب، ويتصرف تصرفاً حكيماً معه، دون أن يجرح عواطفه لكي ينقله تدريجياً إلى مستوى

---

(١٣٦) نفس المرجع السابق، ص٢٠٧ .



الوعي اللازم، عليه أن يتذكر أنه رجل ثائر متحرر لا يقبل لنفسه ولا لأمته مستواً رجعياً رخيصاً من الاعتقاد، ولا صورة مشوهة للعقيدة الروحية، وأن مسايرته للشعب ليست إلا وسيلة مؤقتة للعقيدة الروحية لكي تهيئه؛ لأن يفهم الأمور الصعبة، إن ثقة البعثي بالإنسان عامة وبالإنسان العربي خاصة، يجب أن تغريه دوماً بالمزيد من الجرأة في مكافحة المعتقدات الخاطئة الجامدة"[١٣٧].

([١٣٧]) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣،ص ص٢١٤ – ٢١٦، للمزيد أنظر نفس المرجع السابق، ص ص١١٦–١١٧، ص ص ١١٧ – ١٢٨، للمزيد نفس المرجع السابق، ج٣، ص٨٩ .

- **آراءه حول الانقلاب، والوحدة العربية، والقيادة القومية:**

يختلف مفهوم الانقلاب في فكر ميشيل عفلق عن الانقلاب الذي تقوم به بعض الأوساط العسكرية ضد نظام الدولة؛ لأنه يعتبر الانقلاب ثورة نضالية من أجل مصلحة الأمة وتحقيق مصالح الشعب، وعلى ذلك يقول:

" الطريقة المميزة للبعث لتحقيق أهدافه هي الانقلاب على الدولة.. الانقلاب ظاهرة روحية وثورة في القيم العربية، وفي طريقة تفكير العرب وهو علاج الأمة قبل علاج الدولة، لأن الدولة جسداً بلا روح.... الأمة على الرغم من تخلفها تمتلك الحقيقة، وهذه الحقيقة تعبر عن نفسها مهما كانت قوة الوقائع الراهنة، والانقلاب هو هذا التعبير أنه الشهادة على وجود الأمة..... التعبير العملي عن فكرة الانقلاب هو النضال؛ وما نعنيه بالنضال هو استرداد الأمة بعد سبات طويل لتوقها إلى الصراع مع الحياة والمصير، إن نظرتها إلى الوجود عميقة وبطولية، وهي تنظر إلى قيمة الجهد قبل النظر إلى ما يثمره الجهد"[١٣٨].

ثم يقول حول الانقلاب في فكر البعث موضحاً بعض المحددات التي تجعل من حركة البعث انقلاباً فيقول:

" الانقلاب في فكر البعث يعني:

١- ثورية المرحلة وعقم الاعتماد على التطور والإصلاح الجزئي.

٢- واقعية الثورة وطابعها الاقتصادي، واعتمادها على جماهير الشعب.

٣- وحدة الأهداف الثورية، وتفاعلها، والتأثير المتبادل للنضال التحرري، والنضال الاشتراكي، والنضال الوحدوي.

(١٣٨) حنا بطاطو، **العراق: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، مرجع سابق ذكره، ص٤٥ .



٤- مشمولية القضية، وترابط مصلحة الشعب العربي في جميع أقطاره وضرورة توحيد نضاله.

٥- الحرية كأعمق أساس وواقع، واعتبار الأمة مسرحاً لتحقيق القيم الإنسانية"[١٣٩].

وعلى هذا الأساس فالانقلاب في فكر البعث هو نفسه الثورة في الحزب الشيوعي، تلك التي تحقق للشعب كل أهدافه، مع إضافة الجانب القومي إلى الجانب الشعبي، ويؤكد ذلك بقوله:

" إن حركتنا عربية انقلابية..... إن انقلابيتنا تنبع من صلتنا القومية بفقر الواقع، وقساوته، وضرورة تبديله، والقيام بانقلاب يرجع إلى الأمة حقيقتها، ويظهر كفاءتها الحقيقية، وروحها وأخلاقها...... الشروط اللازمة للحركة الانقلابية، تقوم على الوعي أولاً، وعلى الشعور بالمسؤولية ثانياً، وعلى الإيمان أخيراً....... إن زمن الحركة الانقلابية يرجع آخر الأمر إلى نشاطها، وإلى صدقها وجديتها"[١٤٠].

لكن هذا القول لا يحتوي محددات علمية يمكن أن نرتكز عليها؛ لتبيان ماهية هذا الانقلاب، وكيفية قدرته على تحقيق أهداف الأمة، وإظهار كفاءتها، وروحها وأخلاقها، وبالنسبة للوعي والشعور بالمسؤولية، والإيمان، فهي مسائل نسبية، يجب أن تحدد وفق منطق علمي وليس من خلال تركها سائرة بحركة عشوائية، كما أن هذا الانقلاب الذي يريده عفلق يتسم بأنه يرفض أي إصلاح للمجتمع من الحكومات السابقة، فرؤيته أن المجتمع يجب أن يبنى من الصفر بحسب رؤية البعث، فيها شيء

---

(١٣٩) عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص٢٥٨.

(١٤٠) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٧٣ – ٣٧٤ .



من الطوباوية والبعد عن النظرة البعيدة، وهذه مما سببت للبعث الانكسارات والهزائم المتوالية كما سنرى في الفصول القادمة[١٤١].

وكل هذه الأمور جعلت بعض البحاث يرى أن سيطرة البعث على الدولة تشبه سيطرة الأحزاب الشيوعية مستعملاً كلمة القوميين الكادحين بدلاً من البروليتاريا، حيث يقول لينين:

" لكي تكسب البروليتاريا غالبية السكان إلى صفها، فإن عليها في المقام الأول أن تطيح بالبرجوازية، وأن تستولي على سلطة الدولة، وتسحق تماماً جهاز الدولة القديم، وعندما تصبح سلطة الدولة، بيد طبقة واحدة هي البروليتاريا التي عليها أن تصبح أداة لكسب الجماهير من الأحزاب البرجوازية، والبرجوازية الصغيرة"[١٤٢].

كما يؤكد ليبين في نفس السياق أن سيطرة أقلية من طليعة البروليتاريا المؤمنين بها وبحقها لابد أنه سيقود حتماً إلى كسبها للأغلبية من السكان؛ لأن البروليتاريا حسب رأيه، تهيمن اقتصادياً على مركز وعصب النظام الاقتصادي للطبقات الأخرى[١٤٣].

وما يؤكد هذا القول أن ميشيل عفلق يرى أن الحفاظ على سيطرة الحزب على الدولة يكون من خلال القوة العسكرية نفسها، وزيادة التشكيلات العسكرية للحزب وفي ذلك يقول: "لقد نظمنا الشبيبة في حلقات وفروع وقومندوسات"[١٤٤] وذلك

---

(١٤١) Al-Quds (PA), October 11, 2000.

(١٤٢) جاك ووديز، **الجيوش والسياسة**، ترجمة عبد الحميد عبد الله، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢، ص ص ٣٢-٣٣ .

(١٤٣) نفس المرجع السابق، ص٣٣.

(١٤٤) أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية: جذورها وبذورها**، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٩٨.

بغية إيصال الحزب إلى السلطة، حيث كان للبعث تشكيلات سرية بجانب تشكيلاته العلنية، ويقول أيضاً:

" وهذا الجيل لا يزال في دور النشوء والتهيؤ، لم يتسلم السلطة، ولم يصل بعد إلى مرحلة التحقيق، وسيبقى زمناً طويلاً إذا فهم حقيقة مهمته، في دور النضال، والنضال يسمح له، بل يشترط عليه أن يكون متشدداً في مطالبه، دقيقاً في الحافظ على مبادئه، مبتعداً عن كل تساهل تقضي به السياسة ويبرره استعمال النجاح" (١٤٥).

ورغم ذلك فقد أيد عفلق بعض الانقلابات العسكرية التي حدثت في سوريا مثل انقلاب المشير حسني الزعيم عام ١٩٤٩ حيث قال حول ذلك الانقلاب:
" الشعب العربي في سوريا، وفي جميع أقطار العروبة، لا يقنع من الانقلاب بأن يكون نهاية عهد أسود فحسب، بل يريد أن يجد فيه نقطة انطلاق نحو الحياة الحرة المنتجة القوية"، فالغاية تبرر الوسيلة في تحقيق الأهداف بحسب فكر ميشيل عفلق، على اعتبار أن الغاية هي تحقيق أهداف البعث التي هي نفسها برأيه أهداف الأمة، بغض النظر عن الشكل الذي تتحقق به سواءاً كان انقلاباً له أم لغيره، فالمهم أن يحقق أهدافه.

أما عن رأيه حول الوحدة العربية، فقد أيد البعث منذ نشأته المشاريع الوحدوية العربية على المستوى الإقليمي –كمشروع سوريا الكبرى، أو الهلال الخصب، وهاجم سياسة النظام السوري، لمحاربة، أو عدم الموافقة على هذين المشروعين، ورأى أن الرجعية العربية ممثلة في نظام الملك فاروق في مصر، والملك عبد العزيز في السعودية، هي التي تقف وراء عدم وحدة سوريا الكبرى، أو الهلال

(١٤٥) عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهره في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص٢٧٢، للمزيد أنظر نفس المرجع السابق، ص٣٦٥.

الخصب[١٤٦]، لكنه ما لبث بعد ذلك أن شعر بأن سيره في اتجاه المشاريع الهاشمية سيعرضه للعزلة السياسية؛ بسبب عدم تبني النظام السوري لهذه المشاريع فغيَّر اتجاهه منذ عام ١٩٤٥، وأصبح يعارض هذه المشاريع، إلا أنه استمر في دعوته لوحدة سوريا، والعراق بشرط إلغاء المعاهدة البريطانية العراقية لعام ١٩٣٠، تلك التي تحقق مصالح بريطانيا في العراق.

وأصبح يؤكد أيضاً على ضرورة الوحدة العربية الشاملة، فيقول ميشيل عفلق في ذلك:

" العمل للوحدة أمر ضروري طبيعي بالنسبة للعرب الضمان مستقبلهم، كذلك العمل في سبيل الحرية أيضاً؛ لأنه لا قيمة للوحدة إذا لم تضم شعباً حراً واعياً لحقوقه قادراً على ممارستها، والاشتراكية هي أن يكون في هذه الوحدة شعب حر منتج قادر على الحياة، وتكون لأفراده فرص متكافئة فتظهر قواه وإمكانياته دون عرقلة مصطنعة تفرضه طبقة على أخرى، أو استثمار داخلي عندما يعطي العرب طاقاتهم القصوى، ويكون مجتمعهم قادراً على البقاء، والدفاع عن النفس، وهذه الأهداف لا تتعارض مع بعضها"[١٤٧].

وندد عفلق بالأنظمة السورية التي عجزت عن تحقيق الوحدة العربية واعتبرها قطرية، وضد مصالح الأمة العربية، فيقول في ذلك:

"القيادة القديمة التي أولاها الشعب ثقته؛ عجزت عن مجاراة الشعب في تحقيق أهدافه في الوحدة العربية الكبرى، واعتمادها القطرية في عملها، وابتعدت عن الشعب،

---

(١٤٦) محمد جعفر فاصل الحيالي، **العلاقات بين سوريا والعراق (١٩٤٥-١٩٥٨)**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١، ص ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(١٤٧) مشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، مرجع سابق ذكره، ص٤١ .



وانتشر الفساد في أجهزتها الإدارية.. وسوريا سبقت غيرها من الأقطار العربية في الاستقلال، يجب أن تتحمل مسؤوليتها في المساهمة في تحقيق استقلال البلاد العربية، وتحقيق حكم دستوري يساهم في تقدم الأمة..... والبعث هو أمل الأمة في تحقيق أهدافها"[١٤٨].

لكن لم يبين ميشيل عفلق عن الأشياء التي جعلت هذه القيادة لا تستطيع تحقيق هذه الأهداف، وما هي الظروف الدولية والمشاكل الداخلية رغم أن الكثير من القادة السياسيين السوريين كانوا يسعون للوحدة مع العراق، أو الأردن، ولم يخل حزب سوري من الدعوة للوحدة العربية، أو التعاون مع الدول العربية، كما أن البعث نفسه وقف موقفاً معارضاً في كثير من المرات للوحدة السورية مع العراق، أو الأردن في ظل الحكم الهاشمي فيهما، ولم يرى أن الأنظمة تتغير والقيادات تتغير، بينما الشعب يبقى، أما المعاهدات فهي سبيلها إلى الزوال مهما طال أمدها، وبالفعل لم تبق معاهدة بين الدول العربية وكلا الدولتين فرنسا، أو بريطانيا إلا وانتهت بما في ذلك المعاهدات البريطانية مع مشيخات الخليج، تلك المنطقة التي كانت تعتبرها بريطانيا حيوية بالنسبة إليها، ويعتبرها ميشيل عفلق من أنظمة الدول العربية الرجعية، والمهادنة للاستعمار، وضد جماهير الشعب العربي، وأنها طبقية[١٤٩]، لكن رغم ذلك، انتهت علاقتها مع بريطانيا كما انتهت المعاهدات التي تربط دول المغرب العربي، والأردن مع فرنسا، أو بريطانيا.

ولم يرى ميشيل عفلق أن الدول العربية ذات أنظمة سياسية متعددة، ولكل نظام فلسفته، فلا يمكن أن تتحقق وحدة البلاد العربية وفق الشروط التاريخية الموجودة، إلا على أساس فيدرالي، تتوحد فيه أشياء، وتحترم في داخله أشياء أخرى،

---

(١٤٨) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٢-٤٠ .

(١٤٩) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٢، مرجع سابق ذكره، ص ص ١١٨ – ١٢١ .

كما في دول المغرب العربي، أو دول الخليج، أو وادي النيل، أو الهلال الخصب، فعلى سبيل المثال يقول ميشيل عفلق حول السودان ذلك القطر العربي المتعدد الأديان والقوميات: "العروبة السودانية هي الإسلام في جوهره"[١٥٠]، وهذا أمر لا يتفق عليه الكثير من السودانيين من غير العرب، أو من غير المسلمين، ولعل المشاكل الحاصلة الآن في السودان أكبر مثال على ذلك، ثم أنه يرفض في مواضع أخرى القبول بقوميات أخرى، أو بلغات أخرى داخل الوطن العربي الكبير، الذي يتميز قسماً مهماً منه بالفوارق القومية، واللغوية، فيقول في ذلك: "إن لهذه البلاد في شرقها، وغربها اسماً واحداً، ولغة واحدة، وقومية واحدة"[١٥١].

ومعيار الرجعية في النظام السياسي عند ميشيل عفلق هو عدم مشاركة الجماهير الشعبية في الحكم، وعدم السير في طريق الوحدة العربية؛ لأن ذلك برأيه يبعد النظام عن كل طابع ثوري، ويجعله طبقياً، وإقليمياً[١٥٢]، كما أنه يرفض انفرادية أي حزب، أو نظام في الحكم، لكن كل هذه الآراء تناقض آراءه السابقة التي يرى فيها حزب البعث أن البعثيون هم الممثلين للأمة، وللجماهير وهم الطليعة الثورية، رغم أن قادة الحزب أنفسهم طالبوا عبد الناصر في عهد الوحدة بإنشاء لجنة سرية محدودة العدد يمارس من خلالها البعث حكم سوريا[١٥٣]، كما أن اثنين من قادة البعث وقعوا على وثيقة الانفصال عام ١٩٦١ وهما صلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني، وقال حول ذلك ميشيل عفلق: " الانفصال شر لابد منه"[١٥٤].

---

(١٥٠) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٥، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٩٤ . ٢٩٥.

(١٥١) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ط٢، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣، ص١٧٧.

(١٥٢) ميشيل عفلق، **البعث والاشتراكية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣، ص ص١٩٦-١٩٩

(١٥٣) سعد جمعة، مرجع سابق ذكره، ص ص ٥١-٥٢، للمزيد انظر ميشيل عفلق، في سبيل البعث، ج٤، ص ٢١٥ – ٢١٧، ص ٨١ – ١٩٥ .

(١٥٤) نفس المرجع السابق، ص٥٩



كما يعارض ميشيل عفلق ميثاق الجامعة العربية ويعتبره كارثياً على الأمة العربية، ولعله في هذه الناحية محق في ذلك؛ لأن ميثاق الجامعة ليس فيه أية إيماءات لتحقيق وحدة عربية، على المستوى السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، فيقول في ذلك:

" إن التعاون الذي حققه ميثاق الجامعة العربية هو تعاون قاصر، قد يتحقق مثله بين دول غريبة متباينة في اللغة، والعنصر، والتاريخ، وبعيدة عن بعضها في الإقليم والقارة، فالميثاق في مجموعه إقرار لحالة التجزئة الراهنة في العالم العربي، وتوكيد للنزعات الشخصية في الفئات الحاكمة، وإذعان من دول الجامعة لسياسية الأمر الواقع، الذي سهَّل عليها التراجع أمام مطامع الأجنبي ضد بعض أجزاء الوطن العربي "[١٥٥].

أما عن رأيه في القيادة القومية للحزب، فيقول عنها:

" القيادة القومية: هي التعبير العملي لنظام الحزب عن هذه الوحدة، وبالتالي عن ثورية الحزب، وهي تعني وجود عدد من القادة من أقطار مختلفة حسب مؤهلاتهم وثقة المؤتمرات بهم وتنتخبهم المؤتمرات ويقودون الحزب، وعندما يصل الحزب في قطر، أو أكثر إلى مستوى الاشتراك في الحكم، أو استلام الحكم كاملاً، تصل القيادات القطرية في هذه الأقطار إلى حد من القوة يغريها بألا تخضع لأي سلطة فوقها، والحل في ذلك هو نظري فقط، لكي تكون القيادة القومية هي صاحبة

---

(١٥٥) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، ج٤، مرجع سابق ذكره، ص ص١٢٦ – ١٢٩ .

السلطة العليا فعلياً يجب أن يكون وعي القاعدة الحزبية في أعلى مستوى، وسهرها على سير الحزب، والتزامها بمبادئه، ونظامه فائقاً "[١٥٦].

لكن هذا الحل النظري الذي يراه ميشيل عفلق ليس واقعياً، ولا يمكن أن يحدث تحت أي ظروف؛ لأن نسبه الوعي هي مسألة نسبية، كما أن المصالح الشخصية لها دور كبير في المجتمعات المتخلفة، ومنها المجتمعات العربية فعلى سبيل المثال يرى ساطع الحصري أن بعض القادة البعثيين عندما وصلوا إلى بعض الوزارات في الحكومات السورية قبل الوحدة، كانوا يستخدمون المحسوبية، والوساطة لمن ينتمون إلى الحزب، وهذا ما يشجع بعض الانتهازيين ممن لا يؤمنون بمبادئ الحزب إلى الانتساب إليه[١٥٧]، فما بالنا لو وصل الحزب إلى السلطة في بعض الأقطار، فسيزداد عدد الانتهازيين بشكل أكبر، وسيقفون ضد القرارات التي تعيق مصالحهم حتى لو كانت نابعة من القيادة القومية؛ لأن القوة العسكرية والسلطوية في أيديهم.

وما يؤكد هذه الحقيقة قول أحد قادة الحزب وهو شبلي العسيمي عند انعقاد المؤتمر الخامس للحزب عام ١٩٦٢: " لقد كان عدد الذين انضموا إلى الحزب قليلاً، ولكننا أخذنا ننمو رويداً،وكان علي صالح السعدي عضواً في القيادة القطرية، وكذلك حمدي عبد المجيد وأنا وحمود الشوفي، ووليد طالب وفي عام ١٩٦٣ كان عددنا حوالي ٤٠٠ عضو"[١٥٨].

من خلال تتبعنا لعرض وتحليل أيديولوجية حزب البعث وفكر مؤسسة الرئيسي ميشيل عفلق، حول عدد من القضايا التي تهم المجتمع العربي عموماً، والمجتمع العراقي خصوصاً، والذي هو موضوع الدراسة، نجد أنه لا يوجد في نظرية

---

(١٥٦) نفس المرجع السابق، ص٧٤ .

(١٥٧) أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية: جذورها وبذورها**، مرجع سابق ذكره ص ص ٢٠٠-٢٠١ .

(١٥٨) أكرم الحوراني، مرجع سابق ذكره، ص٣٠٤٥.

البعث طريق عمل، أو استراتيجية واضحة المعالم، فاشتراك البعث في عدد من الحكومات اليمنية التي وصلت إلى الحكم من خلال الانقلابات العسكرية، واعتماده على الضغط من خلال المؤسسة العسكرية، لتحقيق الكثير من أهدافه، يبعده عن الشعبية، كما تميز فكر مؤسسه ميشيل عفلق بالضبابية في تعريفاته لكثير من الأمور، وعدم وجود محددات علمية لأي مفهوم، فعلى سبيل المثال لا الحصر لم يقدم ميشيل عفلق تعريفاً للأمة، وللقومية له صفة العلمية، ولم يرصد تاريخ نضالها حسب المنهج الثوري السليم، ولم يجب عن سؤال كيف يبدأ النضال العربي من أجل الوحدة؟ فيقول حول تعريف الأمة العربية: " هي كلية مطلقة لا متناهية، خالدة، أفعالها ليست أفعال تاريخية عادية، ولكنها معجزات"[١٥٩]. وفي تعريف خصائص هذه الأمة يقول: " هي خصائص فوق الزمان، والمكان، وهي التي توجه التاريخ"[١٦٠]، كما أن الكثير من أفكاره تعتبر مجردات ميتافيزيقية لا تنطلق من الواقع والروح العلمية، من خلال تعريفاته للقدر، والخلود، والاشتراكية، وكلمة السر، والفرد، فعلى سبيل المثال يقول: " ليس بيننا، وبين المستقبل الذي يتحدث عنه البعث العربي والذي هو موضوع عملنا ونضالنا زمن حسابي يقدر بالأشهر والسنين، فقد يصل المرء إلى هذا المستقبل في ثانية واحدة، عندما يدرك الفرد ذاته المثالية ويعي ويصمم"[١٦١]، فلا يمكن أن يفهم المرء أي شيء من هذا الكلام.

٣-بعض المنطلقات النظرية في حزب البعث

تقول إحدى المنطلقات "إن أيديولوجية حزبنا ترفض، بلا تردد وبحزم الآراء الإصلاحية الانتهازية التي تروج لتدرج بطيء طويل للتغيير الاجتماعي... إن

([١٥٩]) سعد جمعة، مرجع سابق ذكره، ص٥٣.

([١٦٠]) نفس المرجع السابق، ص٥٣.

([١٦١]) أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية: جذورها وبذورها**، مرجع سابق ذكره ص ص ١٥٣ – ١٧٨.



الأيديولوجية الثورية هي الحل الطبيعي والوحيد لمشاكل بلد متخلف"، وعلى هذا فالمنطلقات النظرية تؤكد فكرة الانقلاب الشامل، وعدم إتاحة المجال للإصلاحيين، على أساس أن آراءهم غير جديرة بتحقيق التقدم.

وتقول منطلقات أخرى:

" وفي الظروف الراهنة... يجب نقل السلطة من الطبقات البرجوازية إلى الطبقات الكادحة، ولهذا يجب تخطي(البرلمانية) باعتبارها أحد أشكال سيطرة تلك الطبقات على الجماهير الشعبية...... إن تخطي (البرلمانية) لايعني الانتقال إلى أشكال للحكم ديكتاتورية أو فردية بيروقراطية أو عسكرية، بل يعني زوال الإطار البرجوازي شبه الإقطاعي للديموقراطية والانتقال إلى ديمقراطية أوسع وأعمق وأمتن وأسلم هي الديمقراطية الشعبية"[١٦٢].

وعلى هذا فيرفض البعث القبول بالمجالس الشعبية البرلمانية، رغم أنها ستمثل جميع أطياف المجتمع، فهو يعتبرها إحدى الأشكال التي تحاول استغلال طبقات المجتمع لصالحها، وأنه هو فقط المعبر عن الشعب، وهنا يتشابه هذا الرأي مع رأي الماركسيين، الذين يرون أن الحزب الطليعي الشيوعي هو المعبر الوحيد عن الشعب.

وتستطرد بعض المنطلقات النظرية للحزب في آراءها حول الحكم في الدولة بقولها:

" إما أن نعيش نحن أو تعيش الرجعية، وكل تسوية وسط أكذوبة أو خدعة نتيجتها إنقاذ الرجعية...... إن مبدأ (الحزب القائد) أصبح أمراً تمليه الضرورة المرحلية لوجود

---

(١٦٢) محمد أحمد الزعبي، **النظام السوري إلى أين**، ٢٠٠٧/٣/٢٨ مأخوذ عن الموقع:
http://www.asharqalarabi.org.uk/center/dirasat-ni.htm

سلطة مركزية ثابتة تقود عملية البناء الاشتراكي..... الممارسة العملية للديمقراطية تقتضي نبذ مبدأ إبعاد الجيش عن السياسة... بل إن فكرة الجيش المحترف هي بالأساس مبدأ الرجعية والبرجوازية في الحكم "[١٦٣].

وبناءاً على ذلك يرفض البعث إشراك الآخر في السلطة، ولا يحدد مؤشرات الرجعية عنده تلك التي يعتبرها لا توافق أهدافه، وأن وجود البعث كحزب قائد في المجتمع هو شئ ضروري من أجل تقدم المجتمع من خلال الاشتراكية،وتحقيق أهدافه، مع ضرورة إشراك الجيش بالسياسة، وأن يكون هذا الجيش هو جيش تابع للحزب، والبعث يعلم أن تدخل الجيش في السياسة كان له أثره السيئ، في القضاء على الحكومات المدنية؛ بسبب ما قام به من انقلابات عسكرية في سوريا، والعراق.

كما أن إحجام البعث من خلال أيديولوجيته وأفكار مؤسسه ومنطلقاته النظرية، عن تحليل العوامل الطائفية، والعرفية، والشعائرية، والطبقية، والحزبية، والجهوية تحليلاً علمياً، للوصول إلى حل لمشكلاتها، قد قاد الحزب إلى مشكلات مستقبلية في الدول التي وصل إليها البعث؛ لأن هذه الرواسب هي من رواسب المجتمع التقليدي، الذي يعيق الشعور القومي، والاجتماعي، والاقتصادي.

وتناقض الآراء في فكر ميشيل عفلق، في عدة مفاهيم، جعل نظرية البعث تتخبط في حل علمي لمشكلات محددة، قد تواجه المجتمع والدولة، إضافة أن اعتماده على مبدأ الانقلاب في تحقيق الأهداف، فلم يكن سوى مثله مثل الانقلابات التي حدثت من قبل من قبل بعض الضباط العسكريين، بل لقد انفصلت القيادة القطرية

---

(١٦٣) نفس المرجع السابق .



عن القومية؛ بسبب الصراع بين العسكريين، والمدينين داخل الحزب نفسه، وهذا ما سنراه في الفصول القادمة.

فكون الحزب يعتمد في إيديولوجيته على شعار توحيد جميع الدول العربية في دولة واحدة وبتبني المنهج الاشتراكي، إلا أنه لم يستطع تطبيق ذلك بسبب بعض المشاكل التي هزت كيانه ومصداقيته، مثل عدم وجود منهج وبرنامج عمل علمي واضح المعالم يمكن تنفيذ أفكاره على الأرض فبقي أسير أهدافه التي بقيت شعارات لم تجد من ينفذها ويحققها، وتبنيه أسلوب تنظيم الأحزاب الشيوعية، أشبه بالتنظيمات الاستخبارية منها إلى التنظيمات السياسية، معتمدةً على أكبر قدر من الاستقطاب الحزبي للمنتمين للحزب دون الاهتمام بنوع العناصر وتأثيرها الاجتماعي، وهذا مما يشجع أعضاء الحزب من المغامرين والانتهازيين لتحقيق المطامح الشخصية؛ وإحداث انشقاقات مستمرة في الحزب منذ نشأته، فما هي الاستراتيجية التي قام بها البعث؛ لحل كل مشكلات المجتمع العربي، المتسِّم بالتنوع الإقليمي، والطائفي والديني، والعرقي،والطبقي، إضافة لما ساهم به الاستعمار في كافة مراحله، من إحداث انشقاقات بين الدول العربية في أعرافها، وعاداتها، وولاءاتها الشخصية.



المبحث الثاني

تركيبة المجتمع العراقي

اتسَّم العراق عبر تاريخه الطويل الممتد إلى مهد الحضارات العالمية التي نشأت في بلاد الرافدين، بالتمايز العرقي، والديني، والعشائري، نتيجة قيام حضارات عديدة فيه، وانتشار المجموعة البشرية التي كان لها دور كبير في هذه الحضارات في مناطق محددة من العراق.

وقد بلغ عدد سكان العراق ما يقارب ٢٧مليون نسمة، حوالي ٤٠% منهم تحت عمر ١٥ سنة، ويسكن معظمهم في وسط البلاد، وأكبر مدن العراق هي بغداد؛ التي يلغ عدد سكانها حوالي ستة ملايين نسمة، ثم تليها البصرة، ثم الموصل، ويتحدث العربية أكثر من٨٠% من العراقيين، ويتميز العراق مثل باقي دول المشرق العربي بتنوع عرقي وطائفي ويشكل العرب الغالبية العظمى فيه عرقية و الأكراد الذين كانوا يشكلون بعد الحرب العالمية الثانية نحو ١٩% من مجموع السكان، يضاف لهم مجموعات صغيرة من التركمان إضافة للمسيحيين: الآشوريين والكلدانيين والأرمن، وكان اليهود في العراق يشكلون نحو ٢.٦% بعد الحرب العالمية الثانية لكن هجرتهم المتزايدة والقسرية أحيانا بعد حرب ١٩٤٨؛ قلص عددهم إلى بضعة آلاف فقط، أما عن الطوائف والديانات فينقسم العرب المسلمون ما بين شيعة وسنة،والأكراد غالبيتهم من أتباع المذهب السني، إضافة لحوالي ٥% من المسيحيين وأخيراً اليزيدية والشبك والصابئة المندائيين والعلى الهي والكولية.



ولعل أهم الأشياء التي ساهمت في وجود هذه المجموعات العرقية والدينية في العراق هي:

١- قرب العراق من مهد الديانات الرئيسية سواء اليهودية، أو المسيحية، أو الإسلام، وكانت الكوفة عاصمة خلافه الإمام علي، ومركزاً لمناصريه كما أصبحت بغداد في العصر العباسي مركزاً للخلافة معظم تلك الفترة، إضافة لسامراء التي أصبحت عاصمة أيضاً في عهد الخليفة المتوكل، ومما تجدر الإشارة إليه، أنه في بغداد قد نشأت معظم المدارس الدينية الكبرى، والتي انقسم أبنائها إلى مذاهب متعددة.

٢- يعتبر الهلال الخصيب معرضاً دوماً لغزوات مجموعات سكانية متعددة، فقد هاجر إليه الكثير من الأقوام، مثل: الأكراد، والمغول، والتركمان، والأتراك، والفرس، وغيرهم من الأقوام؛ بسبب توسع بعض الأقوام من خلال الفتوحات إلى العراق، كما حدث في عهد الدولة الساسانية الفارسية، أو عهد الدولة الصفوية، أو العثمانية في الأناضول، أو بسبب رغبة تلك الأقوام في العيش في مناطق خاصة بها في العراق، مثل الأكراد.

٣- كان الهلال الخصيب ملجأً للمضطهدين سياسياً، ودينياً من الأقاليم المجاورة، مثل الصابئة، والأرمن، والأشوريين.

٤- كانت بعض الاختلافات العشائرية، والقومية، ذات طابع ديني في العراق؛ مما خلق مجموعات سياسية دينية، مثل اليزيديين، والأشوريين، والصائبة، والعلى اللهية.

٥- حافظت بعض الأقليات على تمايزها، من خلال وجودها في إقليم جغرافي محدد، مثل: النساطرة، والكلدان، والأكراد، واليزيديون، والصائبة، والكاكائيون، وغيرها.



٦- عدم وجود سلطة مركزية قوية، إضافة إلى ضعف إمكانيات الاتصال مع هذه المناطق، مما جعلها تتمايز عن غيرها من الأقاليم، السهلية الأخرى، التي تستوطنها الغالبية من السكان.

٧- التسامح الديني، والعرقي، لدى المسلمين على الدوام، تجاه الأديان، والأعراق الأخرى، وهذا ما أكد عليه كثير من الباحثين الغربيين.

٨- العزلة الطبيعية التي تعيش فيها بعض الجماعات؛ بسبب صعوبة المواصلات، واختلاف تضاريس العراق الجغرافية.

٩- عدم اهتمام الأنظمة والدول التي حكمت العراق، بمعالجة موضوع الأقليات معالجة علمية سليمة؛ بسبب غياب فلسفة تربوية واضحة في نظام التعليم، الذي لم يساير برامج التعليم الحديثة؛ بما يحقق حاجات المجتمع، ويبرز واقعة[١٦٤].

١٠- اختلاط الطابع الديني بالطابع القومي لبعض الفئات في العراق.

هذه الأسباب كانت كافية لوجود هذا التنوع العرقي، والديني، والطائفي والمذهبي، والعشائري، والإقليمي، والطبقي، والحزبي، في العراق، وبناءاً على ذلك سيقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب هي:

- المطلب الأول: سيتناول التمايز العرقي الإثني في العراق.
- المطلب الثاني: سيتناول التمايز الديني، والطائفي، والمذهبي في العراق.
- المطلب الثالث: سيتناول التمايز الحضري بين الريف والمدينة والتمايز الإقليمي، والتمايز العشائري.

---

(١٦٤) Phebe ,Marr,. **"Iraq's Leadership Dilemma: A Study in Leadership Trends, 1948-1968,"** Middle East Journal, 24, No. 3 . Winter-Autumn 1970,pp 283-301.

- المطلب الرابع: سيتناول التمايز الطبقي، والحزبي في العراق.

وحيث أن هذه التمايزات مرتبطة ببعضها البعض بشكل كبير، لذلك فستكون الدراسة فيها نوع من التعقيد والصعوبة، لامتزاج أكثر من عامل مع عوامل أخرى، فقد يرتبط الفرد بدين معين، ومذهب معين، إضافة لانتمائه لعشيرة معينة، أو إقليم معين، أو طبقة معينة، أو حزب معين، لذلك فقد رأت الدراسة التركيز على تمايز معين للأفراد في كل حالة، مع التنويه لارتباط هذا التمايز بتمايز آخر في نفس السياق، والتركيز على التمايز الآخر في موضع أخر، مع التنويه إلى ارتباطه بالتمايز الأول، بشكل مبسط، وكل ذلك توخياً لسهولة التحليل العلمي لكل عامل.



المطلب الأول

التمايز العرقي – الإثني– في العراق

التمايز العرقي – الإثني– هو: تمايز الأفراد في الخصائص الانثروبولوجية والجينية عند الأفراد الآخرين، من نفس المجتمع، أو بالنسبة لمجتمعات أخرى، وبما أن المجتمع العراقي يحتوي مجموعات عرقية عديدة، إلا أن هذا لا يعني أنه لم يحصل تمازج بين أفراد المجموعات المختلفة عرقياً، فليس هناك عرق صاف في العالم، وهذا ما أثبته وأكده علماء الانثربولوجيا، بيد أن عملية الدمج العرقي هي مسألة نسبية، رغم أن هذا لم يمنع احتفاظ بعض هذه الأعراق بقدر من التمايز مع الآخرين، وهذا ما حدث بالفعل في محل الدراسة وهو العراق.

وأهم المجموعات العرقية في العراق هي•:

(١) العرب

قوم ساميون، هاجروا هجرات متعاقبة، على بقاع الهلال الخصيب، وعاشوا مع سكان تلك المنطقة، الذين كانوا يعيشون حياة لا حضرية، وامتزجوا بهؤلاء السكان، فظهر منهم السومريون، والأكاديون، الذين كانوا أولى المجموعات السامية المهاجرة إلى العراق منذ (٤٥٠٠) ق.م، ثم قامت هجرة سامية أخرى هي الأموريون الذين هاجروا إلى بلاد الرافدين، والشام، وكونوا سلالة بابل الأولى، التي اشتهرت بملكها حمورابي، وفي نفس تلك الفترة استوطن قسماً من القبائل الآرامية، وعرفوا باسم الكلدانيين، كما استوطن قسماً من العرب في عهد الدولة الفارسية التي كانت آنئذ تحتل العراق، وعرفوا باسم اللخميون، أو المناذرة، كما استوطن قسماً من

• انظر الجدول (١-١) الذي يبين نسبة كل إثنية من الإثنيات (الأعراق) الموجودة في العراق .



العمالقة الساميون في العراق، وأنشؤوا دولتهم في عام ٢٥٠٠ق.م. وكان منهم الهكسوس الذين حكموا مصر في عام ٢٣٠٠ ق.م، كما دخل العاديون، والقحطانيون، والتابعية، واستقروا في العراق، وقد تهَّود قسماً منهم، كما تنصَّر آخرون، وذلك قبل الفتح العربي الإسلامي للعراق(١٦٥).

ثم جاءت بعد ذلك الهجرة العربية السامية الكبرى عام ٦٣٣م، حيث أدخلت معها الإسلام للعراق، وقد استمر العرب فيها حتى سقوط بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨، فتوقفت الهجرات العربية إلى العراق ردحاً من الزمن، لكن في العهد العثماني، خلال فترة حكم داود باشا للعراق في القرن التاسع عشر، حدثت هجرة عربية جديدة، وكانت تلك الهجرة لسببين: أولاهما اقتصادي، والآخر سياسي، حيث كان بسبب اضطهاد الحركة الوهابية لهم لعدم تقبلهم مذهبها الجديد، وقد شجع العثمانيون هذه الهجرة، بقصد صد الحركة الوهابية عن العراق، وليكونوا حاجزاً عن الصفويين في إيران من ناحية الشرق(١٦٦).

وقد كان العراق منذ خلافة الإمام على (كرم الله وجهه)؛ مركزاً للخلاف بين المواليين له، وبين الرافضين لبيعته من الأمويين، ومؤيديهم، وقد اشتد هذا الخلاف في العهد العباسي بين العلويين الهاشميين وبين العباسيين الهاشميين،؛ بسبب التنافس على السلطة، وعلى هذا الأساس كان العراق مركزاً للثورات الشيعية المتلاحقة، بين العرب أنفسهم؛ بسبب اختلافاتهم الأيديولوجية، والعقائدية.

---

(١٦٥) شفيق عبد الرازق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٢-١٥ للمزيد انظر قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق، ص٦٧.

(١٦٦) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق: دراسة سياسية اقتصادية، اجتماعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ص١٩٩-٢٠٠



فقد حكم العراق من كلا الطرفين الشيعة، والسنة، فعندما يكون الحكم شيعياً كما في دولة البويهيين، والصفويين، يكون السنة في حالة اضطهاد، ويحدث العكس عندما يكون الحكم سنياً، كما في دولتي السلاجقة، والعثمانيين، لكن هذه الدول لا تمثل الشخصية العربية، وبالتالي لا تعبر عن واقع الشخصية العربية والإسلامية الصحيحة، فقد كان هناك تسامح بين هاذين المذهبين في العصر العباسي الذهبي، قبل أن يتدخل السلاجقة، ومن بعدهم البويهيون في حكم الدولة العباسية، كما كان هناك تسامح ديني في عهد دولة الحمدانيون الشيعية التي ظهرت خلال العصر العباسي الثاني، والتي شملت أرجاء كبيرة من العراق، وسوريا.

وقد اجتمع العرب السنة تحت تسمية واحدة بغض النظر عن اختلافاتهم المذهبية الفرعية: حنابلة، شافعية، حنفية، مالكية، وسموا باسم السنة، أما الشيعة فرغم اختلافهم أيضاً، إلا أنهم اجتمعوا تحت راية الشيعة الاثنى عشرية، وعلى هذا الأساس كان انعزال السنة عن الشيعة في أقاليم العراق المختلفة.

ويتسم العرب من الناحية الانثروبولوجية، باستطالة الرأس، واستقامة الأذن وسمرة البشرة (حنطي)، وسواد العينين، والقامة المتوسطة، ويتسمون بالذكاء، وسرعة الانفعال، والكرم، والدهاء، وهم حضر، وبدو، وشبه رحل، وينقسمون إلى قبائل وعشائر، تميزهم عن بعضهم البعض[١٦٧].

وقد كان لهم أكثر من حقبة في التاريخ حيث كونوا خلالها، دولاً كبرى ضمت بين جناحيها قوميات، وأقوام عديدة، وتجسد ذلك في مراحل تاريخها العريق، وخاصة في مراحل النهضة والتقدم، فإن مستوى الامتزاج الحضاري بين العرب، والقوميات الأخرى التي ضمتهم الدول العربية كان واسعاً، وعميقاً، بدون

---

(١٦٧) أمين سامي الغمراوي، **قصة الأكراد في شمال العراق**، القاهرة: دار النهضة العربية،١٩٦٧، ص ص٩١-١٠١.



أن تفقد الأمة العربية شخصيتها، وأصالتها القومية، في جميع عهودها، سواء في ظل قوتها، أو في ظل عهود الانحطاط، عندما تحللت الدولة العربية وسيطرت قوى أجنبية على الوطن العربي، فبقيت أهم خصائصها أنها تنتمي إلى أمة عريقة الجذور في التاريخ الإنساني(١٦٨).

وأهم مميزات الشعب العربي في العراق هي:

١- عدم اجتماعهم على تقبل شكل من أشكال السلطة، أو القيادة؛ بسبب الاختلاف على السلطة بين السنة، والشيعة•، حيث ترى كل واحدة أحقيتها بالسلطة، لذلك انعزلت كل منهما عن الأخرى في مناطق خاصة بها، حتى أن العاصمة بغداد انقسمت إلى أحياء شيعية، وأخرى سنية.

٢- العصبية العشائرية، والقومية؛ بسبب اعتدادهم بأمجاد الأمة العربية الغابرة، حيث كانت بغداد مركز الدولة العباسية، وحاضرة العالم بأسره.

٣- اختلاف مطالبهم وحاجاتهم، نتيجة اختلاف آراءهم، وثقافاتهم في المجال السياسي، أو الديني.

٤- ميلهم إلى الوحدة العربية مع الدول العربية المجاورة؛ بسبب وجود قوتين كبيرتين محاذيتين للعراق، هما إيران، وتركيا، وما يشكله الترابط العشائري والتاريخي لهم مع هذه الدول وخاصة سوريا، والأردن.

---

(١٦٨) شفيق عبد الرازق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص ٣١، للمزيد حول دور العرب الحضاري، انظر عاطف أمين وصفي، **المجتمع العربي**، ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، ص ص ١٨-٢٠.

• لم يكن الشيعة العرب يشكلون الأكثرية من سكان العراق، إلا في القرن التاسع عشر عندما حدثت الهجرة العربية في عهد والي بغداد داود باشا حيث تشيعت تلك القبائل، لتزيد نسبة الشيعة العرب، إلا أن هذا لا يعني أن الشيعة بقوا هم الأكثرية في العراق، فلو جمعنا العرب السنة، مع السنة من القوميات الأخرى من الأكراد والتركمان وغيرهم، فسيكون هناك تعادل بين السنة والشيعة (الباحث) .



٥- ميلهم إلى السلطة؛ بسبب عشائرية المجتمع العراقي، حيث أن العشائرية تتصف بميلها إلى السلطة السياسية، مع ميلها لبروز زعيم تتفق عليه العشائر.

٦- ميولهم الدينية، بسبب تاريخ العراق كمركز للخلافة العباسية، ووجود أئمة الفقه الإسلامي والمذهبي مثل، الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه)، والأئمة السنة مثل: أبي حنيفة النعمان، وأحمد بن حنبل (رضي الله عنهما)، ووجود المراقد المقدسة، للسنة والشيعة على حد سواء، لكن امتياز الشيعة بخاصية الاهتمام الكبير بزيارة هذه المراقد – مراقد أهل البيت- (عليهم السلام)، قد جعل عندهم نزعة متعصبة تجاه مذهبهم؛ إضافة إلى ظهور الفرق، والحركات الإسلامية السياسية مثل الخوارج، والمعتزلة، والصوفية، وهذا ما ساهم في انضمام الكثير من العراقيين إلى الحركات السرية ضد الحكم العثماني منذ عام ١٩٠٩.

٧- ميلهم إلى المغامرة، والتمجيد بالأجداد؛ بسبب اختلاطهم بالأعاجم من غير العرب، مثل الفرس والترك وغيرهم.

ويشكل العرب نسبة تقترب من الـ٧٠% من مجموع سكان العراق، ويتوزعون في معظم أرجاء العراق، إلا أن نسبتهم في شمال العراق أقل من نسبة الأكراد، ويتوزعون إلى أكثرية سنية في الوسط العراقي، وأكثرية شيعية في الجنوب العراقي، أما بغداد فتكاد تكون النسبة فيها متساوية بين الاثنين سواءاً السنة أم الشيعة.

الجماعة الإثنية	نسبتها إلى مجموع السكان	مكان تمركزها في العراق
العرب	٧٠%	شمال غرب ووسط وجنوب العراق



الأكراد	٢٠٪	شمال غرب العراق
التركمان	٤٪	شمال غرب العراق
الفرس	٣٪	وسط وشمال العراق
الأشوريون	أقل من ١٪	شمال غرب العراق
الكلدان، والنساطرة	أقل من ١٪	شمال غرب العراق
الأرمن	أقل من ١٪	وسط وشمال العراق
المجموع	١٠٠٪	

جدول رقم (١-١) يوضح الأعراق الإثنية في العراق، وقد صمم الباحث هذا الجدول بناءاً على المراجع المتوفرة في الدراسة

٢- الأكراد

أُختلف حول أصولهم، وما هي العصور التي جاءوا بها للعراق، لكنهم وجدوا في العراق منذ ما قبل الفتح الإسلامي له، وكان لهم دور كبير في فترة الحكم الإسلامي، بما امتازوا به من علم، ومعرفة، وثقافة، وخاصة في أيام الدولة الأيوبية التي قامت في مصر، والشام وشملت معظم أرجاء العراق، وقد استقر بعضهم في إيران، وآخرون منهم في الأناضول وشمال سوريا، ومعظمهم سكن القرى، ولهم ثقافة خاصة بهم، إضافة إلى عادات، وتقاليد موروثة، وقد أخلصوا للدين الإسلامي منذ دخولهم فيه، وهذا ما يفسر وجود كثير من مؤسسي الطرق الصوفية من الأكراد، ورجال الدين، والعلماء[١٦٩].

---

(١٦٩) عباس العزاوي، **عشائر العراق**، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٧، ص ص ١٧-١٨ ، أنظر أيضاً شاكر خصباك، **الأكراد: دراسة جغرافية إثنوغرافية**، بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٧٢، ص ٥٠٣ – ٥١١.



ويرى بعض الباحثين أن أصولهم عربية، لكن رأى آخرون أنهم من أصول أرية فارسية، رغم أن لهجاتهم بعيدة جداً عن اللغة الفارسية، أما ادعاءهم أنهم من أصول عربية؛ فبسبب انتساب الكثير منهم إلى أحد أجداد العرب وهو ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل، حيث تفرقوا في بلاد كثيرة؛ بسبب الحرب التي كانت بينهم وبين قبائل عربية أخرى، وامتزجوا بعد ذلك بأهل تلك البلدان، وانتهت لغتهم العربية، وأصبحت لهم لغة خاصة بهم، وهذا الرأي أكده كل من المسعودي وابن الشمنة(١٧٠).

بيد أن بعض القوميين من الدول التي يتواجد فيها أكراد، رأى أنهم ينتمون إليهم مثل الأتراك الذين رأوهم أتراكاً، وعلى هذا الأساس سماهم مصطفى كمال أتاتورك، أتراك الجبل، بينما رأى ميشيل عفلق أنهم من أصول عربية، وقد نسوا لغتهم بسبب الاستعمار الذي مرَّ على الوطن العربي في كافة مراحله، كما رأى أنهم من ذرية كثير من العرب الفاتحين أمثال خالد بن الوليد، ومعاذ بن جبل،، والعباس بن عبد المطلب، وبني أمية، أو من أولاد كردين عمر مزيفيا، والدليل على ذلك أن الكثير من القبائل الكردية تدعي انتسابها لهولاء، كما أن الكثير من رؤساء العشائر الكردية يتباهون بانتسابهم، لأحد الصحابة، أو أحد أئمة أهل البيت(١٧١).

وقد رأى آخرون أن الأكراد من قوم النبي نوح عليه السلام، الذين دخلوا السفينة وخرجوا منها، ثم عاشوا منفردين بعد ذلك، وهم ينتسبون إلى كردين بن

---

(١٧٠) نفس المرجع السابق، ص١٩، للمزيد انظر:

Edmund ,Ghareeb,. **The Kurdish Question in Iraq**. Syracuse: Syracuse University Press, 1981,pp.8-40. **Also Look**:
Stephen, C ,Pelletiere,. **The Kurds: An Unstable Element in the Gulf**. Boulder, Colorado: Westview Press, 1984.pp.30-70.

(١٧١) نفس المرجع السابق، ص ص٢٠ – ٢٣ .



مردين بن يافت بن نوح، أو إيران بن ارم بن سام بن نوح، أو إلى كردين بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح(١٧٢).

إلا أن الباحث مازن بلال يرى؛ أنهم قد تمازجوا مع كافة الشعوب القديمة والأصول السلالية إبتداءاً من القوتين وحتى الآن، وأنهم وجدوا ضمن البيئة السورية التي تشكل الهلال الخصيب بكامله، فهم جزء من الشعب السوري مثلهم مثل الأشوريين، والفينيقيين، والآراميين، لكنهم ظهروا بشكل أوضح؛ بسبب ما تعرضوا به للإرهاب من العناصر الأخرى خارج بيئة الهلال الخصب السورية، وخاصة من قبل الأتراك، والدليل على ذلك أن منطقة الهلال الخصب السورية كانت على الدوام وحدة إدارية تامة، وهذا ما اعتبرته الإمبراطوريات الرومانية والإغريقية –خلال حكمها للمنطقة – لأن له نسيج جغرافي واحد، وما يسمى بكردستان، وهذه المنطقة ذات الأكثرية الكردية في كل من سوريا، والعراق، وإيران، وتركيا، هي جزء من سوريا الطبيعية، وأن كردستان لا يمكن أن تشكل بيئة مستقلة بحد ذاتها سواءاً من حيث الحدود الجغرافية الواضحة، أو من حيث الإمكانيات الاقتصادية، والتركيب البشري(١٧٣).

لكن يرى بعض الأكراد أنهم من أصول أرية، والسبب في ذلك ربما يكون بسبب ما كان لهذا العرق من دعاية متطرفة قبيل الحرب العالمية الثانية، حيث يدعي البعض أنهم أتوا من مناطق العرق الآري، مثلهم مثل الجورجيين، منذ ما قبل التاريخ، واستطاعوا إذابة شعوب المنطقة الأصليين بفعل اندماجهم معهم، وأنهم حافظوا على

(١٧٢) نفس المرجع السابق، ص ص ١٩-٢٢ .

(١٧٣) مازن بلال، **المسألة الكردية: الوهم والحقيقة**، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص ص١٩-٣٣

Also Look: Saad, Jawad,. **Iraq and the Kurdish Question**, 1958-1970. London: Ithaca Press, 1981.pp.10-28



استقلالهم، في ظل الدول التي حكمتهم، ويستدلون على ذلك أنهم كانوا قبل الإسلام يعتنقون الزرادشتية، التي لم تنتشر إلا بين الأجناس الآرية، وهم الفرس والأكراد، إلى أن انتشر الدين الإسلامي في مناطقهم على يد خالد بن الوليد وعياض بن غنم، إلا أن هذا الرأي فيه الكثير من الضعف؛ بسبب اختلاف السحنات بين الأكراد، إضافة إلى اختلاف لغة الأكراد عن بعضهم البعض، أما عن عامل الدين، فإن الأسبان، والبرتغاليين قد اعتنقوا الدين الإسلامي خلال فترة الحكم العربي في الأندلس، لكن تنصروا بعد سقوط غرناطة، كما تنصر الكثير من العرب هناك، بعد محاكم التفتيش الاسبانية، كما أن الكثير من الساميين العرب في أريتريا، وأثيوبيا قد تنصروا؛ بسبب ما لاقوا من اضطهاد ديني على يد النظام الأثيوبي خلال فترة حكم الإمبراطور هيلاسيلاسي، كما أن الكثير من الأكراد يفندون هذا الرأي فيرون أنهم من الجنس القوقازي (قفقاسيا)، وتاريخهم يبدأ مع ظهور السومريين، والأكاديين، كما يرى آخرين من الأكراد أنهم كانوا آريين، إلا أنهم اختلطوا مع أكراد الولو، والكوتي، الذين حكموا بلاد الرافدين بعد السومريون، كما رأى آخرون أنهم من شعب الكردوخ، الذين جاءوا من زاجروس وحكموا إيران، وبلاد الرافدين، ورأى آخرون أنه سورياريون كانوا في بلاد عيلام قرب أضة في شمال سوريا، كما يرى أحد الباحثين الأكراد وهو أحمد تاج الدين، أن كل القوميات التي ذكرها الأكراد عن أصولهم هم فرع من الأكراد الآريين الذين أتوا من جبال زاجروس، الممتدة من كرمنشاه وهمدان شرقاً إلى شمال سوريا، وجبال طوروس في الأناضول غرباً، ومن جنوب بحر الخزر شمالاً، حتى حوض نهر الزاب الأكبر جنوباً، وأن أصولهم ترجع إلى ٥٠٠ ق.م، إلا أن هذا الباحث لا يستطيع أن يفسر لنا الاختلاف اللغوي والانثروبولوجي، والإقليمي للأكراد، حيث ينتشرون في مناطق قد تتكون من أكثريات ليست كردية، ولماذا لم توجد حدود سياسية، أو قومية تجمع سكانها، وأن لفظ كلمة كردستان هو لفظ ليس ببعيد زمنياً، فقد أطلقة أحد ملوك السلاجقة،



على إحدى مقاطعات مملكته في القرن الثاني عشر الميلادي، كما لم تعرف حتى الآن فترة دخولهم لإيران(١٧٤).

ويرى عباس العزاوي؛ أنهم شعب مستقل عن الشعوب الأخرى، ومتأثر بالمجاورين له من العرب، والإيرانيين والأتراك وغيرهم. وقد اختلطوا بهم، وصاروا لا يفترقون عنهم، إلا أنهم حافظوا على أنسابهم(١٧٥)، ويعتبر هذا الرأي أقرب للصحة، لأن الرأي القائل بأنهم من أصول تنتمي إلى قومية حاكمة في دولة ما، أو أنهم ينتمون إلى قومية ادعت تفوقها في فترة زمنية معينة، ما هو إلا نزعة شوفينية لتلك القومية الحاكمة، يراد بها دمجهم تحت بوتقتها؛ لحل مشكلة الأقليات العرقية فيها، ويقترب هذا الرأي من رأي مازن بلال الذي يرى أنهم مثل غيرهم من شعوب الهلال الخصب، الذين اندمجوا معه، لكن انعزالهم قد أبعدهم عن التواصل الحضاري مع أقرانهم، رغم أنهم كانوا حكاماً للمنطقة في فترة زمنية معينة في أيام حكم الدولة الأيوبية.

وتعتبر كردستان هي موطن الأكراد، وهي تمتد حسب رأي أحمد تاج الدين من بحيرة أورمية في أقصى الشمال الشرقي، إلى ملاطية بتركيا في الجنوب الغربي بطول يصل إلى ٩٠٠ كم، وعرض ٢٠٠ كم، وتتسم هذه المنطقة بمناعتها الجبلية،

---

(١٧٤) مازن بلال، مرجع سابق ذكره، ص ص١٩-٣٣، للمزيد انظر:

Edmund ,Ghareeb,. **The Kurdish Question in Iraq,**Op.Cit,pp.18-25.

(١٧٥) أحمد تاج الدين، **الأكراد: تاريخ شعب وقضية وطن**، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠١، ص ص ١٥-٢٠، ص ٢٠-٣٠، للمزيد أنظر عزيز الحاج، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٢٤-٢٢٧، انظر أيضاً شاكر خصال، مرجع سابق ذكره، ص ص ٥١١-٥١٢ أيضا، منذر موصلي، **الحياة السياسية والحزبية في كردستان**، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١، ص ص ٢٥-٣٠، انظر أيضاً:

Saad ,Jawad,. **Iraq and the Kurdish Question, op.cit.pp.15-50**



مع وجود بعض السهول، والهضاب، وتشتهر بالزراعة، أما سكانها فيقسمون إلى أربعة فئات هي(١٧٦).

١- الكرمانج.
٢- الكوران.

٣- اللور.
٤- الكلهر.

ويصل عددهم إلى حوالي سبع وعشرين مليون نسمة . احصاءيتهم في نهاية عقد التسعينات . ويعيشون في تركيا، والعراق، وإيران، وسوريا، وبعض مناطق الجمهوريات السوفياتية السابقة، ونسبتهم إلى عدد السكان في هذه المناطق حسب رأي ناجي أبي عادوا وميشيل جريتون، تصل إلى ٢٠% في العراق، و١٧% في تركيا، ٧% في إيران و٤% في سوريا، و١% في لبنان(١٧٧)، ورغم ذلك فقد اختلف الباحثون حول معالم الوطن الكردي(١٧٨)؛ بسبب أنه لم يؤكد علماء التاريخ عن

(١٧٦)أحمد تاج الدين، مرجع سابق ذكره، ص١١

(١٧٧)ناجي أبي عاد وميشيل جريتون، **النزاع وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط**، ترجمة: محمد نجار، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص١٢١.

(١٧٨) حول اختلاف الباحثين حول معالم الوطن الكردي، انظر: أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص ص٢٦-٤٠، أيضاً قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره ص ص ٧٦-٧٩ . أيضاً، مازن بلال، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٤-٢٥، أيضاً منذر موصلي، مرجع سابق ذكره، ص٢٥، أيضاً شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص ص ٥١٥-٥١٦، أيضاً أحمد تاج الدين، مرجع سابق ذكره، ص ١١، ص٢٩.



قيام دولة كردية معينة•، بل إمارات متناثرة خضعت لدول أخرى من فرس، وترك، وعرب، وقد شجعهم القياصرة الروس ومن بعدهم البلشفيك على الهجرة إلى شمال العراق، لتزيد نسبتهم هناك، ولتقل من المناطق السوفياتية، بهدف التخلص منهم أولاً، ورغبتهم في الوصول إلى المياه الدافئة حيث منابع الطاقة في منطقة الخليج، ورغم كل ذلك يستمر ادعاء الأكراد أنهم يشتركون مع بعضهم البعض في ثقافة واحدة، وأن لهم أعرافاً وتقاليداً واحدة مشتركة، رغم وجود الكثير من التمايزات التي تميزهم عن بعضهم البعض، لكنهم يرون أن اختلاف لهجاتهم -بحيث لا تكون معروفة بينهم-هو بسبب تباعد مناطقهم، وأن لهم لغة مشتركة يحرصون أن تكون اللغة التي تجمعهم وهي اللغة الكردية التي يتكلم بها أهل السليمانية، التي يعتبرونها إحدى اللغات الهندو أوربية المستقلة عن الفارسية، وتكتب اللغة العربية(١٧٩)، بالرغم من أن الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق قد رأى أن تكتب اللغة الكردية باللغة اللاتينية.

فعلياً للغة الكردية لهجتين شمالية، وجنوبية، أما الشمالية، فيتحدث بها أكراد أرمينيا، وتركيا، وسوريا، وأكراد الموصل، ودهوك في العراق، أما الجنوبية فيتكلمها السورانيون من أهل أربيل، والبابانيون، وأهل السليمانية، وكركوك، وأكراد إيران، ويصعب التفاهم بين الناطقين بين هاتين اللهجتين، كما توجد اللهجة الكورانية في شمال سوريا، وبعض مناطق إيران، وتشكل هذه اللهجات لغات بحد

• الدولة الأيوبية التي حكمت مصر والشام، وأجزاءاً من العراق، كانت دولة دينية مستعربة، لا يوجد تمييز قومي أو عنصري لأي من رعاياها مثلها مثل دولة المماليك في العراق (الباحث) .

(١٧٩) Minorisky. V. **"The encyclopedia of Islam: the Kurds"**, London, 1925, pp. 480-479.



ذاتها نظراً للاختلاف الكبير بينها، وعدم قدرة المتكلمين بإحداها من التفاهم مع الآخرين من اللغات الأخرى(١٨٠).

وحوالي ٩٠% من نسبة الأكراد يدينون بالإسلام، أما الآخرون فيدينون بالمسيحية مثلهم مثل: النساطرة، اليعاقبة، والروم الكاثوليك، والأرمن الأرثوذكسي، كما أن قسماً منهم يدين، باليزيدية، والكلاكائية، والشبكية، والعلى اللهية، وهي ديانات سنتحدث عنها في إطار دراستنا للتمايز الديني، والطائفي، والمذهبي في العراق، أما المذهب الإسلامي الذي يدين به الأكراد فهو المذهب الشافعي في معظمهم، إلا أن هناك عشائر في العراق تدين بالمذهب الشيعي مثل قبيلة (الفيليين)، لكن تسود معظم العشائر الكردية، الطرق الصوفية، خاصة القادرية، والنقشندية(١٨١).

ويتركزون في العراق في مناطق السليمانية، وأربيل، وكركوك، والموصل، وخانقين، وبعض مناطق ديالي•، وتتخلل هذه المناطق كثير من العشائر والقبائل العربية، كقبيلة طئ في أربيل، أما كركوك فنصف سكانها من الأكراد أكثرهم من المهاجرين إليها منذ عام ١٩٥٨•، كما أن الأكراد ينتشرون في مناطق خارج المناطق التي يتكاثفون فيها، مثل: العمارة، والكوت، وبغداد، والبصرة، وغيرها من المدن العراقية(١٨٢)، وتقدر نسبة المناطق التي يسكنها الأكراد في العراق إلى المساحة

---

(١٨٠) شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص ص ٤٨١-٤٨٢ .

(١٨١) نفس المرجع السابق، ص ص ٤٨٣ – ٤٨٨ .

• انظر الخريطة في المبحث السابق .

• بسبب سماح الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم للمعارضة الكردية بالرجوع إلى الوطن بعد أن ظلت لسنوات عديدة في المنفى، وتسامحه مع الأحزاب الكردية الانفصالية، هاجر الكثير من الأكراد إلى كركوك في عهده، مما سبب الكثير من المشاكل في المدينة وخاصة إبان ثورة الشواف في الموصل، حيث تعرض الكثير من التركمان إلى الأعمال الوحشية من قبل الأحزاب الكردية و الشيوعية التي كانت في أغلبها كردية (الباحث) .

(١٨٢) شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص٥٢.



الكلية له بـ١١.٦% أي ما يعادل حوالي ٥٠ ألف كم٢[١٨٣]، وقد زادت نسبتهم في العراق بعد تنكر الحكومة التركية للأكراد بالحكم الذاتي ضمن المناطق التي يسكنون فيها، فقاموا بثورات ضدها عام ١٩٢٥، مما حذا بتركيا إلى اضطهادهم، وإبعاد قسماً منهم خارج حدودها، فهاجر قسماً منهم إلى شمال سوريا والعراق[١٨٤]، وما يؤكد هذه الحقيقة، أن زعيم حزب العمال الكردستاني في تركيا، عبد الله أوجلان، صرَّح أن أكراد سوريا جاءوا من تركيا، ويجب أن يعودوا إليها من خلال حزبه[١٨٥]، ولا شك أن أكراد سوريا هم امتداداً طبيعياً لأكراد العراق، وبالتالي ينطبق عليهم نفس التصريح.

وكان السبب الذي أشعل فيهم الروح القومية والدعوة لتأسيس دولة لهم هو قيام الأرمن بعد الحرب العالمية الأولى، بالدعوة لإنشاء دولة أرمنية تمتد من بحر قزوين إلى البحر الأسود، ومن ثم إلى البحر المتوسط غرباً، ويدخل فيها مناطق كردية كثيرة، مثل: أرض روم، وسيواء، وخربوط، وديار بكر، وتفليس، ووان، مما جعل الأكراد يقومون بردة فعل تجاه ذلك، ويطالبوا بدولة كردية لهم في مواجهة التحدي الأرمني لقوميتهم، إضافة إلى الدعوات القومية الطورانية في تركيا؛ بسبب التأثر باتجاه مصطفى كمال أتاتورك، العلماني القومي، وعلى هذا الأساس ظهر الحزب الوطني الكردي برئاسة عبد القادر شمدنان، الذي طالب بتوحيد المناطق الكردية، وإعطائها حكماً لامركزياً، وحثَّ بريطانيا على ذلك، وأنشؤوا لهم صحيفة في القاهرة عام ١٩١٩، ثم سعوا على إشراك قضيتهم في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩، وفي

(١٨٣) أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص ص١٠١ – ١٠٣

(١٨٤) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(١٨٥)صلاح بدر الدين،، **الحركة القومية الكردية في سوريا**، بيروت، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ٢٠٠٣، ص١٥-١٤٨.



١٠ أغسطس من عام ١٩٢٠م عقدت معاهدة سيفر، التي نصت على وضع مشروع لاستقلال المناطق الكردية الواقعة في كل من تركيا، والعراق، وسوريا[١٨٦].

ويعتبر أكراد العراق أن الجزء الجنوبي من كردستان الكبرى هو كردستان الواقعة في شمال العراق، المحاذية للحدود الإيرانية، والتركية، والسورية، ومعظم هذا الجزء جبلي، وتتراوح نسبتهم بين ١٨% إلى ٢٠% من مجموع سكان العراق، ورغم أن معظمهم من المسلمين السنة مثلهم مثل: العرب السنة، إلا أن اندماجهم بالعرب السنة كان قليلاً، وظلت أعرافهم، وقوميتهم سائدة في مجال تعاملاتهم مع غيرهم، رغم أن اختلاف لهجاتهم باختلاف مناطقهم قد أضعف التفاعل فيما بينهم، إضافة لعامل العزلة الطبيعية؛ بسبب سكنهم في الجبال[١٨٧]، لكن يبقى الهاجس الذي يوحد كل الحركات الكردية، والنخب الكردية، والشعب الكردي في العراق، هو البحث عن كيان في إطار الدولة العراقية، أو حتى خارج إطارها، إضافة إلى هاجس الأمن، كما أنهم يهدفون إلى تحقيق حضارة كردية فيها مؤسسات اجتماعية وبنية تحتية لدولة عصرية، بسبب أن معظم مناطقهم بلا حواضر باستثناء بعض المناطق في مدن مثل: أربيل، ودهوك، السليمانية، بسبب علاقة تلك المناطق بالحكومات المركزية في بغداد[١٨٨].

---

(١٨٦) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٠٢-٢٠٥، للمزيد انظر محمد طلب هلال، **دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية (وثيقة)**، بيروت: دار كاوا للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص ص٢٣-٢٧، انظر أيضاً:

, Abbas ,Kelidar. **"Iraq: The Search for Stability,"** Conflict Studies ,London, 59, July 1975,pp. 1-22

(١٨٧) نفس المرجع السابق، ص ص ٧٦ – ٧٩ .

(١٨٨) Vanly, I.C. **"Kurdistan in Iraq."** pp. 192-203. in Gerard Chaliand (ed.), **People Without a Country: The Kurds and Kurdistan**. London: Zed Books, 1980.

أنظر أيضاً: سعد البزاز، **الأكراد في المسألة العراقية**، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص ص ٩٤-٩٦ .



(٣) التركمان

يتشابهون مع الأتراك باللغة، والعرق، وقد نزح قسم كبير منهم إلى العراق بعد الحرب العثمانية الروسية بين عامي (١٨٧٧-١٨٨٧)، لكن يختلفون عن الأتراك في أن الأتراك هم بقايا العثمانيين، وقد تعرب قسماً كبيراً منهم، كما أن الأتراك يرجعون بأصولهم إلى الفرس؛ فالصفويين، والقاجار الذين حكموا بلاد فارس هم من جنس الأتراك، بخلاف التركمان الذين هم المغول المتتركين الذين جاءوا من قيزغستان، وامتدوا إلى منشوريا، والتركستان، ومنغولياً، وظهر منهم السلاجقة، والخوارزمية، كما أن معظم أفراد الجيش الإسلامي بقيادة عبيد الله بن زياد عام (٥٤هـ) الذي فتح تركستان، كانوا من المحاربين العرب، الذين استقروا هناك وتزاوجوا مع التركستانيات، ولم يكتف العراقيون بالاستقرار والتزاوج مع التركمان، بل إنهم بعثوا بالمقاتلين التركمان ليستقروا بدورهم في العراق كما أن قسماً منهم يعود إلى قبائل (أوغوز والغز) الذين قدموا إلى سوريا، والعراق، من أواسط آسيا الصغرى في عهد السلاجقة، وسموا بالأذربيجانيين في أذربيجان، وبالعثمانيين في تركيا، كما أن قسماً منهم بقايا جيش طغرل بك السلجوقي، وجنود أنابك، كما أن آخرون من سلالة العثمانيين في عهد الدولة العثمانية، وقد استخدم الأمويون، والعباسيون قسماً منهم في حروبهم؛ بسبب ما اتصفوا به من شجاعة، وقدرة قتالية عالية، كما استقر قسماً منهم في عهد المغول حيث تترك قسماً من المغول (التركمان الوثنيين)، واختلطوا بهم؛ بسبب تأثير غزوات دولتي الخروف الأبيض، والخروف الأسود (١٤١٠-١٥٠٨)، وقد ازداد نفوذ الترك أو التركمان خصوصاً في أيام الخليفة العباسي المعتصم بالله، الذي استقوى بهم واعتمد عليهم، وقد رفدوا الدولة العباسية بالكثير من الأعلام مثل: الفارابي والبخاري والخوارزمي والبيروني والسرخسي والعديد غيرهم، وقد تمكن التركمان حتى قبل العهد العثماني من حكم العراق، عبر الإمارات المختلفة كالإمارة الزنكية الأتابكية والدولة



السلجوقية، بجانب الدولتين البارانية المعروفة بـ"الخروف الأسود" (قره قويونلو) والبايندارية المعروفة بـ"الخروف الأبيض" (آق قويونلو) اللتين حكمتا معظم أراضي العراق، كما امتزجوا بالعرب في العهد العثماني(١٨٩).

وتركزوا في المناطق الفاصلة بين العرب والأكراد، ومنهم من سكن السهول، بسبب ما كان من رغبة الدولة العثمانية في جعلهم حاجزاً يفصل الأكراد عن العرب، ولحماية خطوط التجارة بين بغداد، والموصل، وإيران، إضافة لما كان من رغبة السلاجقة قبل ذلك من السكن في مناطق شبيهة بمناطقهم، وقريبة من بلادهم، كما اشتغل قسماً كبيراً منهم في الزراعة، ويسكنون في مناطق ضيقة تختلط في مناطق الأكراد، وأغلبهم يعيش في المدن، خاصة في كركوك، ويتسمون بإخلاصهم لرؤسائهم، وتعصبهم لقوميتهم، ونزعاتهم الطورانية، إلا أنهم لم يطالبوا بالانفصال عن جسم العراق، وقد شجعت الحكومات العراقية فتح نوادي رسمية لهم، إضافة إلى سماحها بإصدار صحف خاصة بهم، وبلغتهم، وعممت اللغة التركمانية في دوائرهم الرسمية(١٩٠).

وفي عام ١٩٢٦ أبرمت اتفاقية بين الحكومتين التركية والبريطانية حول تبعية ولاية الموصل (وتشمل أربيل وكركوك والسليمانية)•، تشير إحدى فقرات هذه الاتفاقية إلى حرية اختيار العراقيين من الأصول التركمانية، بين البقاء في العراق أو الهجرة إلى تركيا، وقد فضل التركمان البقاء في العراق إلا عدد قليل فضلوا الهجرة إلى تركيا والاستقرار

---

(١٨٩) **نظرة بالأرقام والأسماء إلى النسيج الاجتماعي للعراق**، ٢٠٠٣/٣/٢٠، مأخوذ من الموقع:
http://www.amanjordan.org/arabic_news/wmview.php?ArtID=5841

(١٩٠) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٢١٥، ٢١٦، انظر أيضاً، أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص١٠١.

• انظر الخريطة في المبحث السابق.



فيها، ومن أعلامهم في العصر الحديث برز العديد من الشخصيات العلمية والثقافية والأدبية والسياسية، بعد تشكيل الحكومة الوطنية العراقية عام ١٩٢١ وحتى الآن.

وبالنسبة إلى مشكلة مدينة كركوك فيرى التركمان أنها كانت ذات أكثرية تركمانية، وكانت حكومات ما قبل الثورة العراقية ١٩٥٨، ولكنها كانت عملية منظمة وعقلانية ومن دون ضجة، فكانت خطة نوري السعيد تعريب المدينة بتوطين الموظفين العرب، بأسلوب نقل الموظفين سنوياً منها واليها، فالموظفين التركمان والأكراد وقسم من العرب كانوا ينقلون سنويا إلى الألوية (المحافظات الأخرى) لقضاء أربعة سنوات خدمة مدنية فيها، وينقل إلى كركوك موظفين عرب ليقضوا بقية عمرهم الوظيفي والحياتي فيها،لكن بعد الثورة، نشط الأكراد في تكريد مدينة كركوك، خاصة بعد وصول الملا مصطفى البارزاني وأتباعه من منفاهم في الاتحاد السوفيتي وتأثير الحزب الشيوعي العراقي، حيث كان غالبية كوادر وأعضاء وأنصار الحزب الشيوعي في كركوك من الأكراد، فزحفت عشرات الآلاف من العوائل الكردية من القرى المحيطة بشمال كركوك إلى مركز المدينة واستولت على الأراضي من أصحابها التركمان، وبنيت البيوت البدائية عليها، وألصقت صور عبد الكريم قاسم على الأبواب واعتبروها سند الملكية، نشبت إثر ذلك حزازات ومصادمات بين الكثير من سكان المدينة الأصليين التركمان وبين الوافدين للسيطرة عليها من خلال تغيير ديموغرافيتها، وتحولت هذه الحزازات إلى صراع دامي بين الأكراد والتركمان، فتحالف التركمان والعرب في المدينة لإيقاف هذه الهجمة المنظمة ذات الأهداف السياسية، لكن استمر الصراع والحزازات والمناوشات إلى أن انفجرت ثورة عبد الوهاب الشواف عام ١٩٥٩ خلال مسيرة الذكرى الأولى لثورة ١٤ تموز، فارتكب الشيوعيون خلالها مجزرة بشعة، قتلوا وسحلوا شباب التركمان في الشوراع، ومثلوا بأجسادهم وعلقوها على أعمدة الكهرباء والأشجار، ونهبوا محلاتهم التجارية وبيوتهم، راح ضحية هذه

المجزرة ستة وثلاثين من التركمان وعشرات من الجرحى، ومن يومها لم تهدأ هذه المدينة حيث دبت الفرقة والبغضاء والحقد والفتن بين القوميات الرئيسية الثلاثة في المدينة واستمرت المشاحنات بينها ولم تهدأ إلى الآن.

وتصل نسبتهم إلى ٤% من سكان العراق، ومعظمهم مسلمون، وقسماً منهم مسيحيون، وهم الذين وصلوا العراق في عهد المغول، وبالنسبة إلى المسلمون منهم؛ فيقسمون إلى سنة، وشيعة، حيث تشيع قسماً منهم في عهد الحكم الصفوي للعراق، ولهم عدة لهجات؛ بسبب تباعد مناطقهم، واختلاف قبائلهم، حيث يتركزون في موطن التركمان في العراق الممتد من قضاء تلعفر شمال محافظة الموصل، وينحدر إلى جنوب شرقها باتجاه محافظة أربيل (نصف سكان أربيل من التركمان من بقايا الدولة الأتابكية التركمانية) ويمتد جنوباً إلى ناحية التون كوبري باتجاه محافظة كركوك- واستنادا لإحصائية العام١٩٥٧ احتل التركمان مركز القومية الأولى في هذه المحافظة، ثم جاءت القوميتان الكردية ثم العربية والمسيحيون- ثم جنوباً باتجاه ناحية تازة خورماتو وقضاء طوز خورماتو، ثم ناحية بيات وقضاء كفري، وينحدر إلى جنوب شرق العراق إلى محافظة ديالي وخاصة قضاء الخانقين، وناحية زرباطية والسعدية وجلولاء. ويقطن في محافظة بغداد الآن بحدود (٥٠) ألفا من التركمان، ومن الناحية المذهبية ينقسم التركمان إلى حوالي ٥٥٪ من السنة، و٤٥٪ من الشيعة، يقطن السنة في مدن، أربيل والتون كوبري وكركوك وبيات وكفري وخانقين وجلولاء وزرباطية والسعدية؛ أما الشيعة فيقطنون في تلعفر وتوابعها في محافظة الموصل وفي مركز مدينة كركوك (حوالي ٣٥٪ من التركمان في مركز مدينة كركوك من الشيعة)؛ وناحية تازة خورماتو وطوز خورماتو وعدد من القرى التابعة لهما. بلغ عدد نفوس التركمان، ولهجتهم تختلف عن اللغة التركية بشكل كبير، وإن كانت لهجة كركوك أقرب إليها، لذلك أجمع معظم تركمان العراق على اعتمادها



لغة للثقافة وللأدب، رغم أنها مازالت تحتفظ بنسبة ٤٠% من المفردات العربية بخلاف اللهجة التركية التي أدخلت إليها، بعد تأسيس الجمهورية التركية، المفردات الإنكليزية والفرنسية بنسبة أكثر من ٣٠% بدلاً من المفردات العربية، وما زال التركمان يعتمدون الحروف العربية في الكتابة، ولهم سمات خاصة بهم، منها تحفظهم في علاقاتهم مع الآخرين، واعتدادهم بالتقاليد، وبالتقارب الأسري، والعداء بينهم وبين الأكراد[١٩١].

---

(١٩١) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٨٧-٨٩ .



(٤) الفرس

يعود وجودهم في العراق إلى زمن الاحتلال الفارسي بعد هزيمة الدولة الكلدانية على يد ملك الفرس كورش عام ٥٣٩ ق.م، واستمر الفرس في حكم العراق حتى هزمهم الإسكندر المقدوني عام ٣٣١ ق.م، وحكم العراق لمدة أكثر من مائة سنة، ليعود الفرس بعدها ويحتلوا العراق، حوالي أربعة قرون أخرى، إلى أن جاءت معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص عام ٦٣٦ م، ليعود حكم العرب للعراق، ولتصل إمبراطوريتهم إلى حدود الصين، شاملة إيران نفسها تحت حكم العرب المباشر لها لمدة تزيد عن أربعة قرون[١٩٢].

وقد عملوا خلال العهد العباسي على التدخل في شؤون الدولة العباسية، فكان لهم نفوذاً كبيراً في عهد البويهيين الفرس في العراق، وقاموا بحركات شعوبية لإضعاف الدولة العباسية، وقد استمر نفوذهم حوالي مائتي سنة، ثم جاء الصفيون بعد ذلك، واحتلوا العراق إلى أن جاء العثمانيون، وهزموهم، وحكموا العراق منذ عام ١٥٣٢[١٩٣].

وبما أن العراق يحوي على مقامات سبعة من أئمة أهل البيت، فكان الكثير من الشيعة الإيرانيين يحبذون السكن قرب هذه الأضرحة، كما تركَّز قسماً منهم في بعض المدن العراقية، وامتهنوا مختلفة[١٩٤]، وتصل نسبتهم إلى حوالي ٣٪ من سكان العراق، ووجودهم في العراق له دوافع سياسية في بعض الأحيان، من خلال سعي إيران إلى السيطرة على العراق، وجعله تابعاً لها، وكانت معظم تمردات العشائر العراقية وخاصة الشيعية منها؛ بسبب مساعدتها لهم، حيث كانت تشتد هذه

---

(١٩٢)قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ١٤ .

(١٩٣) نفس المرجع السابق، ص١٤.

(١٩٤) نفس المرجع السابق، ص١٤



المنازعات عند تدهور العلاقات العراقية الإيرانية، وتعمل السلطات الإيرانية على تشجيع هجرة الإيرانيين إلى العراق، بغية استمرار تدخلاتها في العراق[١٩٥].

(٥) الآشوريون

يدعون أنهم من أصول من سلالة الأشوريون الذين حكموا بلاد الرافدين قبل الميلاد، وكانوا يسموا بالآثوريين في اللغات السائدة في المنطقة وأهمها الآرامية وتعني كلمة آثور منطقة جغرافية، أما آشور فاسم علم لألهم وملوكهم،وعلى ذلك فالآشوريين والآثوريين ليستا إلا تسمية واحدة تعني (الأمة الآشورية)، ومنذ القرن الخامس الميلادي وتحديدا إثر مجمع أفسس سنة ٤٣١ انقسموا إلى فرقتين: أتباع كنيسة المشرق ومقرها في ساليق طيسفون (سلمان باك) والذين سميوا بالنساطرة نسبة إلى نسطورس بطريرك القسطنطينية،وأتباع الكنيسة الأرثوذكسية ومقرها البطريركي في انطاكيا وهم السريان المغاربة ويسميهم بعض المؤرخين باليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرداغي[١٩٦].

وهم من أصول جبلية، أتوا إلى داخل العراق من جبال الهيكاري، الممتدة داخل حدود العراق الشمالية، والتي أصبحت من نصيب تركيا بعد معاهدة لوزان ١٩٢٣، حيث قدموا إلى قرب العاصمة بغداد في مكان يسمى بعقوبة؛ وهي على بعد ٥٠ كم شرقي بغداد، وقد سخَّرتهم روسيا أثناء الحرب العالمية الأولى للثورة ضد

---

(١٩٥) نفس المرجع السابق، ص١٥

(١٩٦)إفرام برصوم، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، ط٣، بغداد، ١٩٧٦، ص ٥٢١ . انظر أيضاً، بطرس نصري، **ذخيرة الأذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان**، بيروت،ج٣، مطبعة الدومنيكان، ١٩١٣، ص ٧٢، ص ٨٩، ص ٢٢٥، انظر أيضاً: البير أبونا، **شهداء المشرق**، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٠٠، أيضاً مراد كامل، **تاريخ الأدب السرياني**، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٥٨، انظر أيضاً، بطرس حداد، **البطريرك مار إيليا عبو اليونان**، بين النهرين، العددين(٣٩، ٤٠)، ١٩٨٢، ص ٢٥٠ .



الأتراك، مما حذا بتركيا إلى تشتيتهم خارج أراضيها، وذلك بعد تخلي الروس عنهم بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧، وكان هذا سبب نزوحهم إلى العراق، كما التجأ قسمٌ منهم إلى الاتحاد السوفياتي، وإلى أذربيجان، وكان من نتائج مجيئهم للعراق أن أكثر من عشرون ألفاً منهم انضم إلى القوات البريطانية الموجودة في العراق آنئذ، على أساس وقوفهم مع بريطانيا ضد تركيا، فشكلت بريطانيا جيشاً منهم سمته جيش (الليفي)، وأصبح له قواعد عسكرية في أنحاء العراق المختلفة، وادعت بريطانيا أنهم من أصول عراقية آشورية[١٩٧]•.

وقد وقف هذا الجيش ضد ثورة العشرين في العراق عام ١٩٢٠، وارتكبوا مجازر عديدة بحق الشعب العراقي، وهاجموا أهالي كركوك عام ١٩٢٤، ونكلّوا بهم، وأعطتهم بريطانيا بعض الأراضي الزراعية، مقابل وعدها للحكومة العراقية بضم الموصل للعراق، وبعض المناطق التي كانت تركيا تطالب بها، كما كان للأشوريين اتصالات أخرى مع الغرب، واستعدادهم للتعامل معه على حساب الشعب العراقي[١٩٨]، فقد وقفوا ضد إنهاء الانتداب البريطاني على العراق عام ١٩٣٢، وقد شجع زعيمهم المار شمعون هذه التصرفات، مما أثار الحكومة العراقية ضدهم، كما تأثر الأكراد سلبياً في وجودهم في مناطق تابعة للأكراد، خاصة بعد أن أصبحوا يتدخلوا بالشأن العراقي الكلي منذ عام ١٩٣٠، فكان اتفاق الحكومة العراقية مع

---

(١٩٧) نفس المرجع السابق، ص٢١١.

• بالرغم من أنهم يتكلمون إحدى اللغات السامية وهي اللغة السريانية ذات الأصول الآرامية، إلا أنهم يختلفون بعض الشيئ في سحناتهم، وإثنيتهم، عن العراقيين، كما أن ولاءهم للدولة العراقية ظل ضعيفاً، بعكس ولاءهم لبعض الدول الغربية، أو الشيوعية، مثل روسيا، أو بريطانيا، وهذا ما شكك الكثير من الباحثين على اعتبارهم عراقيين أو من أصول عراقية، لكن هذا لا يبرر أنهم غير عراقيين اعتمداً على السحنان، لأن السحنات تتغير بتغير المناطق التي يسكنها الإنسان (الباحث)وللمزيد حول ارتباط الأشوريين بالغرب أنظر: فرست مرعي الدهوكي، مجلة البيان، العدد ١٥٣٢، أغسطس ٢٠٠٠.

(١٩٨) نفس المرجع السابق، ص٢١٢.



قائد الأركان العراقي بكر صدقي ـ كردي ـ على مهاجمتهم والتنكيل بهم، مما أدى لهجرة قسماً كبيراً منهم إلى سوريا، وقد استغلت الصحافة الغربية هذه الأحداث لتتهم العراقيين بالتعصب، وتدعو لحماية الأقليات، رغم أنهم لم يحترموا وحدة العراق عندما طالبوا بإقامة كيان قومي لهم على أرض العراق(١٩٩).

ونسبتهم حوالي ١% إلى من سكان العراق، ويتكلمون السريانية، وهي بقايا اللغة الآرامية القديمة، التي كان يتكلم بها سكان سوريا قبل الفتح الإسلامي لها، ويدينون بالكنيسة اليعقوبية، وينقسمون إلى اليعاقبة، والنساطرة، وبعضهم كاثوليك، وبروتستانت، وأرثوذكس، ومعظمهم يقطن الآن في العمادية، ودهوك، في لواء الموصل(٢٠٠).

وقد أعطتهم الحكومة العراقية بعد المذبحة التي تعرضوا لها كل ما للعراقيين، من حقوق وسمحت بتدريس لغتهم في المدارس إلى جانب اللغة العربية، وتدريس اللغة السريانية في جامعة بغداد كإحدى اللغات القديمة، وإصدار مجلات شهرية باللغة السريانية، وأقامت لهم نوادي ثقافية وفنية، وبرامج تلفزيونية خاصة بهم، وأعطتهم الجنسية العراقية، بعد ما أسقطتها عنهم على أساس أنهم لم يكونوا في العراق قبل الحرب العالمية الأولى، وقد استقبل عبد الكريم قاسم زعيمهم الديني، والسياسي المار شمعون عام ١٩٥٨(٢٠١)، بعد أن كان منفياً خارج العراق قبل ذلك.

---

(١٩٩) موسى الشابندر، **ذكريات بغدادية: العراق بين الاحتلال والاستقلال**، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٣، ص١٢٨

(٢٠٠) عزيز الحاج، مرجع سابق ذكره، ص٩٥.

(٢٠١) نفس المرجع السابق، ص ص: ٢١٧-٢٢١، للمزيد أنظر، أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص — ص ١٠١-١٠٣.



(٦)- الكلدانيون

يعود أصل تسمية الكلدان بمعناها المتداول اليوم إلى القرن الخامس عشر عندما أعلن نساطرة قبرص المؤمنين بعقيدة الكنيسة الشرقية النسطورية خضوعهم للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وقبولهم لمعتقدها اللاهوتي-يدعى التحول العقائدي هذا لدى المؤرخين من الكاثوليك بالاهتداء -، وهكذا ازداد عدد المتحولين من النسطرة إلى الكثلكة، وخاصة إثر الانقسام الكنيسي عام ١٥٥١ الذي لم يدم طويلا وتجدد في سنة ١٦٨١؛ مما نتج عنه انشطار الكنيسة إلى كنيستين مستقلتين هما الكنيسة الشرقية النسطورية والكنيسة الشرقية الكلدانية، وترسخت الكنيسة الكلدانية بين أوساط الشعب الآشوري، وترسخت معها تسمية الكلدان تمييزاً لهم عن النساطرة، حيث أصدر البابا أوجينوس الرابع برائته البابوية حولهم، وأمر بتسميتهم كلداناً منذ سنة ١٤٤٥م، فلا علاقة لهم بالاسم الكلداني المعروف تاريخياً، بل إن التسمية هذه حديثة جاءت من بابا روما، لأنهم من أصول آشورية تعود إلى بقايا الإمبراطورية الآشورية فهم من سكان العراق القدماء (الآراميين) الذين تنصروا في عهد الدولة الفارسية، رافضين الزرادشتية التي كان يؤمن بها الفرس، ويتكلمون السريانية، التي تعتبر اللغة الأم للغتين العربية والعبرية، ونسبتهم تصل إلى حوالي ٢ % من سكان العراق، ويتركزون في بعض قرى الموصل[٢٠٢].

---

(٢٠٢) أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص١٠٢، للمزيد أنظر سمير عبده، **المسيحيون السوريون خلال ألفي عام**، دمشق، دار علاء الدين، ٢٠٠٠، ص ص ٢٩-٢٩،ص ٦٨. أنظر أيضاً: بطرس نصري، **ذخيرة الأذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان**، ج٢، بيروت: مطبعة الدومنيكان، ١٩١٣، ص ٧٢، للمزيد انظر: إفرام برصوم، **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، ط٣، بغداد: ١٩٧٦، ص ٥٢١، انظر



(٧)- النساطرة

انفصلوا عن الكلدان في القرن الخامس الميلادي، وشكلوا مذهباً دينياً جديداً على يد نسطور الحكيم، وانتشرت مدارسهم وإرسالياتهم انتشارا سريعاً في بلاد الفرس، ووصل تبشيرهم إلى الهند وامتدوا حتى الصين؛ وصارت كنيستهم في القرنين الحادي عشر والثاني عشر أكبر كنيسة مسيحية في العالم، فكانت هي الكنيسة المسيحية في الشرق الأقصى، ولهم رئيس روحي يقيم في بغداد ويخضع لرياسته ٢٥ مطراناً ، وظل النساطرة يتمتعون بحماية الخلفاء العباسيون في بغداد حيث ظهرت مبادئ نسطور في عهد الخليفة العباسي المأمون، حيث تصرف في الأناجيل بحسب رأيه، واختلف رأيه حول شخصية المسيح (عليه السلام)، حيث رأى أن الله والمسيح اتحدا اتحاداً تاماً[٢٠٣]،وكانوا يشغلون المناصب الهامة فى الدولة العباسية، ولكن سيطرة المغول على بغداد، عانى النساطرة اضطهاداً شديداً، إلى أن غزا التتار بقيادة تيمورلنك البلاد في القرن الرابع عشر فساد فيها الدمار ومحا الكنيسة هناك تقريباً ولم يبق من النساطرة إلا نفراً قليلاً، وقد كانوا على عداء صريح مع الصليبيين الذين احتلوا البلاد العربية؛ بسبب ما لمسوه من فرق المعاملة بينهم وبين المسلمين[٢٠٤]، وفى أوائل يناير عام ١٩٥٨ م أبدى بضعة ألاف من النساطرة

أيضاً مراد كامل، **تاريخ الأدب السرياني**، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٣، أنظر أيضاً: يوسف حبي، **من هم مسيحيو العراق**، مجلة قالا سوريانا، العدد ١ السنة، ١٣ كانون الثاني ١٩٩٠، ص ٢٩ .

[٢٠٣] محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج٢، تحقيق: أحمد فهمي محمد، القاهرة: مكتبة الحسين التجارية، ١٩٤٨، ص ص٤٤-٤٨، أنظر أيضاً: فهمي ماروكي، **بحث في تاريخنا المشترك**، حويادا، العدد ٩، السنة ١٣، ١٩٩٠، انظر أيضاً: فرست مرعي الدهوكي، **النشاط التنصيري في كردستان العراق**، مجلة البيان، العدد (١٥٣)،أغسطس ٢٠٠٠.

[٢٠٤] سمير عبده، مرجع سابق ذكره، ص٨٨.



بالعراق رغبتهم في انضمام إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية برياسة مارأغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك إنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، وأعادوا الكرة مرة أخرى في ٢٩ من أغسطس من تلك السنة، وكتبوا مضبطة رسمية موقعاً عليها من زعمائهم قدموها إلى مطران السريان الأرثوذكس في الموصل بالعراق، كما قدموا صورة منها إلى وزارة الداخلية العراقية، وأخرى إلى متصرفة لواء الموصل يعلنون فيها حقيقة انضمامهم إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وبعد أن كتب البطريرك السرياني إلى إخوته المطارنة يستشيرهم في الأمر، قرروا قبول أولئك النساطرة في شركة الكنيسة، فأسس لهم إيبراشية خاصة بهم في العراق، ورسم لهم مرشحهم شاليطا بن زيبا مطراناً عليهم باسم إيثاوس شاليطا، وكان ذلك في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨ م[٢٠٥].

٨- الأرمن

ينتمي الأرمن إلى العرق الآري (الهندو-أوروبي) وقد ظهروا في التأريخ في الألف الثالث ق.م، حسب الدراسات اللغوية والآثارية الحديثة وهناك عدة روايات لوجود الأرمن في العراق، فقد كتب المؤرخ الأرمني موفسيس خوريناتسي في القرن الخامس قبل الميلاد عن وجود الأرمن في العراق استناداً إلى المصادر التي اطلع عليها في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، أما المؤرخ اليوناني هيرودوتس (القرن الخامس قبل الميلاد)، فيذكر عن علاقات أرمينيا والعراق القديمة، حيث إن الأرمن كانوا ينقلون بمراكبهم البضائع إلى بابل عبر نهر الفرات، ومن خلال هذه التجارة استقر العديد

---

(٢٠٥) عزت اندراوس، **أنسكلوبيديا موسوعة تاريخ أقباط مصر coptic history** - الكنيسة النسطورية السريانية الشرقية، مأخوذ من الموقع الإلكتروني:
http://www.coptichistory.org/new_page_1994.htm



منهم في بابل وكونوا جالية أرمنية فيها، وتشير مصادر أخرى إلى وجود أبرشية أرمنية في شمالي العراق في أواخر القرن العاشر للميلاد، وفي البصرة أيضا عام ١٢٢٢م، وتشير المصادر أيضاً إلى وجود طائفة أرمنية في بغداد لها رئيس روحي عام ١٣٥٤م، كما يعتقد البعض أنهم استوطنوا آسيا الصغرى قبل انهيار إمبراطورية الحثيين، بعد أن ذاقوا مرارة الاستعباد تحت حكم الملك سباكزار ملك ميديا، الذي غزا نينوى واحتلها، ثم بسط سيطرته على أرمينيا، وبعد أن حرر الملك تريناد أرمينيا من أنصار الوثنية، دعا مجلس الأشراف إلى انتخاب غريغوار رئيسا أعلى للكنيسة الكاثوليكية في أرمينيا بعد أن كرسه (بطريك) قيصرية أسقفا عليها، وفي عام ٣٠٢م أعلن الملك تريناد الثالث، المسيحية دينا للدولة، وكانت مدينة سيرت أول مدينة بأرمينيا عرفت المسيحية، وقد أدخلها إليها اثنان من تلاميذ السيد المسيح (ع)، كما كان هناك عدة مراكز أخرى للمسيحية في عام ٢٠٠ م، لكن معظم الأرمن الموجودين حالياً في العراق قد هاجروا إلى العراق بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له على يد الأتراك، بعد دعودتهم لإقامة الدولة الأرمنية على جزء من الأراضي التركية عام ١٩١٥م مما حذا بالأتراك إلى قتل وإبادة أكثر من مليون ونصف أرمني عدا الذين تم تهجيرهم خارج أراضيهم، حيث هاجر قسم آخر منهم إلى لبنان، وسوريا، ومصر، وهم مسيحيون ينتمون إلى عدة كنائس مسيحية أشهرها الأرمن الكاثوليك، أو الأرثوذكس، ولهم إنجيل يدعى بالإنجيل الأرمني، وهو إنجيل منحول كونه لا ينطبق مع القوانين الكنيسية في إعداد لائحة أسفار العهد الجديد، ولهم لغة خاصة بهم لكنها كانت لغة محكية فقط دون حروف، وتعود في أصولها إلى الآرامية، ويتميز الأرمن بالأندية الرياضية والاجتماعية التي تلعب دورا مهما في الحياة الاجتماعية وتتشارك مع العائلة والكنيسة في بناء الأجيال الشابة، وأشهر الأندية الأرمنية هي جمعية الشبيبة الأرمنية، والنادي الرياضي الأرمني (هومنت من عام ١٩١٨)، والجمعية الخيرية الأرمنية ، ونادي الشهيد أوهان، واتحاد النساء الأرمن،



وتتنوع الأنشطة مابين رياضية واجتماعية وثقافية وخيرية وعدد الأرمن في العراق حالياً يتراوح مابين ٢٠ –٢٢ ألفا يتمركزون في بغداد، والبصرة،والموصل، وكركوك وزاخو (قضاء تابع لدهوك)، وما يزالون لهم اتصالات جيدة مع أرمينيا، ويمتهنون الطب والهندسة وصياغة الذهب وتصليح السيارات، ويمتهنون التجارة بشكل خاص بالإضافة إلى مهن أخرى مثل الصياغة والحدادة والخياطة ولا يفضلون كثيراً الزواج من بقية الطوائف المسيحية من أجل الحفاظ على النوع ضمن المعقول كي لا تذوب مع المجتمعات الأخرى، وينقسم الأرمن في العراق إلى قسمين، وذلك حسب تاريخ هجرتهم الحديثة (حيث كانوا ينتشرون في تركيا وإيران والاتحاد السوفيتي) واستقروا في العراق(٢٠٦):

– أرمن بغداد الذين جاء بهم الشاه عباس البهلوي في عهد الدولة الصفوية، عن طريق البصرة، واستقروا في بغداد في القرن السابع عشر للمساعدة على تطوير المدن الإيرانية، حيث كانوا تجارا وفنانين وحرفيين ماهرين،وهم يسمون بالأرمن التجار.

– الأرمن الذين فروا من تركيا على إثر المذابح التي تعرضوا لها في بداية القرن الماضي، من قبل الزعيم التركي كمال أتاتورك، واستقروا في بغداد والموصل والبصرة .

(٢٠٦)الأرمن في العراق، http://www.minoritiescouncil.org/html/armen.htm، للمزيد انظر: فالنتيناس مايت، العراق: الطائفة الأرمنية

http://64.233.183.104/search?q=cache:6LBkqsCisrkJ:arabic.tharwaproject.com/node

أيضاً انظر، صحيفة الديوان العراقية٦/٢/٢٠٠٦ .



المطلب الثاني

التمايز الديني، والطائفي، والمذهبي في العراق

من أبرز معالم التمايز الديني، والمذهبي، والطائفي؛ هو ظهور الطائفية في المجتمع تلك التي يستطيع المرء التعبير عنها بأنها: مشاعر في القلوب، أسست على تاريخ قوامه الزيف، وتعليم كله جهل، وتجهيل، وتنشئة تقوم على الضغينة والنفاق، ودعم سياسي لحكم متسلطين، دافعه تفريق الأمة لتسهل قيادتها من جهة، وسحق



القسم الثوري في المجتمع، الذي يتسّم بأنه عصي عن الخضوع للطغاة مهما كلف الأمر، من جهة أخرى[٢٠٧].

فالإنسان الطائفي؛ هو ذلك الإنسان الذي يقف مواقف غير صحيحة، إما بوعي، أو بدون وعي، بناءاً على هذه المشاعر، أما الدولة الطائفية فهي التي تميَّز بين رعاياها في التوظيف والمكافآت، وإعطاء المسؤولية، وتوزيع الحقوق والواجبات على اختلافها، لا على أساس المساواة كأصل، ثم الكفاءة، ودرجة العطاء بعد ذلك، وإنما على أساس الانتماء الطائفي[٢٠٨].

فما هي الأديان، والطوائف، والمذاهب الدينية في العراق؟ وهل بينها اختلاف عقائدي في أسسها، أو أيديولوجيتها، أو دعوتها من أجل الوحدة الوطنية في المجتمع والدولة؟ وهل ظهر بينها اختلاف قبل وصول حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في العراق عام ١٩٦٣؟ على اعتبار أننا سندرس علاقة البعث بالوحدة الوطنية في إطار مستقل مع مراعاة جميع تمايزات المجتمع العراقي، وخاصة الجانبين الإثني، والديني.

• الأديان والطوائف والمذاهب في العراق•

(١) المسلمون

---

(٢٠٧) سعيد السامرائي، **الطائفية في العراق: الواقع والحل**، لندن، مؤسسة القمر، ١٩٩٣، ص٤٣.

(٢٠٨) نفس المرجع السابق، ص٤٦.

• الجدول (٢–١) الذي يبين نسبة المسلمين السنة والشيعة في العراق، والجدول (٣–١) يبين تقاطع الإطار المذهبي والقومي لنسبة المسلمين عموماً في العراق، و الجدول (٤–١) يبين نسبة السكان بناءاً على الأديان الموجودة في العراق، والجدول (٥–١) يبين تقاطع الإطارين الديني والقومي (الإثني) للسكان في العراق .



يشكلون ٩٣% من سكان العراق[٢٠٩]، ويشكل المسلمون السنة ٤٦.٥% من السكان، بينما المسلمون الشيعة ٤٦.٥% من عدد السكان أيضاً، وعلى هذا الأساس، فالسنة، والشيعة متعادلي النسبة بالنسبة لسكان العراق، لكن نسبة السكان السنة من العرب هي ٣٠،٥%، أما نسبة السكان الشيعة من العرب فهي ٤٠% بينما الأكراد السنة فيشكلون ١٤% من سكان العراق، أما الأكراد الشيعة فيشكلون ٢% من العراقيين[٢١٠]، والشيعة الفرس ٣%، والتركمان السنة ٢%، والتركمان الشيعة ١،٥%، انظر حول ذلك الجدولين(٢-١)،و(٣-١).

وينتشر المذهب السني في وسط وشمال العراق، بينما ينتشر المذهب الشيعي في جنوب العراق، وإذا تقاطع محوري المذهب مع القومية، فيكون تركز العرب المسلمون السنة في وسط وشمال العراق، أما العرب المسلمون الشيعة ففي جنوب العراق، والأكراد المسلمين سواءاً كانوا شيعة أم سنة، فيتركزون في شمال أو شرق العراق وللتمييز بين السنة والشيعة، فسندرس كل منهما على حدة، رغم أن الاختلاف بينهما ليس جوهرياً، بل هو اختلاف نظري في كثير من جوانبه.

---

(٢٠٩) The Europe year Book 1974, **Awarld survey**, vol. 11. London: Europe publications ltd, 1974, p. 696.

(٢١٠) مأمون كيوان، **اليهود في الشرق الأوسط: الخروج الأخير من الجيتو الجديد**، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص٣٦، للمزيد حول نسبة السكان حسب المذهب، والقومية أنظر المرجع Encyclopedic Britannica. Vol. 12 ,USA William Benton publisher, 1971, p. 529.



المسلمون في العراق حسب المذهب	النسبة المئوية بالنسبة لنسبة عدد السكان
المسلمون السنة	%٤٦،٥
المسلمون الشيعة	%٤٦،٥
نسبة المسلمون السنة، والشيعة	%٩٣

الجدول (٢-١) يبين نسبة المسلمين في العراق بالنسبة إلى مجموع أفراد الشعب العراقي، كما يبين نسبة كل من السنة والشيعة في العراق بالنسبة إلى مجموع عدد المسلمين في العراق، وقد صمم الباحث هذا الجدول بناءاً على المراجع المتوفرة.



المسلمون حسب المذهب، و القومية (الإثنية)	نسبتهم إلى مجموع السكان
عرب مسلمون سنة	%٣٠,٥
عرب مسلمون شيعة	%٤٠
أكراد مسلمون سنة	%١٤
أكراد مسلمون شيعة	%٢
فرس مسلمون شيعة	%٣
تركمان مسلون سنة	%٢
تركمان مسلمون شيعة	%١،٥
المجموع الكلي للمسلمين السنة (عرباً وكرداً تركماناً)، والشيعة (عرباً وكرداً وتركمان وفرس)	%٩٣

الجدول (٣-١) يبين تقاطع الإطار المذهبي والقومي (الإثني) للمسلمين في العراق، وقد صمم الباحث هذا الجدول بناءاً على المراجع المتوفرة.



الديانات في العراق	النسبة المئوية بالنسبة إلى عدد السكان
المسلمون	٩٣%
المسيحيون	٤%
اليزيديون	١%
اليهود، والكاكائيون، والعلى اللهية، والصابئة،والشباك، البهائية، والكولية	٢%
المجموع الكلي	١٠٠%

الجدول (٤-١) يبين الإطار الديني لنسبة السكان في العراق، وقد صمم الباحث هذا الجدول بناءاً على المراجع المتوفرة.



القوميان والأديان في العراق	نسبة السكان بناءاً على تقاطع محوري القومية والدين في العراق
العرب المسلمون	٧٠%
الأكراد المسلمون	١٦%
التركمان المسلمون	٣،٥%
الفرس المسلمون	٣%
أكراد يزيدية	١%
أكراد (الكاكائية، والشاباك، والصابئة، والعلى اللهية)	٢%
العرب المسيحيون	أقل من ١%
الأكراد، والتركمان المسيحيون	أقل من ١%
الكلدان المسيحيون	٢%
الأشوريون، والنساطرة، والأرمن (المسيحيون)	١%
البهائيون، والكولية	أقل من ١%
اليهود	بضعة آلاف
المجموع	١٠٠%



الجدول (٥-١) يبين تقاطع الإطارين الديني والقومي (الإثني) للسكان في العراق، وقد صمم الباحث هذا الجدول بناءاً على المراجع المتوفرة.

- **السنة**

هي الطائفة المسلمة التي تسمى؛ أهل السنة، أو أهل التسنن، أو السنيين، وقد أطلق هذا المفهوم على المسلمين الذين اتبعوا الفقهاء الذين لم يكونوا من ذرية الرسول محمد (ص)، كأبي حنيفة، والشافعي، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والأوزاعي وغيرهم من أئمة هذا المذهب، وقد سلَّم كل هؤلاء بالخلفاء الراشدين الأربعة، كخلفاء شرعيين للرسول، كما سلَّموا بالقرآن، والسنة والحديث، معتمدين في تفسيرها على الصحاح الستة، وهي صحيح البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، وأبن ماجة، والنسائي، وقد انتشر اصطلاح "السنة" في العصر العباسي الثاني، الذي ابتدأ بالخليفة المتوكل، حيث كان بعض الخلفاء العباسيين، يتبعون المعتزلة، أو يترفعون عن المذهبية الدينية.

ويرى السنة أن باب الاجتهاد قد أقفل منذ عشرة قرون، وذلك بعد أن انقسم المسلمون حسب المذاهب الأربعة، وأن هؤلاء الأئمة الأربعة قد فسَّروا كل ما يتعلق بالقرآن، والسنة، وكل ما تشمله الحياة اليومية، إلا أن بعض العلماء يرى أن باب الاجتهاد مازال مفتوحاً بشرط توافر شروط خاصة بالمجتهد، والإمامة ليست من أصول الدين، التي هي عندهم: التوحيد، والنبوة، والمعاد، وصلاة الجمعة عندهم واجبة، ولا يميزون بين أحد من الصحابة فعندهم الجميع سواسية، ويجب احترامهم وتقديرهم، مثلهم مثل "آل البيت" النبوي، الذين يحظون بمنزلة خاصة عندهم، إضافة إلى ما يحظى به أئمة الطرق الصوفية، حيث لهم الكثير من المقامات التي تقام فيها الاحتفالات الدينية، ويرون أن ما حدث من اختلافات بين الصحابة،



وقتال بضعهم البعض هو أمر لابد من عدم النقاش به، حيث يترك الأمر لله عز وجلّ في شأنهم، لأنهم اجتهدوا وقرروا، وعلى هذا الأساس فليس هناك داع للخلاف حول هذه الأمور، لأن الرسول (ص) أوصى بأصحابه عندهم، وأنهم قد تربوا تربية نبوية، فهم قدوة حسنة للأمة، وبالتالي فلا يجوز الانتقاص من أحدهم، أو الطعن فيه، وأصول الفقه عندهم هي: السنة، والإجماع، والقياس، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، والإجماع عندهم هو إجماع أهل الحل والعقد(٢١١)، والشروح المثلى للفقه تأتي من الأئمة الأربعة؛ لأنهم حسب رأيهم هم الأقدر على تفسير الدين الإسلامي، ويرون بأخذ ظاهر الآية القرآنية، أو الحديث النبوي، دون أن تكون ثمة تأويلات باطنية لها، إلا إذا أقرها واتفق عليها الفقهاء، إلا أن لأهل الطرق الصوفية الكثير من التفسيرات الباطنية؛ التي تختلف باختلاف هذه الطرق،وإن كانت كلها تصب في جوهر القرآن والسنة.

وقد كان لهم نفوذ كبير في ظل الدولة العباسية،وفي ظل حكم السلاجقة، والمماليك الذين حكموا العراق، بعد سقوط بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨م، ثم في ظل الدولة العثمانية، وحتى سقوط بغداد بيد قوات التحالف الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٣، فقد كانت الأقاليم السنية في العراق تعامل معاملة خاصة من العثمانيين، بخلاف الجنوب الشيعي؛ بسبب طائفية الدولة العثمانية(٢١٢)، كما عملت بريطانيا خلال فترة انتدابها للعراق، على التمييز بين الطوائف المذهبية في العراق، بأن أعطوا السنة مراكزاً أكثر من الشيعة في الدولة،

---

(٢١١) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، ص ص٤٥-٥٠ .

(٢١٢) نجيب الأرمنازي، **عشر سنوات في الدبلوماسية**، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٤، ص ٥٨، أنظر أيضاً، فرهاد إبراهيم، مرجع سابق ذكره، ص٩١، أنظر أيضاً: حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**، ط٢، ترجمة: عفيف الرزاز، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥، ص٣٦.



وقد استاء الشيعة من خلال مجتهديهم على التركيبة الدينية لمجلس إدارة الدولة عام ١٩١٩، خاصة بعد تعيين الإنكليز لحكام سنيين للمحافظات الشيعية[٢١٣].

وقد كان التنافس بين السنة على السلطة خلال فترة قيام الدولة العراقية، من أسباب إضعاف شرعيتهم السياسية، لكن وجود عدم توازن في الدولة العراقية بين السنة، والشيعة منذ قيام الدولة العراقية، كان من خلال مؤامرة إنكليزية؛ بغية تحقيق استراتيجية مستقبلية لها؛ مدركة أنها تستطيع بعد ذلك إشعال حرب طائفية عند الضرورة، فمن مذكرات المستر "أدموندز"؛ معاون مستشار وزارة الداخلية العراقية في العهد الملكي البريطاني: "كما أنه يظهر كذلك أن التهذيب، وحتى تعيين الشيعة للمناصب الحكومية العليا قد جعل الطبقة المفكرة أشد شعوراً من ذي قبل بحالتهم الأدنى بالنسبة إلى السنة التي يجب أن تدوم إلى حين"[٢١٤].

وقد استطاعت هذه الاستراتيجية فيما بعد نشر الكثير من الضغينة بين السنة، والشيعة في العراق؛ بسبب الصراع على السلطة ضمن الدولة العراقية، وهذا ما أثبتته الأحداث بشكل أكثر وضوحاً، بعد الاحتلال الأمريكي الغربي للعراق عام ٢٠٠٣م.

- **الشيعة**

ظهروا بظهور الخلاف بين الإمام على بن أبي طالب "كرم الله وجهه"، وبين معاوية بن أبي سفيان بعد أن طالب معاوية بدم الخليفة عثمان بن عفان (رض)،

---

(٢١٣) فرهاد إبراهيم، مرجع سابق ذكره، ص٩٤ .

(٢١٤) سعيد السامرائي، مرجع سابق ذكره،ص ٨٦ , للمزيد انظر:

Peter ,Sluglett, and Marion Farouk-Sluglett. **"Some Reflections on the Sunni/Shia Question in Iraq,"** British Society for Middle East Studies ,London, 5, 1978,pp. 79-87.



معتبراً أن الإمام علي "كرم الله وجهه" يأوي قتله عثمان(رض)، رغم أن بعض الشيعة ترى أن الرسول قد أطلق اسم الشيعة على المخلصين لأهل البيت، وتحتوي عقائدهم على عداء صريح لكل من يخالفهم؛ بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد سياسي عبر العصور المختلفة، ولهم تفسيرات خاصة للقرآن، والأحاديث النبوية، ويرون أحقية أهل البيت، وذريتهم بالخلافة الإسلامية، بدءاً من الإمام على "كرم الله وجهه " وأبناءه، وذريته التي هي ذرية الرسول (ص)، ويرون أنه إذا لم تكن الإمامة –السلطة السياسية– في أيديهم فلا يجوز صلاة الجمعة؛ لأن الإمام يملك السلطة الروحية، والزمنية وهذا ما يفسر اختلافهم عن شيعة إيران بعد الثورة الإسلامية فيها عام ١٩٧٨، حيث يؤدي شيعة إيران صلاة الجمعة[٢١٥].

ويتسم الشيعة بأنهم يبالغون في الشعائر الدينية في يومي التاسع، والعاشر من شهر محرم، فيقيمون المآدب حزناً على استشهاد الإمام الحسين (رض)؛ الذي استشهد في معركة كربلاء بعد إعلانه الثورة ضد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، رافضاً مبايعته بالخلافة، ويرون أن أئمة أهل البيت قد استخلفهم الرسول محمد (ص)، وأن عدم وجود حاكم من ذرية الرسول سيجعل الحكم غير شرعي، لذلك كانوا يعارضون إجراءات الحكومات العراقية بعد الاستقلال، إذ كانت في معظمها من السنة، لذلك عملوا على تشكيل حزب سياسي شيعي عام ١٩٢٧، حيث

(٢١٥) , Hanna, Batatu. **Shi'i Organizations in Iraq: Al-Da'wah al-Islamiyah and Al-Mujahidin."**pp. 179-200. **in,** Juan R.I. Cole and Nikki R. Keddie (eds.), **Shi'ism and Social Protest**. New Haven: Yale University Press, 1986.

للمزيد أنظر: قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢١٧–٢١٨.



نقدوا فيه الحكومة العراقية، ونظامها السياسي، وطالبوا بضرورة نقل السلطة إليهم، على اعتبار أنهم يشكلون الأكثرية القومية والمذهبية من سكان العراق [٢١٦].

وقد حكموا العراق في فترة العصر العباسي الثاني من خلال سيطرة البويهيين الشيعة على مقاليد الحكم في الدولة لمدة تقترب من مائتي سنة، كما حكموها من خلال الصفويين الذين احتلوا العراق في بداية القرن الخامس عشر إلى أن أخرجهم منها العثمانيون عام ١٥٣٢.

ويرى بعض الباحثين أن قضية الإمامة بين السنة، والشيعة ليست سوى مسألة سياسية بحتة لا تمت للعقيدة بأي صلة، على اعتبار أن الصحابة أنفسهم قد اختلفوا فيها، وقاتلوا بعضهم بعضاً بسببها، وفي ذلك يقول ماكدونالد: "إن الخلاف بين السنة والشيعة هو خلاف غير جوهري، فهو حول العبادات والمعاملات لكن العقيدة واحدة"[٢١٧]، كما يرى "جولد تسيهر" أن الشيعة أقرب إلى فقه الشافعية، واعتبرها أحد مشايخ الأزهر المعاصرين مذهباً سنياً خامساً على أساس أن الإمام جعفر الصادق (رض) هو أستاذ الإمامين أبي حنيفة، ومالك رضي الله عنهما.

([٢١٦]) محمود إسماعيل، **فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفسي الديني**، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥، ص ص٩٨-١٠٠ **, للمزيد انظر:**

Hodgson, Marshall G.S. **"How Did the Early Shia Become Sectarian?"**. Journal of the American Oriental Society, 75, No. 1, January-March 1955,pp 1-13.

([٢١٧]) محمود إسماعيل، مرجع سابق ذكره، ص٤٧، ص٩٤



وبالمقابل فقد تبرأ علماء المذهب الشيعي من بعض الحركات الهدامة التي تدَّعي الولاء لأهل البيت، بينما تحتوي على الخرافات والشعوذات التي ظهرت من خلال بعض الفرق المنحرفة، مثل: الحروفية، والبابية، والبهائية(٢١٨).

والعلم عندهم موروث عن الإمام علي "كرم الله وجهه"، وهو يشكل ما كان وما سيكون، وهو يورث للإمام الذي يأتي بعده بالتعيين وبالنص، وهذا العلم يطلقون عليه اسم الجفر، وهو على عدة أقسام هي(٢١٩):

(١) الجامعة وهي تشمل على المحرمات، والحلال.
(٢) صحيفة الفرائض وهي تشمل الفرائض.
(٣) كتاب الجفر، ويشمل تراث الرسول (ص) ويقسم هو الآخر إلى:

- الجفر الأبيض، وهو وعاء فيه علوم الأنبياء والأوصياء، وصحف إبراهيم وموسى، والزبور، والإنجيل.
- الجفر الأحمر وفيه علم الحوادث الآتية

أما عن عصمة الأئمة عندهم فهم يرونها مأخوذة من الآية القرآنية:" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً " فإذهاب الرجس، والتطهير معناه العصمة، وبالنسبة لعصمة الأنبياء فهي وجوب إلهي، أما عصمة الأئمة فهي لطف إلهي، وآخر الأئمة عندهم هو الإمام محمد المهدي الذي يلقبونه "المنتظر"، ويرون أن الرسول (ص) قد بشَّر به، وأنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت

---

(٢١٨) Marshall G.S,Hodgson,. **How Did the Early Shia Become Sectarian?**. Journal of the American Oriental Society, 75, No. 1, January-March 1955,pp. 1-13.
انظر أيضاً: محمود إسماعيل، مرجع سابق ذكره، ص٩٦.

(٢١٩)محمود إسماعيل، مرجع سابق ذكره، ص٩٨ .



ظلماً وجوراً، وأنه قد اختفى منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة، وأنه سيعود ويظهر في نهاية الزمان[٢٢٠].

ويرون أن باب الاجتهاد مفتوح ولم يتوقف، وقد حذر إمامهم الإمام جعفر الصادق من النزعات الغالية بالدين، واعتبرها حركات هدامة، تدعي ولاءها لآل البيت، بينما تعمل لهدم الدين، ووضع معياراً مهماً للكشف عن الغلو بقوله: "لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن، والسنة "[٢٢١]، كما دعا لمقاطعة خصومه العباسيين، وأيد الثورات ضدهم بعد أن نكثوا بوعودهم معه، من هنا كان العداء العباسي، مع ذرية الإمام علي (العلويين) ومؤيديهم، حيث لقبهم العباسيين بالرافضة، لرفضهم الولاية لهم، لكن رأى آخرون، أن هذه التسمية جاءت إليهم؛ بسبب رفضهم الاعتراف بالخلفاء الراشدين كخلفاء شرعيين للرسول ماعدا الإمام علي، وأن مبايعة الإمام علي لهم كانت عن استكراه، لأنهم يعتبرون حادثة السقيفة التي تم بموجبها مبايعة أبوبكر الصديق(رض) بالخلافة هي غير شرعية لأنه لم يحضرها أي من بني هاشم، وعلى هذا الأساس فهذه التسمية–الرافضة– هي تسمية سياسية بحتة لا تمت للدين بأية صلة، وبالمقابل فإن بعض الشيعة قد لقبوا السنة بأنهم نواصب،أي أنهم يناصبون العداء لآل البيت، رغم أن هذه التسمية بعيدة كل البعد عن أتباع السنة الحقيقية؛ لأنهم في مجملهم يقدِّرون، ويعظمون، ويجلون آل البيت "عليهم السلام"، فهذه التسمية أيضاً لا تمت إلى جوهر العقيدة بأي صلة، أما موضوع الاجتهاد، وتشريعه، وفتحه عندهم إلى هذا الحين، فهم يرون أن ذلك يكون وفقاً لشروط يجب توافرها في المجتهد وهي: (المعرفة باللغة العربية، والقرآن،

---

(٢٢٠) نفس المرجع السابق، ص ص ١٠٠–١٠٥، للمزيد أنظر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مرجع سابق ذكره،ص ص٢٥٤، ٢٣٥، ص ص٢٨٠ – ٢٨٨، للمزيد حول الشيعة انظر:

Moojan ,Momen,. **An Introduction to Shia Islam**. New Haven: Yale University Press, 1985.pp.20-180.

(٢٢١) نفس المرجع السابق، ص ص ١٠٤ – ١٢١ .

والحديث، والتفسير، وعلم الكلام، وعلم الإنسان)، وأن الإمامة من أصول الدين، التي هي عندهم: (التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد)، ويرون أنهم هم أهل السنة الحقيقيون؛ لأنهم يتَّبعون تعاليم الرسول وآل بيته عليهم السلام.

أما زواج المتعة• عندهم فقد حلَّلوه، حيث يتزوج الرجل من المرأة لمدة محددة يحددها عقد الزواج – بالرغم من أن السنة قد حرَّموه– على أساس أنه لم يرد نص قرآني في عهد الرسول يحرمه، وهم يرون أنه له شروطاً خاصة، ويتشابه هذا الزواج مع زواج المسيار الذي يحلله بعض السنة، على أساس أن المسافر إذا انقطع في مكان ما قبل وصوله إلى مكانه، فيجوز له الزواج طيلة فترة إقامة في ذلك المكان، ويفسخ الزواج بعد ذلك بإعلانه إكمال سفره، وأصول الفقه عندهم هي: القرآن، والسنة، والإجماع، والاجتهاد، لكن الإجماع عندهم هو إجماع مجتهدي الشيعة[٢٢٢].

وقد انتشر هذا المذهب بشكل كبير في العراق، خلال فترة الحكم العثماني له وذلك خلال العامين (١٧٤٣ – ١٨٣١)، حيث تشيعت أعداداً كبيرة من القبائل العربية المهاجرة إلى العراق، وكان سبب تشيع هذه القبائل بسبب التحالفات القبلية بين القبائل، وعدم تسامح الحكومة مع القبائل العربية المهاجرة، إضافة إلى الدعاية الشيعية.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ظهرت في إيران مسألة التقليد للمجتهد، بعد مطالبة رجال الدين بذلك على أساس أنهم وكلاء عن الإمام الغائب "المهدي المنتظر"، وقد تقبلها رجال الدين الشيعة في العراق؛ بسبب تأثر الأحداث السياسية بالدينية في كل من إيران، والعراق، لكن لم تقتصر هذه الفكرة في العراق على مرجع

• الكثير من القبائل والعوائل العربية الشيعية لا تتقبل هذا الزواج وتستكرهه،رغم عدم تحريمها له، وإذا حصل فلا يحصل للبكر،وإنما للمطلقة، أو الأرملة ونحوها من النساء (الباحث).

(٢٢٢) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٤٨.



ديني واحد، بل على عدة مراجع دينية، وهذا ما ساهم في اختلافات الرأي بين المراجع، كما ساهم في عدم وجود مؤسسة دينية سياسية مركزية[٢٢٣].

ومعظم مجتهدي الشيعة في العراق، والذين كونوا المنظمات السياسية فيه، هم من أصول إيرانية، وهذا ما دعا بعض قادة الحكومات العراقية منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١، إلى اتهام المعارضة الشيعية بأنها دخيلة على العراق، رغم ما كان لهؤلاء المجتهدين من دور كبير في مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق، ومشاركتهم في ثورة العشرين مع إخوانهم من السنة العراقيين[٢٢٤]، كما أن معظم هؤلاء المجتهدين يدَّعون انتسابهم لآل البيت "عليهم السلام "،وعلى هذا فهم يدَّعون الانتساب للعرب.

وكان ثمة محاولات من النظام السياسي في العراق، لإشراك الشيعة بشكل أكبر في العملية السياسية، إلا أن الضغوط البريطانية على النظام العراقي كانت تحول دون ذلك، فقد رأى الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣، أنه من الضروري إشراك الشيعة بشكل أكثر فعالية في السلطة، لتحقيق التوازن في الدولة العراقية؛ بسبب ما كان من تنافس بين السنة، والشيعة على السلطة السياسية التي كانت بيد السنة، حتى أن بعض القبائل الشيعية قد عملت اتفاق سمته "ميثاق النجف" عام ١٩٢٥ دعوا فيه إلى ضرورة تحقيق المساواة، والعدالة في الدولة، وإدخال الفقه الشيعي إلى جانب السني في التدريس في مدارس وجامعات الدولة، وطالبوا بأن يكون لهم دور أكبر في المجالس المحلية، والجيش، وأن توزع موارد الأوقاف عليهم بشكل أكبر، حيث كانت توزع على المراكز الدينية للسنة، ورغم ذلك ظلت معظم مراكز

---

(٢٢٣) فرهاد إبراهيم، مرجع سابق ذكره، ص ص٣٩-٥٨ .

(٢٢٤) نفس المرجع السابق، ص ص ٦٥-٨٨، ص ص ١١٤-١١٥



المؤسسة العسكرية، والمدنية، والبرلمانية، في أيدي السنة، فلم يحصل الشيعة سوى على ثلث المناصب الحساسة في الدولة حتى عام ١٩٥٨، فبين تسعة وعشرون حكومة عراقية بين عامي (١٩٤٠ – ١٩٥٨) شكَّل رجال من السياسيين الشيعة خمسة حكومات فقط، كما أن تطور مشاركة الشيعة في الحياة السياسية كان بطيئاً بشكل كبير[٢٢٥].

٢- المسيحيون

ويشكلون حوالي (٥)% من سكان العراق، ويرجع وجودهم إلى ما قبل دخول الإسلام للعراق بأكثر من ٦٠٠ سنة[٢٢٦]، والدليل على ذلك وجود النبط، وهم بقايا سكان العراق القدماء، حيث كان هؤلاء مسيحيون نسطوريون، كما وجد الخميون المناذرة في الحيرة، وهم العرب المسيحيون الذين نشروا المسيحية بين القبائل العربية، مثل بني تميم، وبني سليم، وقد حسبوا مع العرب عند الفتح العربي الإسلامي للعراق، لأنهم عرب أولاً، ولأنهم كانوا قد تعرضوا لاضطهاد الفرس ثانياً،

([٢٢٥]) نفس المرجع السابق، ص ١٠٦ – ص ص ١٢٢-١٩١، للمزيد انظر:

Hanna ,Batatu,. **Iraq's Underground Shia Movements: Characteristics, Causes, and Prospects,** Middle East . Journal, 35, No. 4, Autumn 1981,pp.94-578**.** Also Look: Hanna, Batatu. **Shi'i Organizations in Iraq: Al-Da'wah al-Islamiyah and Al-Mujahidin**.pp.179-200

([٢٢٦]). نزار عسكر، **المسيحيون العراقيون، ماض عريق وحاضر مجهول**، ٢٠٠٥/٢/٢٤، مأخوذ من الموقع:

http://www.enjeely.com/vb/showthread.php?t=862

ويقسمون إلى آراميون وهم السريان المتواجدون قرب الموصل، الذين يتكلمون السريانية ومنهم ظهر الكلدان، والآشوريون، واليعاقبة، والنساطرة، والسريان الشرقيين والغربيين، كما أن بعض العرب، والأكراد، والتركمان يدينون بالمسيحية، وقد انقسم المسيحيون في العراق بسبب ما كان من انقسامات في الكنيسة البيزنطية، فالانقسام الأول والذي افرز الكنيسة الشرقية (النساطرة) والكنيسة الأرثوذكسية (اليعاقبة) يعود إلى القرن الخامس الميلادي، كما وأن بدايات الانقسام الآخر ضمن الكنيسة الشرقية والذي افرز الكنيسة الكلدانية تعود إلى القرن الخامس عشر، وأن محاولة إضفاء شخصية متميزة للمذاهب المتولدة من هذه الانقسامات كالقول: الأثوريون بمعنى النساطرة والسريان بمعنى اليعاقبة والكلدان بمعنى الكاثوليك هي محاولة غير صحيحة، ويتعامل معظم المسيحيون في العراق باللغة العربية، لكن هناك قرى سهل الموصل لم تزل الآرامية لغتها الأساسية (وهي لغة قديمة تجد شراكتها مع العربية باعتبارها من جذر واحد، كما وان الآرامية لغة السيد المسيح (ع) لم تزل لغة الطقوس الدينية في البيع والكنائس العراقية، أما البروتستانت في العراق فهم قليلون [٢٢٧].

والأدوار الحضارية لهذه الأقوام المسيحية العريقة قد تكاملت سياسيًا واجتماعياً مع القوى المحلية العراقية جميعاً، ويمكن القول بأن الذي أدمجها هذا الإدماج التاريخي الذي يعّبر عنه: تعايش سلمي واجتماعي قّل نظيره في أماكن وبيئات أخرى لأمم أخرى في العا لم له دوافع حقيقية وتاريخية، يمكن أجمالها بالآتي:

- الشعور الجمعي الاجتماعي المسيحي؛ بأنه متوارث للنزعة المسالمة التي لا تقبل الاعتراض أو الاختلاف أو التباين.

([٢٢٧]) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٥١-٥٣ .



- توارث قيم التعايش، وأسلوب الحماية لمجتمع كان العراقيون يعتّزون به اعتزازاً كبيراً حتى منتصف القرن العشرين.
- موجات التحدّيات الخارجية القاسية التي عانى منها المجتمع العراقي كله على امتداد تاريخه الطويل، خلق حالة شراكة تاريخية حقيقية نادرة الحصول في وقوف الجميع مسلمين ومسيحيين للاستجابة معاً إلى التحديات، ومعاناتهم معاً من المكابدات نفسها.

لقد وصلت حالة الاندماج الاجتماعي إلى درجة الشراكة في التقاليد والعادات والألبسة وحتى اللغة، فالقرى المسيحية الواقعة في مجتمع كردي يتكّلم أهلها الكردية والقرى المسيحية الواقعة في مجتمع عربي يتكّلمون العربية وبنفس اللهجة، أما المستوطنات المسيحية القديمة منذ أكثر من ألفي سنة فالناس فيها يتّكلمون الآرامية[٢٢٨]، وقد برز منذ عهد صدر الإسلام وامتدادا بالأمويين ومرورا بالعباسيين العديد من نخب الشعراء والعلماء واللغويين والمترجمين والأطباء المسيحيين العراقيين، ويكفي أن الفلسفة الإغريقية نقلت إلى العربية بفضل مسيحيي العصر العباسي، وقام الأطباء المسيحيون بأدوار بارعة في الجراحة وعلم الأدوية، كما وكان لقسم منهم أدوار حضارية في الفن والهندسة والتاريخ والرحلات والصناعات والزراعة، وهناك لغالبيتهم براعة في المهن وخصوصا البناء والتجارة وعلاج الأسنان والنجارة والحدادة وصناعة الحلويات والمعجنات.

أما دور المرآة المسيحية العراقية، فكان له أهميته البالغة لما قدمته للمجتمع من خدمات خاصة وخصوصاً في فن التطريز وصناعة الحلويات والتمريض والتعليم،إن هذه الأدوار ما كان لها أن تتطور إلى أسمى حالاتها لولا حالات السلم والأمان التي

---

(٢٢٨) نزار عسكر، **المسيحيون العراقيون، ماض عريق وحاضر مجهول**، ٢٠٠٥/٢/٢٤، مأخوذ من الموقع:
http://www.enjeely.com/vb/showthread.php?t=862



عاشها المسيحيون العراقيون وهم في كنف المسلمين العراقيين وتأمين هؤلاء على شركائهم المسيحيين، وعلى أرواحهم، وأموالهم، وأملاكهم، وأعراضهم، ونواميسهم، وعباداتهم، وكنائسهم، واحترام المجتمع عاداتهم، وتقاليدهم، وطقوسهم، وصلواتهم(٢٢٩).

وفي العصر الحديث كان لهم أدوار ومواقف ومعطيات حضارية في الفن والأدب واللغة والجغرافية والتاريخ، والطباعة والصحة والفهرسة، والتربية والتعليم والطب وطب الأسنان، والصيدلة وفي الإدارة والقضاء، والمحاماة والصحافة والترجمة، والعلوم الأكاديمية والتأليف، والفن والغناء والمسرح، وفن البناء وخصوصاً في القرن العشرين، كذلك حفظت الأديرة القديمة اللغة العربية من الاندثار والضياع! حيث عمد الربان والآباء على حفظ نفائس الكتب العربية في مجالات العلوم المختلفة خوفاً من تلفها وإحراقها على يد الغزاة الذين توالوا على غزو العراق، واشتهر العديد من الرهبان والقسس والمطارنة كعلماء ورحالة وشعراء ومدرسين في اللغة العربية إلى جانب السريانية الآرامية، وقد كان من أهم تلك البعثات: إرسالية الآباء الدومنيكان الذين وصلوا مدينة الموصل سنة ١٧٥٠م وقدموا خدماتهم الطبية والتعليمية، ومنها تأسيس مدرسة فرنسية عرفت بمدرسة الآباء الدومنيكان التي خرَّجت طبقة من المثقفين والعلماء المحدثين استمر تأثيرهم حتى القرن العشرين، إذ كان لهم تأثيرهم في نشوء المسرح بالموصل لأول مرة في تاريخ المنطقة، وكان لهم تأثيرهم في تأسيس المطابع ونشر العدد الكبير من الصحف.. فضلا عن الطباعة وخدمات أخرى(٢٣٠).

---

(٢٢٩) نفس المرجع السابق

(٢٣٠)نفس المرجع السابق



وحول عقيدتهم، فهم ينسبون إلى دين المسيح عيسى عليه السلام الذي ولد من أم يهودية هي مريم العذراء عليها السلام، عام (٤) ق.م، ويؤمن المسيحيون أن الله قد خلق الكون، وخلق الإنسان على صورته، وجعله خليفته في الأرض، ويتسمون بالرموز والشعائر الكثيرة، والدين المسيحي دين يدعو إلى المحبة والأخوة، والزمالة بين الناس، ولهم عدة أناجيل تعتبر أربعة منها رئيسية هي: متى، ومرقص، ويوحنا، ولوقا وهي مترابطة مع بعضها البعض، ومكملة لبعضها البعض كما يرون أن هناك عدة أناجيل غير قانونية[٢٣١].

وتجدر الإشارة إلى أن قسماً من المسيحيين قد جاء إلى العراق في العصر الحديث وأهمهم الأرمن الذين تعرضوا لمذابح الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى، بسبب دعواتهم لإقامة الدولة الأرمينية على جزء من الأراضي التركية، وهذا أدى بهم إلى الهروب إلى المناطق المجاورة مثل العراق، وسوريا، ولبنان، ومصر، كما دخل النساطرة الأشوريون العراق، كما أسلفنا قبل ذلك، عندما عرضنا التمايز الإثني في العراق، وكلتا هاتين الكنيستين لهما كنائسهما الخاصة بهما، وعلى العموم فإن المسيحيون سواء منهم المهاجرون الجدد أم القدماء، يشتغلون في جميع المجالات الاقتصادية، والسياسية، والمدنية في العراق مثلهم مثل المسلمون.

٣- اليهود

كانت مهد الحضارات "بابل" هي مولد العبرانيين، قبل أن يصبحوا شعباً ويظهروا على ساحة التاريخ، كما كان مولد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المدينة القديمة أور في عام ١٩٠٠ ق.م، لكنه هاجرها بأمر الله تعالى عابراً نهر الأردن باتجاه فلسطين لذلك سمي أتباعه بالعبرانيين، وتجدر الإشارة هنا أن قسماً

---

(٢٣١) سمير عبده، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٠-٥٠ .



من هؤلاء اليهود ينسب إلى النبي اسحق بن إبراهيم عليهما السلام، بينما ينسب الجزء الثاني من نسل إبراهيم إلى العرب المستعربة عن طريق النبي إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، ومنهم الرسول محمد (ص)؛ فالعرب واليهود أبناء عمومة، إضافة لكونهم ينتسبون لنفس العرق السامي-قبل أن يطلق على اليهود اسم العبرانيين- الذي جاء من شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنيين،وقد عادوا للعراق زمن السبي البابلي الأول في عهد ملك الأشوريين شلمانصر عام ٧٢١ ق.م، حيث قام بحملة ضد ملك الإسرائيليين "يهوشع"، كما قام بعد ذلك ملك الأشوريين سنحاريب عام ٧٠٢ ق.م؛ بالهجوم على المملكة اليهودية الثانية "مملكة يهوذا"' ثم كان السبي الثالث على يد ملك الكلدانيين نبوخذ نصر عام ٤٨٦ ق.م [٢٣٢]،.

وهو دين يؤمن بالتوحيد منذ وجود النبي إبراهيم عليه السلام، ثم ورث عنه التوحيد ابناه إسماعيل وإسحق وحفيده يعقوب والأسباط، وأمر الله إبراهيم بختان كل ذكر في اليوم الثامن من مولده ليكون علامة عهد بينه وبين الله سنّة للأجيال، ويؤمنون أن العقل البشري لا يمكنه إدراك الذات الإلهية،وصفاتها، ويؤمن اليهود بالموشِيَاح أي (المسيح المنتظر) الذي يأتي في آخر الأزمان ليملأ الأرض عدلاً

---

(٢٣٢) مأمون كيوان، مرجع سابق ذكره ص ص١٨-٢٨، انظر أيضاً:

Sasson ,D., A, **History of the Jews in Baghdad** ، pp.12-120,

للمزيد حول اليهود في العراق يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

Cohen, H., **The Anti Jewish Farhud in Baghdad**, Middle Eastern Studies, Vol. 3, London, 1966 - 1967
also: Goitein, S., **Jews and Arabs**, New York,1955
also: Hourani, A. **Minorities in the Arab World**, London, 1947
also: Lancshut, S**., Jewish Communities in the Muslim Countries of Middle East,** London, 1950
also:Lilienthal, A. The Other Side of the Coin, New York, 1965
also: Masliyah, S, **Zionism in Iraq**, Middle Eastern stuedies, Vol. 25, April, 1989 No. 2, London,
also:Rajwan., N**, The Jews of Iraq,** London,1985



وسلاماً، ولهم عدة مقامات في العراق يزورونها منها مقام حزاقيل المعروف بالنبي ذي الكفل عليه السلام، ومقام عزرا المعروف بالعزير عليه السلام، وعندهم عدداً من الكتب المقدسة منها التوراة، و الزبور التي يقولون عنها مزامير داود، والتلمود وهو مجموعة التعاليم الدينية والشرعية المستمدة من التوراة، كما لهم عدداً من الكتب المكتوبة باللغة الآرامية(٢٣٣).

وقد حظوا بمكانة كبيرة أيام الدولة الإسلامية في كافة عصورها، وأرجائها، وكان منهم أسماء لامعة في العصر الحديث، ولهم صلوات وصيام خاصاً بهم، وعطلتهم الأسبوعية هي السبت، وأشهر أعيادهم يوم الغفران الذي يصادف العاشر من أكتوبر، وعيد الغفران في ١٥ إبريل، وعيد المظال الذي يستمر من ٨ وحتى ١٥ من شهر أكتوبر، كما لهم عدداً آخر من الأعياد الثانوية(٢٣٤).

وقد اشتهر اليهود في العراق بمهنة الصيرفة، والتجارة، حتى أن وزير المالية في حكومات الدولة العراقية كان منهم وهو ساسون حزقيل، حيث تولى هذه الوزارة خمسة مرات وذلك في الحكومات العراقية المتعاقبة؛ بسبب أن القانون العراقي لم يفرق بينهم، وبين المسلمين في شغل المناصب في الدولة، كما أنهم قد سيطروا على

---

(٢٣٣) مير بصري (رئيس الطائفة الموسوية في العراق سابقاً): **يهود العراق**، مأخوذ من الموقع:
http://www.almawsem.net/diwan01/yahood.htm
أنظر أيضاً: Masliyah, S., **Zionism in Iraq**, Middle Estern studies . vol, 25
أنظر أيضاً. Schechman, On Wings of Eagles, pp331-332.
أنظر أيضاً:
Albert. Hourani,; **Minorities in the Arab World**, san Francesco,1990. p.102
Steven, E., **Tigris and Euphrates**,London.1961, pp.216

(٢٣٤) مير بصري، مرجع سابق ذكره، أنظر أيضاً: حسقيل قوجمان، **الجالية اليهودية في العراق سابقاً**، مأخوذ من الموقع: http://bahzani.net/C%20Ordner/c146.htm
أنظر أيضاً: Schechman, **On Wings of Eagles**, pp. 331 –332



الصحافة؛ بسبب كفاءتهم العلمية الكبيرة، لكن تراجع مركزهم بعد استقلال العراق عام ١٩٣٢، بسبب خطة الحكومة العراقية للسيطرة على الشؤون الاقتصادية في الدولة، رغم أنهم ظلوا يحتفظون بنسبة ٥٠% من التجارة العراقية، إلا أن ما قامت به الدعاية النازية – قبل ١٩٤٥–، ومن ثم اندلاع الحروب العربية الإسرائيلية، قد جعل أحوالهم ومراكزهم تتضعضع، فهاجر قسماً كبيراً منهم إلى الخارج، لكن ظلوا يحتفظون بمعابدهم الدينية، كما استمر وضع بعضهم جيداً بعد ذلك، بالرغم من أن الكثير من مثقفيهم قد تعاطف مع الشعب الفلسطيني، وأيَّد حقه في فلسطين مستنكراً الدعوات الصهيونية لهذه الأسباب،وانضم الكثير منهم إلى الحزب الشيوعي العراقي،وأيدوا ثورة ١٩٥٨ في العراق، وقد شرعت لهم الحكومة العراقية قوانين إدارة " الطائفة الموسوية "، لتنظيم أحوال من تبقى منهم[٢٣٥].

أما أعدادهم في الوقت الحاضر فهم قليلون جداً، بسبب هجراتهم المتواصلة من العراق إلى إسرائيل، وأوربا، والولايات المتحدة، نتيجة الحروب العربية الإسرائيلية، ففي عام ١٩٥٠ اتخذت الحكومة العراقية قراراً بالسماح لليهود بالتخلي عن جنسيتهم العراقية والسفر إلى إسرائيل، ومنحتهم مدة عدة شهور لاتخاذ قرارهم، وفعلاً هاجر الكثير منهم بناءاً على ذلك، بسبب ما قامت به المنظمات الصهيونية وعملاءها من أعمال إرهابية حيث ألقيت العديد من القنابل على النوادي والكنس اليهودية؛ مما جعل اليهود يندفعون في قبول القرار، وعلى هذا الأساس كان تهجير

([٢٣٥]) نفس المرجع السابق، ص ص ٢٨–٣٢، انظر أيضاً قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراقي**، مرجع سابق ذكره ص٢١٩، للمزيد أنظر: محمد جلاء إدريس، **العراق والتعايش العربي اليهودي**، مأخوذ من الموقع:-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/D3DFF17C-E828-4A27-8184 0A5D8189DF4D.htm، وحول تغلغل بعض العناصر الصهيونية والبريطانية من خارج العراق – إضافة لبعض عملاءها من اليهود العراقيين في الداخل –، وقيامه ببعض الأعمال التخريبية، مما أثار ضدهم الحكومة العراقية التي كان يرأسها توفيق السويدي: يمكن الرجوع إلى الموقع التالي :
http://www.hamseyes.com/vb/showthread.php?t=2544



اليهود العراقيين مؤامرة كبرى دبرها الصهيونيون والبريطانيون وعملاءهم المؤتمرون بأوامر بريطانيا، وتلقى بعض حكام العراق أجورا كبيرة على عملهم هذا، فكان تهجير يهود العراق إلى إسرائيل تقوية كبرى لإسرائيل؛ لأن الشباب اليهود إناثاً وذكوراً أصبحوا فوراً جنوداً بموجب قانون التجنيد الإجباري المعمول به في إسرائيل، وكان تهجير اليهود خسارة كبيرة للشعب العراقي؛ بسبب أن الجالية اليهودية كانت أكثر الجاليات التي هاجرت إلى إسرائيل ثقافة، ورغم أن ثورة ١٩٥٨م رفعت عن اليهود كل القيود، بل وألغى قانون إسقاط الجنسية إلا أنهم استمروا في الهجرة فلا يزيدون الآن عن عدة آلاف منتشرين في أنحاء متفرقة في العراق،وخاصة العاصمة بغداد، رغم أن عددهم كان قبل ذلك –قبل الحروب العربية الإسرائيلية– يصل إلى حوالي ٢.٦%[٢٣٦].

([٢٣٦]) أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص١٠٤، للمزيد حول اليزيدية أنظر: خضر دوملي، **من هم الأيزيديون في عراق اليوم**؟، مأخوذ من الموقع: http://kaniya-sipi.de/arabic/far9.php

أنظر أيضاً:

Felipe,G . **Crainbrok ,Yezidism-Its Background**, Observances and taufek .wehba **,The Yezidism are not** :Tradition Textual.pp33-70

،**Devil- Worshippers**, London, 1962.pp 12-50

٤- اليزيدية

طائفة دينية، يعتقد أنها كانت تؤمن بالديانة المانوية، التي كانت سائدة في عهد الفرس إلى جانب الزرادشتية، وكلا الديانتين تعتقدان بوجود إلهين واحد للخير، وأخر للشر، وأنه من المفروض عبادتهما لضمان السلامة، ويعتقد البعض أن اليزيدية هي واحدة من الديانات التي تطورت مع تطور البشرية حيث ترجع جذورهم إلى زمن إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فيعتقد اليزيدية أنه أول نبي آمنوا به، كما أن هناك الكثير من العبادات القديمة التي لا تزال موجودة لديهم، وهي من العبادات القديمة المتعلقة بالطبيعة وتقديس الشمس والقمر، أو بعض الأحوال الطبيعية شأنهم شأن جميع الديانات التي سبقت الزرادشتية أو اليهودية، أو المسيحية أو الإسلام، وقد ظلوا على هذه العقيدة إلى أن ظهر الشيخ "عدى بن مسافر" الذي يتصل بالجد الرابع للخليفة الأموي مروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين فأسلموا على يديه، وتبنوا التعاليم الصوفية، وبشروا بها من خلال مركزهم في جبال لالش في منطقة سنجار الواقعة على الحدود السورية العراقية، ثم ظهر بعض الدعاة الآخرين الذين أبعدوا اليزيدية عن الإسلام؛ بسبب ما أدخلوه عليهم من أفكار لا تمت للإسلام بأي صلة، مثل: إن اليزيدية هم عنصر خاص من البشر، وأن الآخرين نجسون، وقذرون، ولا يجوز مخالطتهم ومعاشرتهم، وضرورة عبادة إله الشر، وتقديم النذور، والقرابين له، وأنه قد أسقط عنهم التكاليف الشرعية؛ لأنهم أمنوا به، وأن الشيخ عدي بن مسافر سيدخلهم الجنة دون حساب، أو عقاب ورغم ذلك ما تزال عباداتهم، وطقوسهم تبرز فيها بعض المعالم الإسلامية، ويرمزون لإله الشر بالطاووس ويسمونه "طاووس ملك"، ولهم سبعة طواويس، كل واحد يرمز لإله، واحدهم يرمز ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأخر للحسن البصري، وأخر للشيخ عبد القادر الجيلاني، وآخر لمحمد بن الحنفية وهو أحد أبناء الإمام علي "كرم الله

وجهه"، كما أن يزيديي سنجار يختلفون عن غيرهم من اليزيديين من حيث المعتقدات، والعادات حيث يبدون الولاء لأئمة أهل البيت العلوي، ويقدسون أسماءهم، ولهم عدة كتب دينية، منها كتاب الجلوة، ومصحف رش . وهو الكتاب الأسود عندهم . ولهم طقوس وأغان، وعادات وشعائر خاصة بعباداتهم، وأعيادهم الدينية، ويقدمون فيها القرابين وأشهر أعيادهم عيد (جه ما)؛ الذي تقام مراسيمه في معبد لالش حصراً ويستمر ستة أيام من ستة إلى ثلاثة عشرة من شهر أكتوبر من كل عام، وهو عيد خاص بذبح الثور قرباناً للشمس التي هي مصدر الخليقة بطاقتها في نمو كل شيء، ويزورون معبد لالش من جميع مناطق تواجدهم لأحياء مراسيم هذا العيد [٢٣٧].

ويقسم مجتمعهم إلى طبقات يتمايزون فيها عن بعضهم البعض، فالطبقتين العليا والسفلى عندهم لا تتمازجان مع بعضهما البعض، ويتوارث الأمراء إماراتهم عليهم، حيث يعتبرون الأمير ممثلاً للإله عندهم، ويقيم في قرية (باعذرة)، ويعتقد شيوخهم أنهم من نسل الأمويون، وقد حلت روح الخليفة يزيد بين معاوية فيهم، ويجمع أميرهم كل السلطات الدينية، والسياسية، والاجتماعية[٢٣٨]، ومجتمعهم متأثر بالعادات الريفية والطابع العشائري الذي يسود علاقاته إلى الآن لأن معيشتهم الرئيسية؛ تعتمد على الزراعة وتربية المواشي.

---

(٢٣٧)صديق الدملوجي، **اليزيدية**، الموصل، مطبعة الاتحاد، ١٩٤١، ص ص٤-١٩، انظر أيضاً: خليل جندي، **نحو معرفة حقيقة الديانة والأيزيدية**، السويد، رابوون، ١٩٩٨، ص٢٦٥، ص ص٢٢٣-٢٤١

(٢٣٨)نفس المرجع السابق، ص ص٢٠-٥٠، للمزيد أنظر: نزار آغري، **الشيخ عدي والملك طاووس**، أوراق كردية، العدد ١، ١/٨/٢٠٠٢، أيضاً: خليل جندي: **الشيخ آدي مجدد الديانة وليس مؤسسها والأيزيدية ليست طائفة إسلامية**، مأخوذ من الموقع: http://www.khaliljindy.com/ar-m2alat6.htm ، أنظر أيضاً:: صقر شنكالي، **الشيخ آدي بن مسافر...بين سندان الحقيقة ومطرقة الكتّاب**، مجلة لالش/ دهوك، العدد١٧، كانون الثاني/٢٠٠٢

ولكل يزيدي مريد له يسمى البيرة أو الشيخ، ويكيل أمره إليهما، ويرجو منهما الشفاعة في الآخرة، ويلتزم كل يزيدي بالشريعة اليزيدية من خلال ثلاثة أمور هي: عدم مخالطة غير اليزيدي، واعتزاله بصورة مطلقة، وعدم الخروج عن الحدود المفروضة عليه، وإظهار العناية الكبيرة بالخرقة التي يكتسيها الفقير، والحرمة لها، ويطلق على هذه الأمور الثلاث بالشريعة،والطريقة،والدربجقة، وهناك طبقة المريدون من الطبقة الروحية، إضافة إلى الكواجك من طبقة العوام، وهؤلاء الأخيرون ليس لهم صفة دينية، كما أن طبقة القوالون الذين ينشدون الأناشيد الدينية، ويغنون،ويعلمون اليزيديين أصول الدين، ولا يوجد أي اختلاط لهؤلاء مع الطبقات الأخرى من ناحية النسب[٢٣٩].

ويؤمنون بالألوهية والتناسخ، وبأن الأرواح الخيرة تعود إلى الحياة، بينما الأرواح السيئة تدخل أجساد الحيوانات، وتعيش فترات طويلة حسب الفترة التي حكم عليها بها من قبل ملائكة الله، كما يؤمنون بعودة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى الأرض؛ ليملأها عدلاً، بعدما فسدت، وأنه سيرفع من شأن الطائفة اليزيدية، وأن مجد الأمويين سوف يعود، وستكون دمشق أكبر مدن الأرض[٢٤٠].

ويتركزون في العراق في عدة مناطق هي: الشيخان، والجراحية، وألمان ، وباعذرة، وعين سفني، وسنجار، وينتشر قسماً منهم في سوريا، وتركيا إضافة إلى روسيا والقوقاز، ومعظمهم من الأكراد، لكن بعضهم من أصول آشورية، أو ميدية أرية،

---

(٢٣٩)نفس المرجع السابق، ص ص٥٠-٧٠.

(٢٤٠)نفس المرجع السابق، ص ص٤٩-٧٢.

إلا أن أمراءهم ومشايخهم من أصول عربية خالصة•، حيث لا يزالون يحافظون على عنصريتهم، ودمائهم العربية، كما اعتنقت بعض القبائل والأفخاذ العربية الدين اليزيدي ومنها قبيلة شهوان، كما أن بعضهم من أصول أرامية مندمجة مع عشائر عربية، وعددهم أقل من ١% من سكان العراق[٢٤١]، ولهم صلات قوية مع المسيحيين، والمسلمين عن طريق الكرافة وهي من المراسيم الاجتماعية لهم، والتي وتتمثل بقيام الشخص اليزيدي بعملية ختان أطفاله في حضن شخص مسلم يختلط فيها الدم ويصبحون كعائلة واحدة.

وقد أفتى المسلمون بارتدادهم، وكفرهم على أساس استباحتهم لدماء آل البيت النبوي عليهم السلام، وكرههم للإمام علي "كرم الله وجهه"، وغلوهم في الأمويين، وقد تعرضوا للاضطهاد على يد العثمانيين؛ بسبب رفضهم للتجنيد الإجباري، كما رفضوا دعوة الحكومات العراقية لهم للتجنيد الإجباري، وقد وقفوا موقفاً سلبياً من الثورات العراقية ضد الإنجليز، وكانت لهم علاقات خاصة معهم، وقاموا بثورات ضد الحكومة العرقية عام ١٩٣٥، مما حذا بالحكومة العراقية إلى اضطهادهم[٢٤٢].

٥- الصائبة

ويسمون كذلك بالمانديون، أما اسم الصائبة فهو الاسم المعروف لطائفة دينية قديمة جداً ما يزال لأتباعها بقية باقية في العراق، وجنوب إيران-منطقة

• أمراء اليزيدية لهم سحنات عربية تميزهم، فالخصائص الأنثروبولوجية العربية واضحة فيهم، وهذا دحض لبعض المزاعم التي يوردها البعض من أنه لا علاقة لليزيدية بالعرب، أو بالمسلمين، عبر تاريخهم الطويل (الباحث) .

(٢٤١) نفس المرجع السابق، ص ص ١٧٤ – ١٧٦، ص ص ٣٩٨ – ١٧٧، للمزيد أنظر عزيز الحاج، مرجع سابق ذكره، ص٨٤ .

(٢٤٢) نفس المرجع السابق ص ص ٧٢٨ – ٥٠٦، أنظر أيضاً: قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٢١٧ .



عربستان المحتلة من قبل إيران منذ ١٩٢٥، حتى يومنا هذا، ولا تزال لهؤلاء قيم وطقوس وشعائر دينية وكتب مقدسة ينسبون اثنين منها – وهما الكنزابرا، وسدرة اندشمائة – إلي أبي البشر آدم عليه السلام، ويعظمون يوم الأحد كالنصاري (المسيحيين) ويقدسونه كثيراً، ويعطلون فيه عن العمل، وأعيادهم هي العيد الكبير، وهو عيد رأس السنة ويسمونه (دهفة ربه) ويعرف باسمه الفارسي أيضاً(نوروز ربه) ويسميه العامية عيد الكرصة، ومدته يومان، ويعتنون كثيراً بكتبهم الدينية ولا يسمحون لأي أشخاص آخرين بالإطلاع عليها، ويعدون العزوبة خطيئة وإنجاب الأولاد فريضة، وعددهم في العراق قرابة المائة ألف، ويدَّعون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً، ونتقرب إليه من خلال الروحانيون الذين يقولون عنهم بأنهم مطهرون، ومقدسون، ومنزهون، ومفطورون على الطهارة، وأنهم الواسطة مع الإله، وهم وسائل الشفاعة عنده ويشكون حاجاتهم إليهم، بعد أن يظهروا أنفسهم ويهذبوها، ويتبتلون بالدعوات، والصلوات، والذكوات، والصيام، والقرابين، وتبخير البخور، وتقديم العزائم، ويعتقدون أن هؤلاء الروحانيون يستمدون القوة من الله، وهم الذين يدبرون الكواكب السبعة في أفلاكها، وهم هياكلها، حيث لكل روحاني هيكل، ولكل هيكل فلك، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل؛ الذي اختص به نسبة الروح إلى الجسد، فهو ربه ومدبرة، ومديره، والهياكل هي أرباب، لذلك فهم يقدسون الكواكب[٢٤٣].

ويرون أيضاً أن فعل الروحانيات في حركتها على قدر مخصوص؛ ليحصل من حركتها انفعالات في الطباع، والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات، وامتزاجات في المركبات، فيتبعها قوى جسمانية، ويركب عليها نفوس روحانية، مثل أنواع النبات،

---

(٢٤٣) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مرجع سابق ذكره ص ص ١٠٨-٢٠١



والحيوان، وكل من المطر، والثلج، والرياح، والصواعق، والشهب، بنتيجة تلك النفوس الروحانية، كما أن تصرفات الإنسان تخضع لهم[٢٤٤].

ويرى البعض أن أصلهم من الحرانيين؛ الذين انتحلوا تسمية الصائبة بعد أن خيَّرهم الخليفة العباسي المأمون، بين الدخول في الإسلام، أو اختيار أحد الأديان الموجودة في القرآن، فرؤوا أن يتسموا بالصائبة، وهم جماعة من اليهود تبعوا دين يوحنا المعمدان – النبي يحي عليه السلام –، وتركوا شريعة النبي موسى عليه السلام، وهاجروا من الأردن، في زمن النبي عيسى عليه السلام واستقروا على ضفاف دجلة، لكنهم ينكرون ذلك حيث يؤكدون أنهم كانوا يسكنون منذ زمن قديم مناطق عديدة تمتد على رقعة جغرافية كبيرة واشتهروا بطلاء معدن المينا وصياغة الذهب والفضة، وصناعة القوارب الخشبية [٢٤٥].

ومن أساسيات الدين عندهم اغتسال العروسين المتزوجين حديثاً في المياه الجارية، وذلك تحت مختلف الظروف الجوية، وكذلك للمحتضر قبل موته، وهذه العادة قد سببت وفاة العديد منهم، كما سببت الأذى للكثيرين، لذلك فقد غيَّروا هذه العادة؛ من خلال إقامة مسابح مياه عذبة في معابدهم لأجل طقوسهم الدينية.

ويتكلمون العربية، ورغم قلة عددهم فقد كان لهم دور بارز في مجالات العلم والأدب والمعرفة منذ العصر العباسي وحتى الآن،فقد خرج منهم من كبار رجال العلم والتاريخ والأدب، العالم الشهير ثابت بن قرة وأبو اسحق إبراهيم بن هلال

---

(٢٤٤) نفس المرجع السابق ص ١٠٩–٢٠٠

(٢٤٥) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٢٢٥، ص ص ٥٧ – ٦١

الصابئ، أما لغة طقوسهم الدينية فاللغة المندائية، وهي لغة قريبة من السريانية داخلتها كلمات عربية وفارسية، وقد كتبت كتبهم الدينية باللغة المندائية ومن أهمها "كنزا ربا" (الكنز الكبير) و"ادرافشا دياحيا" (تعاليم يحيى) و"سيدرا دنيشماتا" (كتاب الأرواح) و"القاليتصا" (السعادة) و"الديونان"[٢٤٦].

٦- العلى اللهية

عقيدية دينية تمارسها عشائر "اللر، والكورانيون" من الأكراد، وهم يعتبرون من المسلمون الغلاة المتطرفون الذين خرجوا بغلوهم من دائرة الإسلام؛ بسبب مسهم لجوهر العقيدة الدينية الإسلامية؛ بإيمانهم بالحلول وتناسخ الأرواح، وألوهية الإمام علي "كرم الله وجهه"، الذي يدعونه بخالق الأرزاق، وأن روحه قد حلت بأولاده، وأحفاده من بعده، ولهم مشايخ تسمى البيرات (الهاتفون) ويطلقون على أنفسهم اسم (يام)، وعلى الغرباء (جوز)، ولهم عدة معابد أقدسها عندهم "بابايزوك"، وعددهم عدة أعشار من الآلاف في العراق[٢٤٧]، ومن عباداتهم أيضاً أنهم يؤمنون بعبادة الشمس على أنها تجسيم للخالق، وأن هناك قرآناً أخر غير الموجود، ويحرمون أكل اللحوم، وقتل الحيوانات، ويميلون إلى العزلة تجاه غيرهم من الطوائف الدينية[٢٤٨].

٧- والكاكائيون

الكاكائية نسبة إلى كلمة (كاكه) الكردية وتعني الأخ الأكبر وبهذا تكون الترجمة الحرفية لكلمة الكاكائية هي: الأخية؛ والكاكائية جماعة أو عشيرة كردية كبيرة

---

(٢٤٦) نظرة بالأرقام والأسماء إلى النسيج الاجتماعي للعراق، ٢٠٠٣/٣٠/٢٠، مأخوذ من الموقع الالكتروني:
http://www.amanjordan.org/arabic_news/wmview.php?ArtID=5841

(٢٤٧) شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص ص ٤٩٢ - ٤٩٣

(٢٤٨) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٥-٦٦ .

تسكن أغلبها في كردستان الجنوبية والشرقية، والساكنين منهم في كردستان الشرقية فيسمون بأهل الحق، وقد عرفت "الكاكائية" كملَّة في القرن العاشر والحادي عشر الهجري، لكن كانت معروفة قبل هذا التاريخ بشكل طريقة صوفية، ويقال إنها كانت تعرف بـ "الفتوة"، وقد ظهرت إلى الوجود على شكلها الحالي في القرن السابع الهجري على يد سلطان إسحاق البرزنجي، لكن ظهرت بوادرها في القرن الثاني للهجرة على يد عمرو بن لهب الملقب بـ (بهلول)، والكاكائية يصرحون بأن عقائدهم مكتومة، لا يبوحون بها ولا يجيزون كشف أسرارهم الدينية، **ولدينهم** أربعة ركائز و هي: النظافة (نظافة الجسد الروح)، الصدق (مع الخالق والمخلوق)، الفناء (الفناء في الله) والتضامن، ويعتقدون بوحدة الوجود من أن الكون هو الله، والكل يرجع إليه ويعود إلى حقيقته، ويؤمنون بالتناسخ، وهذا من عقائدهم الأصلية وهو نتيجة للحلول، فإذا لم يتم التناسخ فلا يكون الحلول أبداً، وهم لا يتلون القرآن، ويعد في نظرهم غير معتبر؛ أما اليوم الآخرعندهم فيقصدون به يوم " ظهور الله" في شخص وحلوله فيه ومعناه عندهم انتقال الروح العادية من بدن إلى آخر حتى تطهر وتكون صالحة مجردة عما ارتكبته من أعمال أو ما اقترفت من آثام[٢٤٩]، وأهم كتبهم الدينية: كلام الخزانة أو "سرانجام" المدون في القرنين السابع والثامن الهجري ويتكون من ستة أجزاء، ويعتبر في رأيهم وحياً منزلاً، ويرون فيه تعاليم كاملة، ونهجاً قويماً، ومرشداً لهم في الحياة، يستندون إليه في حل كل مسائلهم الدينية والدنيوية،وهذا الكتاب لم يُطبع قط في أي مكان، ومن كتبهم أيضاً

---

(٢٤٩)فهمي كاكه يي، **من مشاهير كاكائية كركوك**، مأخوذ من الموقع:
http://bahzani.org/Maqalat%20ordner/M75.html
انظر أيضاً: إبراهيم داود الداود، **طائفة الكاكائية العلوية الصوفية**، مأخوذ من الموقع:
http://www.mesopotamia4374.com/adad9/37.htm

"جاوَدانْ عُرفي" وهو كتاب الطريقة الصوفية الحروفية•، وكتاب "حياة" و "التوحيد" لـ سلمان أفندي الكاتبي، تُضاف إلى هذه الكتب دواوينَ شعرية، تُتلى كأدعية وابتهالات.

يعتقد أنهم من أصول كردية، كونهم يرتدون الزي الكردي، وهم طائفة دينية منشقة عن الإسلام، كونهم يؤمنون بالحلول، والتناسخ، وألوهية الإمام علي "كرم الله وجهه"، وادعائهم أن الرسول محمد (ص) قد كتب القرآن بنفسه، ويصومون خمسة أيام من كل عام، ويحترمون يومي الجمعة، والاثنين، ويحرمون الطلاق، إلا برضى الطرفين، ويقسم مجتمعهم إلى ثلاث طبقات هي(٢٥٠):

١- طبقة السادة أو المرشدون الدينيون، وهم الطبقة الحاكمة.

٢- طبقة الإمام وهم المرشدون ويسمون بابا.

٣- طبقة (أومي) وهم العامة منهم، ويسمون كذلك بالإخوان.

ويتواجد قسماً منهم في خانقين والسليمانية والموصل، لكن معظمهم يتواجد في كركوك، ويشتغلون بالزراعة، ويميلون إلى العزلة مع غيرهم، ويتسمون بالتسامح الديني مع الآخرين.

• الحروفية طريقة صوفية تدعي الولاء لآل البيت عليه السلام، لكنها تغلوا فيهمبشكل يمس جوهر العقيدة الدينية، وقد تبرأ الإمام جعفر الصادق (رض) منها، ودعا لمقاومة أفكارها ومعتنقيها (الباحث) .

(٢٥٠)شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص ٤٩٣، أنظر أيضاً، قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٣-٦٤، انظر أيضاً:

الكاكائيةُ، وحيرة المؤرخين في تقصي تاريخِها،ومعرفةِ أحوالِها الراهنة،صحيفة المرصد، مأخوذ من الموقع: http://arabic.tharwaproject.com/node/1027، أنظر أيضاً: **الكاكائية من فرق العراق**، مجلة الراصد،العدد ٥٤ / ٢٠٠٧ .

٨- الشاباك

ويتسمون كذلك بالشبك، ويعتقد أنهم من أصول الأكراد، أو الأتراك، حيث لغتهم خليط من اللغات التركية، والكردية، والفارسية، والعربية،إلا أنهم يعتبرون أنفسهم طائفة، وقومية مستقلة عن بقية الطوائف والقوميات الموجودة في العراق، رغم أنهم من أصول مختلطة من عرب، وتركمان وكرد، وهم أيضاً طائفة انشقت عن الإسلام، بسبب ألوهيتهم للإمام علي "كرم الله وجهه"، وعدم إقرارهم للتعاليم الإسلامية، أو الفرائض، وتحليلهم لبعض المحرمات عند المسلمين كالخمر، وممارستهم لبعض التعاليم المسيحية، وسيادة الخرافات، والسحر، وعادة الأخذ بالثأر عندهم، ومن أقدس كتبهم الدينية كتاب مخطوط بالتركية يسمى (بويوق) وتعني الأوامر، وهذا المخطوط يحتوي على حوار بين الشيخ صدر الدين، والشيخ صفي الدين في آداب الطريقة (القزلباشية) وهم من غلاة الشيعة الذي يسكنون أذربيجان وتركيا، ويكثر الشبك في كتابهم المقدس من الاستغاثة في أذكارهم وأورادهم بذكر، الأعداد الثلاثة والخمسة والسبعة والاثني عشر والأربعة عشر والأربعون وكل عدد يرمز إلى أمر ديني مقدس؛ فالثلاثة الله ومحمد وعلي، والخمسة هم الرسول محمد (ع) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (رض)، ويسمون أصحاب الكساء، ويرمز العدد سبعة إلى درجات ومراتب الصوفية وهي المنتسب – المريد – الدرويش – البير – البابا – القلندر – الرند –القطب.

أما الاثنا عشر فيرمز إلى الأئمة المعصومين، فيما يرمز الرقم (١٤) إلى المعصومين إضافة إلى الرسول (ع) وابنته فاطمة الزهراء (رض)، والأربعون هم الأبدال أو الواصلون، وهؤلاء لا يعرفهم الناس ولا يرونهم لأنهم رجال الله وجند الله، وعقيدتهم تستمد تفاصيلها من الطريقة (البكتاشية القزلباشية) وهي دين أسسه الحاج بكتاش ولي الخراساني الأصل النيسابوري المولد، وقد توفي سنة ٧٣٨هـ ودفن في قرية (قره

شهر)، حيث أن هذه الطريقة تؤله الإمام علي (كرم الله وجهه)، وتصل نسبتهم في العراق إلى أكثر من ١٥% من السكان، ويتوزعون على أكثر من خمسين قرية في الجانب الشرقي لمدينة الموصل، ويتسمون بتميزهم بفلكور شعبي خاص بهم[٢٥١]، ومعظمهم يتركز في الموصل ومنهم من يوالي السنة-يرون أنسهم سنيون-، ومنهم من يوالي الشيعة-يرون أنفسهم شيعيون- في عقيدتهم، ولهم كتاب أسمه المناقب ويسمونه (البريخ) وهو كتاب؛ يشرح عن الخير والشر وموالاة آل البيت، وفيه أدعيتهم وصلواتهم، وعددهم بضعة عشرات من الآلاف في العراق، أما في باب العبادات عند الشبك فهم يؤدون فريضة تسعة أيام من شهر محرم، وهم يزكون أموالهم ويقومون بتأدية فريضة الحج إلى الديار المقدسة، وعنده بعض المساجد التي يصلون فيها[٢٥٢].

والشبكي لا يرى مولوده مباركاً ما لم يبارك له البابا، ويدع له بالخير ويقرأ له (الكلبنك)، وعن مراسيم الزواج فإن البابا أيضاً هو الذي يتولى العقد ويحضر الأفراح في بيت العروس، حيث تضرب الدفوف ويرقص المجتمعون علي شكل حلقة وتسمى محلياً رقصة الجوبي أو الدبكة، ويندر أن يطلق الشبكي زوجته حتي لو ابتليت بمرض عضال لا يرجى شفاؤه، ويظل ملازما لزوجته، وقد كانت الأمية شائعة بينهم، وكان معظمهم كان لا يحسن القراءة والكتابة باستثناء بعض الشيوخ أي الداده أو البير أو المرشدين، وكانت آداب الشبك الذي هو من نوع الأدب الديني محصوراً في هؤلاء الناس فقط، كان ذلك خلال الربع الأول من القرن العشرين، ولكن بحلول منتصف القرن الماضي تم فتح المدارس الحكومية في كل قرية من قري الشبك، وأصبح المجتمع الشبكي مجتمعاً مثقفاً مواكباً للمستجدات العصرية

---

(٢٥١) نفس المرجع السابق، ص ص٤٩٣ – ٤٩٤ .

(٢٥٢) وليد دولة، **الشبك: والهوية الضائعة بين زمنين**، موسوعة صوت العراق، ٢٠٠٤/٧/١٧،أنظر أيضاً قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٤-٦٥

الحديثة وبرز بينهم مثقفون وأطباء ومهندسون وأساتذة، ولهم أعياد خاصة بهم تتسم بأنها تتشابه مع أعياد المسيحيين مثل ليلة رأس السنة، وليلة التغافر، وليلة الاعتراف[٢٥٣].

٩- البهائية

فرقة انشقت عن الإسلام، وارتَّدت عنه؛ بسبب ما لحقها من أفكار تمس جوهر العقيدة الإسلامية، وتسمى أحياناً بالبابية، وقد نشأت في القرن التاسع عشر في إيران، ثم انتشرت في عدة بلدان ومنها العراق، وترجع بتأسيسها إلى الشيخ محمد الشيرازي الذي لقب نفسه بالباب، وادعى أنه المهدي المنتظر، ثم قام بسن شرائع جديدة، مثل تحليل زواج المتعة دون أية شروط أقرها المذهب الشيعي لذلك، كما ساوى بين الرجل والمرأة في الميراث، وأقام توقيتاً جديداً فجعل أشهر السنة تسعة عشر شهراً بدلاً من اثني عشر، وجعل أيام الشهر تسعة عشر يوماً، وحرم الزكاة، والصدقة إلا على أتباع مذهبه، وألف كتاباً أسماه "البيان"، وحثَّ أتباعه على حج بيته في مدينة تبريز الإيرانية بدلاً من مكة، ثم ادعى النبوة، ولقب نفسه ببهاء الله، ثم جاء ابنه بعد موته، ولقب نفسه بعبد البهاء، وحاول نشر هذا الدين خارج إيران من خلال أتباعه، وأصدر عدة صحف باللغة الإنكليزية، وسميت صحيفتهم في الغرب "بنجمة الغرب"[٢٥٤]، ثم نقل مقر دعوته إلى عكا في إسرائيل، حيث يحج أتباعه إلى هناك بعد أن حولها من تبريز.

---

(٢٥٣) نظرة بالأرقام والأسماء إلى النسيج الاجتماعي للعراق، ٢٠/٣٠/٢٠٠٣، مرجع سابق ذكره، للمزيد انظر: ادهام عبدالعزيز الولي، **الشبك: مزيج فريد لتلاقح الحضارات والتأثير المتبادل بين الشعوب**،،صحيفة الزمان، العدد ١٥٤٠ ص ص ٤-٥ .

(٢٥٤) نفس المرجع السابق، ص٥٦ .



والبهائية دين يقوم على فكرة أساسية تدور عن وجود إله أزلي واحد هو الذي يصرف أمور الناس، وأن رحمته لا تغلق، ويجب أن تتطور الشرائع مع تطور الحضارة؛ لأن الجمود يجعلها متخلفة بنظرهم، وعلى هذا الأساس فيجب على الشريعة الإسلامية أن تتطور لتوافق روح العصر الحديث، وقلد لقي هذا الدين النقد، والتكفير من جميع المسلمين، لكنه استطاع الانتشار في بعض الدول العربية مثل: العراق، وسوريا، ولبنان، ومصر، إضافة إلى الأمريكيتين وأوربا(٢٥٥).

١١- الكولية

يلقبون بالغجر، ويرى بعض الباحثين أنهم جاءوا من أفغانستان في الألف الأول الميلادي، ومروا بالشرق الأوسط، وانقسموا إلى قسمين فرع ذهب إلى تركيا ومنها إلى أوروبا عبر مضيق البسفور، وكون الجاليات الغجرية الكثيرة في شرق أوروبا، والبعض منهم واصل طريقه نحو إيطاليا وفرنسا حتى استقر بهم المقام في إسبانيا "الأندلس"•، وبذلك فإن الغجر انتشروا في كل أوروبا، وفي القرن الماضي تعرض الغجر في أوربا إلى مجازر ومحارق راح ضحيتها مئات الآلاف منهم، وبسبب أنهم يتميزون عن غيرهم من الأقوام بميزات التخلف الحضاري والاجتماعي، لأنهم يكرهون العلم والثقافة والعمل ويحبون اللهو والطرب والعبث، مما جعلهم مكروهين في المجتمعات التي يحلون عليها وخصوصا الأوربية التي تتمتع بحضارة تنبذ هذه الصفات، لذا فقد تغاضى العالم عن الجرائم التي ارتكبتها النازية، وغيرها من الأنظمة الأوربية بحقهم، أما القسم الآخر الذي لم يذهب إلى تركيا؛ فإنه انتشر في

---

(٢٥٥) نفس المرجع السابق ص ص ٥٦ – ٥٧، أنظر أيضاً قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره ص ص ٢٢٣ .

• لهم رقص خاص في إسبانيا يسمى الفلامنكو وهم يفتخرون بها بشكل كبير، وهم أول من استخدم الثيران في المصارعة، ورغم ادعاء بعض الإسبان أنهم من بقايا العرب، إلا أن خصائصهم لا توحي بذلك على الإطلاق (الباحث).



الشام والعراق والبعض منهم عبر سيناء واستقر في مصر، ولهم أسماء بحسب المناطق التي انتشروا فيها فيسمون بالقرباط في حلب، والنور في دمشق، والغجر في مصر، وعند الأكراد القرج، ولغتهم التي يتكلمونها فيما بينهم شبيهة بالهندية ويسمونها بالرومانيّة أحياناً، لكنهم يتكلمون أيضاً لغات الدول التي يعيشون فيها ويتقنونها بشكل كبير، ويضرب بهم المثل في صفات البخل والتخلف والجهل.

ومنهم الفقراء ومنهم الأغنياء، ومنهم من يأكل الجيف، ويسكن أكثرهم في بيوت من الشعر أو الطين ويرفضون حياة الاستقرار على أساس أنهم يعشقون الحرية والتحرر من كل قيد، ويدعون أن الأرض ملكاً لهم، كما يمتهنون صناعات يدوية متدنية مثل: صناعة المناخل والغرابيل والطبول والدفوف، من شعر أذناب الخيل والدواب الميت، أما عباداتهم فإنهم يعبدون الإله سيدا، وليس لهم أماكن للعبادة، رغم ادعائهم بأنهم مسلمون أو مسيحيون أو غير ذلك، حيث يدينون بديانة ظاهرية فيكونوا مسلمون في الأوساط الإسلامية، ومسيحيون في الأوساط المسيحية،وهكذا فإن الغجر يأخذون لغة ودين الأرض التي يسكنونها.

والمعتقد الغجري القديم يؤمن بأن البشرية نبعت وتطورت من خلال ثلاثة رجال، أحدهم أسود ومنه جاءت الشعوب الأفريقية أو الزنوج بشكل عام، والآخر أبيض البشرة ومن نسله وذريته جاءت الشعوب الأوربية والجنس الأبيض بشكل عام، وثالثهم هو "كين " أي جد الغجر الأول، وتقول الأسطورة بأن كين قتل أخاه وعلى أثر هذه الجريمة غضبت الآلهة وعاقبت نسله وذريته بعدم الاستقرار في مكان معين، وأن يبقوا هائمين على وجوههم مدى الحياة، ومثل هذا الاعتقاد يفسر لنا طبيعة الغجر الجوالة على مدى التاريخ، وكذلك العاطفة الجياشة تجاه بعضهم البعض، أو ما يسمى "الأخية" أي أن مشاعر الحب والود والتعاطف بينهم في أعلى درجاتها.



وتقول إحدى الروايات حول أصولهم أن بهرام شاه الذي اعتلى عرش بلاد فارس في بداية القرن الخامس الميلادي، كان يحب راحة رعاياه وأحب هذا الشاه أن يكرس لشعبه نصف كل يوم من السنة للراحة والحفلات وقد صدم هذا الشاه عندما علم أن الفقراء يجدون ملذاتهم بشرب الخمر فقط، بينما الأغنياء يحتسون الخمر أثناء سماع الموسيقى؛ لذلك طلب من واليه في الهند أن يرسل له ١٢ ألف موسيقي للترفيه عن الفقراء، والمساكين فأرسل له ذلك ولما وصلوا أقسموا أمامه على إسعاد الفقراء في حفلاتهم، وبالمقابل أعطى الشاه لكل منهم حماراً وثوراً وكمية كافية من الحبوب حتى يواصلوا زراعة الأرض التي أعطاهم إياها الشاه، ولكنهم أكلوا ثيرانهم وحبوبهم، وعندما تذمروا من الموت جوعاً، قال لهم الشاه بقي لكم الحمير وآلاتكم الموسيقية فما عليكم بعد رفضكم الغناء للشعب إلا أن تحملوا آلاتكم على الحمير، وتخرجوا من بلاد فارس وفعلا خرجوا، والأمر المؤكد أنهم أقاموا فترة طويلة ببلاد فارس بعد أن عرفهم الناس بأنهم أصحاب مهن وموسيقيين، وبعد الفتح الإسلامي للإمبراطورية الساسانية خلال القرن السابع الميلادي تم طردهم، لأن الإسلام يحرم الكثير من أعمالهم، ويعادي أخلاقيتهم المتدنية، فاتجهوا إلى بلاد الكرد والقوقاز وعبروا الأناضول وبلاد الشام إلى مصر واليونان والقسم الأكبر ذهب إلى إسبانيا والمجر وألمانيا وباقي الدول الإفريقية العربية وبلاد أوروبا، أما عاداتهم ففي حالات الوفاة يُلبسون المتوفى أجمل ملابسه، حيث يدفنونه وهو في كامل أناقته، أما بالنسبة للمرأة المتوفاة في أكثر الحالات يدفن بجانبها جميع ممتلكاتها من جواهر وذهب وخاصة عندما لم تكن للمرأة المتوفية بنات يرثونها، وقد أصبحت بعض هذه العادات من الماضي،وهم فخورين جداً بانتمائهم الغجري، وبالرغم من معايشة الغجر للمجتمعات الجديدة التي حلوا بها، واعتناقهم ديانات " المسيحية والإسلام " ومذاهب الشعوب والبلدان التي حطوا فيها الرحال وتحدثهم بلغاتها ولهجاتها، إلا إنهم بقوا محل شك وريبة من قبل شعوب وحكومات هذه البلدان ولا سيما في



البلدان الأوربية التي وضعتهم تحت المراقبة الشديدة، ولم تخل هذه السياسة من الترحيل القسري والقتل، دون أن يترتب على القاتل للغجري أي تبعات قانونية في بعض المراحل التي مرت بها هذه الدول، كما يعزى كراهية الأوربيين المسيحيين للغجر على الاعتقاد الذي كان متداولاً في العصور الوسطى لدى الشعوب الأوربية بأن صانع الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح عليه السلام كان رجلاً غجرياً.

ويسكنون على أطراف بعض المدن، ولا يحبذون الاستحمام؛ لأن الماء عنهم شيئاً نادراً، لهذا السبب فلهم رائحة كريهة، وعددهم قليل جداً، وتشتغل نساؤهم في أحياء الأفراح والرقص والغناء وقراءة الكف، والدجل، والبغاء، ولا يبالي الغجري بما تشتغل زوجته، أو ابنته فالمهم عنده أن تحصل على الأموال كونها مصدر رزق له، وقد امتهن بعض غجر العراق مهنة تربية الخيول، وصناعة الأسنان (متجولين) وقد أصبح هؤلاء من أغنياء العراق، ففي منطقة الكمالية في بغداد توجد بيوت غنية جداً من الكاولية اغتنت من وراء الخيول (٢٥٦)، وقد نظر العرب للغجر عمومًا على أنهم جنس بشري منحط، ولاقى الغجر على الدوام معاملة سيئة من العرب؛ بسبب العادات السيئة للغجر كالسرقة مثلاً•، حيث يعملون كل ما

---

(٢٥٦) عبد الفتاح رواس قلعة جي،، **حلب القديمة والحديثة**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩، ص٣٣٣-٣٨٦،
للمزيد انظر: سامي كلاوي، **الغجر يحكمون العراق**، ٢٠٠٧/٨/٦، مأخوذ من الموقع:
http://www.sotkurdistan.net/index.php?mod=article&cat=samiklawi&article=12801

أيضا، **غجر العراق في مواجهة الموت والابادة مَنْ المسؤول؟٢٠٠٦/١/٦**، Kurdistan Regional Government، مأخوذ من الموقع:

http://www.krg.org/articles/print.asp?anr=8551&lngnr=14&rnr=84

أيضاً:جمال جمعة، **أصل الغجر**:نشر بتاريخ ٦ سبتمبر ٢٠٠٦، مأخوذ من الموقع:

http://www.elaph.com/ElaphWeb/ElaphWriter/2005/9/88606.htm

• أكثر ما يشاع عن سرقاتهم هو سرقة الأطفال، وقد وجد بالفعل أنهم يتبنون اللقطاء أو أطفال الشوارع بغية الاستفادة منهم في المهن المختلفة في المستقبل لهم (الباحث) .



باستطاعتهم لكسب المال، لهذا لم يرغب العرب بالاختلاط بهم أو الزواج منهم، ولم يشعر الغجر على طول تاريخهم بالانتماء إلى الشعب العربي نتيجة المعاملة الاستعلائية- وهذا حق للعرب أمام أناس ذوي صفات متدنية مثل الغجر[••]- ونتيجة عادة التنقل التي ميزت أسلوب حياتهم، فهم يتمايزن بشكل كبير عن الشعب العراقي في بشرتهم ولون عيونهم وقوامهم التي تشبه سكان جبال الهند وأفغانستان، إضافة إلى بروز عظام الوجنتين ممّا يدُلّ على جُذورهم الآسيويَّة، وقد بدأ هؤلاء الأقوام يصعدون إلى الشمال الغربي منذ الألف الثاني قبل الميلاد.

وحول وجودهم في العراق فمنذ خروجهم من بلاد فارس، نزلوا السهل العراقي في الألف الأول ق.م، وكانوا بدواً رحلاً يعتاشون على منتجاتهم الحيوانية وخصوصاً الحليب، وأيضاً امتهنوا مهنة الرقص والغناء الذي حملوه معهم من ديارهم؛ ليمارسوه في أفراح القرى التي ينزلون جوارها، ولهذا فإنهم لم يختلطوا بالسكان بشكل مباشر في العراق، لأن الأراضي الزراعية كانت خاضعة لأصحابها العراقيين، فلا مجال لهم لممارسة الزراعة، ولذلك بقوا على أعتاب القرى الزراعية بين الصحراء والسهل يعيشون على حيواناتهم، وينتظرون من يأتي إليهم ليقدموا له المتعة الخاصة أو الحفلة الخاصة، أو يأخذهم لإحياء حفلة لعائلته بمناسبة الأعراس، ولذلك كانوا يسمون في العراق القديم بكاولي، وكاولي باللغة العراقية القديمة تعني أصدقاء، لأنهم يقومون بدور مسالم وحميمي، وقد استمر وجود الغجر في العراق حتى دخول العراق في كنف الإسلام، الذي حارب تجارة هؤلاء الناس المرفوضة دينياً، لذا شد الكثير منهم الرحال إلى تركيا، ومنها إلى أوروبا، والقسم الآخر ذهب

[••] هناك شائعة تظهر بين العوام من أن الغجر هم من أصول عربية من قبيلة بني مرة العربية، التي اضطهدها الزير سالم انتقاماً لمقتل أخيه كليب على يد ابن رئيس تلك القبيلة وهو جساس، وهذه الشائعة ليس لها أي مصدر للصحة، لأن هؤلاء القوم مختلفين نهائياً بسحناتهم، وأنثروبوليجيتهم، و أخلاقهم، ومبادئهم، وعقائدهم الدينية، عن العرب، وخاصة في مجال صون العرض، والكرم، والنزعة الثورية، وحب القتال والحرب والغزو، وهذه الصفات لا تتوفر عند الغجر(الباحث) .



إلى مصر، واستقر فيها حتى أن الأوروبيين التقوا بهم في مصر قبل أن يستقر الغجر في أوروبا، ولهذا فأن أغلب اللغات الأوروبية تسمي الغجر "جبسي"، وهو خطأ تاريخي ولغوي؛ لأن الغجر ليسوا سكان مصر الحقيقيين، ولكن الرومان عندما وصلوا مصر قبل الميلاد اطلعوا عليهم ولهذا حصل الخلط بين مصر والغجر، ويتواجدون في وسط وجنوب العراق، وليس لهم مؤسساتٍ قضائيَّة أو هيئة اجتماعيَّة ذات سطوة يلجأون إليها في خصوماتهم[٢٥٧].

المطلب الثالث

---

(٢٥٧)علي النشمي، **الفلامانكو وأصل الغجر والكاولية**، مأخوذ من الموقع:
http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=6794

للمزيد انظر: **الفقر والخوف يحكمان حياة الغجر في العراق**: مأخوذ من الموقع:
http://www.annabaa.org/nbanews/53/155.htm

أيضاً : ٢٠٠٥/١/٦، **عراقيات يرقصن في ليل دمشق**: victor wardeh

مأخوذ من الموقع: http://www.zaidal.com/229/Syria_Homs/topic/1345-1.htm

أنظر أيضا:عدنان أحمد العباد، **الغجر... حين يرون أنفسهم سادة الأرض**، ٢٠٠٤/٥/١٤، صحيفة الوفاق: السنة التاسعة، العدد ٢٥٠٥، مأخوذ من الموقع:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%BA%D8%AC%D8%B1

أيضا: سليم أبو جبل. **فلسطين عام ١٩٣٥**، مأخوذ من الموقع:
http://www.banias.net/nuke/html/modules.php?name=News&file=article&sid=2746

أيضاً: عرفان شهيد، **الغجر في فلسطين – حضارة داثرة**، ١٤/٤/ ٢٠٠٧، مأخوذ من الموقع:
http://www.aljabha.org/q/print.asp?f=-3385698419.htm

أيضاً: عدنان أبو زيد، **العراقيون والغجر أصدقاء الليل وأعداء النهار**، ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦، مأخوذ من الموقع:
http://www.elaph.com/ElaphWeb/Reports/2006/12/198784.htm

أيضاً: محمد ناجي، **الغجر:هويَّة ثقافية**، صحيفة الوفد،٢٠٠٨/١/٨،

التمايز الحضري، والعشائري، والإقليمي في العراق

ترتبط هذه التسميات ببعضها البعض ارتباطاً شديداً؛ لأن التمايز الحضري بين الريف، والمدينة؛ هو تمايزاً أيضاً بين العشائر الحضرية، والبدوية، وبين العشائر التي تنتمي لأقاليم مختلفة، لكن سنحاول تفصيل كل واحدة من هذه الحالات قدر المستطاع توخياً لتحليلها، ووصفها بشكل أكثر وضوحاً بما يبرز أهم جوانبها ودورها في التأثير على الوحدة الوطنية في العراق التي هي أساس الدراسة.

- **العشائرية**

كل طائفة دينية، أو عرقية، أو قومية (عرقية) في العراق تنتمي لعشائر خاصة بها؛ لأن المجتمع العراقي هو مجتمع عشائري بالدرجة الأولى، لكن هذا لا يعني أن العشائر كلها ذات مذهب ديني، أو فئة عرقية معينة؛ لأنه في العشيرة الواحدة قد يكون هناك من ينتمي إلى دين أخر غير دين بقية أفراد العشيرة، أو قد تكون العشيرة موزعة إلى أديان مختلفة، وإن كانت سمة العشيرة الواحدة هي الأصل المشترك، وأنها جزء من قبيلة أكبر.

إن البنية العشائرية في ريف العراق أقوى في قوتها الاجتماعية من البنية الحضرية المدينية في المدن، كما أن التنظيمات الشعائرية في العراق هي تنظيمات تتمتع بالاستقلال الذاتي بشكل كبير، وعدم تدخل الحكومة في شؤونها، منذ زمن بعيد، وينطبق الحال على كل المجتمعات العشائرية في العراق سواءاً كانت عربية، أم كردية، أم غير ذلك، فالعشائر الكردية على سبيل المثال تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي[٢٥٨]:

(٢٥٨) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٩ – ٧٠.



١- عشائر رحل: وهي العشائر التي تنتقل من منطقة إلى أخرى بحثاً عن المراعي، كما يؤثر المناخ على هجراتها بين الصيف، والشتاء، وكثيراً ما يحصل التصادم بين هذه العشائر بسبب هذه المراعي.

٢- العشائر نصف الرحل، وهم الذين يحترفون الزراعة في الشتاء، إضافة للرعي، وفي الصيف يهاجرون إلى المناطق المرتفعة، وعلى هذا الأساس ينقسمون إلى قسمين، قسم يحمي المنطقة المستقرين بها، وقسم يخرج لمزاولة مهنة الرعي.

٣- عشائر مستقرة وهي العشائر التي تزاول الزراعة طوال العام، وتعتمد حياتهم عليها.

كما توجد تنظيمات لا عشائرية في العراق؛ حيث تتسم بدرجة كبيرة من الاستقلال الذاتي، وارتباطها بالإدارة الحكومية، ومعظمها في القرى، ويغلب على طبيعة حياتها الصراع الدائم مع العشائر الرعوية الرحالة؛ وذلك بسبب المراعي[٢٥٩].

وتتميز العشائر العراقية بعدم ولائها للدولة بالدرجة الأولى، بسبب مشكلة القرابة العشائرية، والصلات القبلية التي تتمتع بكل صفات، وتقاليد الماضي من تفاخر ونسب وثراء وسيادة مبدأ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوم"؛ لذلك كانت تعمل الحكومات العراقية عادة على استدراج الولاء من خلال رئيس العشيرة، لتجعل بذلك العشيرة تنقاد بكاملها وتدين للدولة، فالرئيس العشائري عند الأكراد على سبيل المثال يجمع كلاً السلطتين الدينية، والزمنية، والأكراد في تلك العشيرة يقدرونه، ويحترمونه كلما كان قوياً، وحكيماً، بشرط أن يكون كردياً، وينطبق الحال

(٢٥٩) نفس المرجع السابق، ص ص ٨٠-٨١ للمزيد انظر شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٦٩ - ١٧٤، ص ٣٨٣، للمزيد أيضاً أنظر: Phillips ,Price Morgan, , **A journey Through Azerbeijan and Persian Kurdistan** 1885, p.19



على العشائر العربية أيضاً [٢٦٠]، وكان السبب الأساسي في وجود هذه السلطة لدى رؤساء العشائر، هو أن العثمانيون الأتراك الذين كانوا يحكمون العراق، ومن بعدهم الإنكليز، قد أعطوهم سلطات كبرى، بحيث يحاكمون أفراد عشائرهم، وهم الذين ينوبون عنهم في التعامل مع الدولة، فقد عملت السياسة البريطانية على فرض ولاء أفراد العشائر على إطاعة شيوخها، والاعتراف برؤسائها، وعدم التعامل مع أفراد العشائر على إطاعة شيوخها، والاعتراف برؤسائها، ورفض التعامل مع أفراد العشائر بشكل مباشر، مؤكدة على دعم المشيخة، ووساطة المشايخ بدلاً من المحاكم النظامية، وتألفت المجالس التحكيمية العشائرية، ومنحوهم النظر عن الدعاوي المدنية، والجزائية، لكن بسبب كبت الحريات الديمقراطية، وتكالب الكتل السياسية على السلطة في العراق، وعدم نضج المنظمات الاجتماعية، وضعف الطبقة الوسطى صار الشيوخ يمارسون مختلف الضغوط لتوجيه المؤسسات في العراق [٢٦١].

وتقوم المجتمعات العشائرية في العراق على النعرة (اللحمة)، والعصبية، وعلى مجموعة من التقاليد، والأمجاد، وروابط القربى التاريخية الواقعية، وغير الواقعية، إذ تعتقد كل عشيرة أنها تنحدر من جد أعلى، سواء كان جداً حقيقياً أم غير ذلك، وتتفاخر هذه العشائر بالشرف، والنسب، والقوة، وقد نشأت المجتمعات العشائرية في العراق أيضاً، على أنواع متعددة من العصبيات مثل:عصبية الأقارب، أو التحالفات العشائرية، أو الجوار، أو التقاليد، وعلى هذا الأساس تتوزع العشائر

---

(٢٦٠) نفس المرجع السابق، ص ص ٨١-٨٥، أنظر أيضاً: شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص ص ٤٠٥-٤٠٦٥

(٢٦١) عبد الجليل الطاهر، **العشائر العراقية**، بغداد: مكتبة المشيخة، ١٩٧٢، ص ص ١٨-٢١ ص ٣٧ – ٤٤ للمزيد أنظر حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية**، مرجع سابق ذكره ص ص٣١-٣٢، ص ص ٣٨-٤٢، انظر أيضاً: زينب النعيمي، وثائق: **العشائر العراقية وعلاقتها بالدولة العثمانية**، صحيفة الجريدة، ١٥/٧/٢٠٠٦ .



العراقية توزيعاً يتفق مع عصبياتها، خاصة بعد أن أصبحت العشيرة بالنسبة للفرد العراقي، هي التنظيم السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي الوحيد الذي يربطه، ويحميه، ويحافظ على أمواله، وأعراضه، مما جعله يواليها، ويخلص لرؤساء العشائر، وكان لهذا أسبابه الخاصة؛ بسبب ما تعرض له العراق من مآسي على يد المغول،والتتار، والعثمانيون، وغيرهم ممن حكم العراق(٢٦٢)، كما يؤكد فيصل حمدي عجيل الياور، الناطق باسم إحدى أكبر القبائل العراقية،وهي شمر، أن العشيرة كان لها دورها السياسي الإيجابي على مدى تاريخ العراق، فزعيم قبيلة شمر ساهم في إنقاذ لواء الموصل عام ١٩٢٦ عندما حاولت تركيا ضمه إليها؛ فدافع عن عروبته في عصبة الأمم، كما شارك مع العشائر الأخرى في تشكيل مجلس السيادة في ظل حكم قاسم عام ١٩٥٨،ومن الممكن أن تواكب التطور الحضاري في العراق، كما أكد الناطق باسم قبيلة البوعامر العراقية أنه لا يمكن للزعيم العشائري أن يتخذ قراره منفرداً فعليه أن يعرض هذا الرأي، على أهل العلم والخبرة، قبل اتخاذه، وأن للعشيرة دورها في تحقيق الوحدة الوطنية في العراق؛ لأنها قد تحوي جميع أطياف المذاهب، والتيارات السياسية، والفكرية،ولها دورها للتعرف على كل من هو غريب عن العراق(٢٦٣).

كما أن تدخل الدولة في سلطة العشائر في ظل حكم قاسم قد انعكس سلبياً على الوحدة الوطنية في العراق وفي ذلك يقول: عبد الجليل الطاهر

" السلطات المنبثقة عن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ نظرت إلى العشائر على أنها مصدر ضعف في كيان الوطن وتؤدي إلى تعريض أمن الوطن وسلامته إلى الخطر وتحول

---

(٢٦٢) نفس المرجع السابق، ص ص٣٧ – ٣٨، أنظر أيضاً: علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، **ج ١**، بغداد، ١٩٦٩، ص ١٨ .

(٢٦٣) ماهر عبد الله، **دور العشائر العراقية في صناعة مستقبل العراق**، برنامج قناة الجزيرة: عراق مابعد الحرب، بتارخ ٢٠٠٣/٥/٥، أخذ من الموقع، www.aljazeera.com .



دون تحقيق المواطنة الحقيقية؛ لأنها تعمل على تجزئة الوطن إلى وحدات عشائرية غير منسجمة وتسود بينها شريعة الغاب، لذلك فقد أقدمت هذه السلطات على إلغاء قانون العشائر، وتشريع قانون الإصلاح الزراعي ومارست ضغوطا واسعة ضد شيوخ العشائر والإقطاعيين"(٢٦٤).

- **التمايز الحضري، والإقليمي**

في العراق يوجد تمايز بين الريف، والمدينة، إضافة إلى التمايز بين الريف، والبدو، كما تتمايز كل قرية، أو مدينة عن غيرها؛ بسبب المواصلات وصعوبة التضاريس، فالقرى الكردية على سبيل المثال تتسم بعدم التوافق، والتعاون فيما بينها؛ بسبب انعزال السكان الأكراد عن بعضهم البعض، وفي ذلك يقول برتون:

"إن انعزال السكان الأكراد قد جعل التعاون بين سكان القرى المختلفة أمراً متعذراً؛ مما أدى إلى أن تستقر كل أسرة كبيرة في قرية خاصة بها، وأن تعتمد على نفسها في إنتاج حاجاتها الضرورية، وأن تقف في وجه كل غريب معتبرة إياه تهديداً، لأمنها، واطمئنانها الاقتصادي"(٢٦٥).

وقد كان تمايز الخدمات –التي تقدمها الدولة– بين الحضر، والبدو قد جعل الفوارق كبيرة بينهما؛ مما زاد من التمايز بينهما، فقد كان كانت نسبة التعليم عند البدو أقل من ١%، وكانوا معرضين للتوطين الذي عملت من أجله الحكومات العراقية، وكان سبب معارضتهم هو الخوف على استقلال الوحدة القبلية، لذلك قاموا بالكثير من التمردات ضد الحكومة(٢٦٦)،وضد الفلاحين حول الأرض والماء،

---

(٢٦٤)عبد الجليل الطاهر، **العشائر والسياسة**، بغداد، ١٩٥٨، ص٦ .

(٢٦٥) Bunion, H.W. **The Kurds**, Journal of Royal, Central Asian society, No. 8, p.72, vol, xxxl, 1944.

(٢٦٦) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٢٣٠.



على اعتبار أن الفلاح ينظر إلى الأرض على أنها ملكاً له، أما البدوي فيعتبر أن الماء، والأرض مشاعاً للجميع، وتحل الخلافات بين القبائل عن طريق اللجوء إلى الحكم العرفي، دون عرض النزاع على السلطة المركزية(٢٦٧).

كما أن المستوى الحضاري لعشائر العراق يختلف من عشيرة إلى أخرى تبعاً لدرجة التوطن، وتطور الزراعة واستخدام وسائل الري، وزراعة المحاصيل، حيث تنظر القبائل البدوية الرحالة في الصحراء، والتي تبلغ نسبتها حوالي خمسة بالمائة من سكان العراق، نظرة إزدراء للقبائل المتوطنة؛ التي تشتغل بالزراعة والرعي، وتدَّعي أن هذه القبائل إنما تمثل الأرستقراطية العربية(٢٦٨).

ويشكل سكان الريف العراقي حوالي ٦٠% من سكان العراق، وترتفع هذه النسبة عند الأكراد إلى ٨٠%، حيث يمارسون الزراعة ويعيشون في قرى، وينقسمون من حيث المرتبة الاجتماعية إلى الشيوخ، والسراكيل، والفلاحين، أما الشيوخ فهم شيوخ القبائل التي تتفرع إلى عشائر، ثم إلى بطون، ثم إلى أفخاذ، وعلى رأس كل عشيرة شيخ، يدافع عن كيانها ويصرِّف شؤونها، وتخضع الشعيرة لأوامره، وتدين له بالولاء وقد أعطتهم الحكومات العراقية الكثير من الأراضي، من خلال قانون اللزمة الصادر عام ١٩٣٢، من أجل أن تضمن ولاءهم لها، من أجل إثبات مركزها ودعمها، كما كان هذه الحكومات تترك للعشائر حرية التصرف في أمورها الداخلية، ولكل عشيرة عدداً من الرجال المسلحين، الذين يقومون بحمايتها، وتنفيذ أوامر الشيخ على الفلاحين، لذلك ونتيجة قسوة الشيوخ وسوء أحوال الفلاحيين العراقيين، كانت هناك عمليات هجرة مستمرة من الريف إلى المدينة(٢٦٩).

---

(٢٦٧) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٧٢-٧٣ .

(٢٦٨) عبد الجليل الطاهر، مرجع سابق ذكره، ص٣٦ .

(٢٦٩)هاشم جواد، **مقدمة في كيان العراق الاجتماعي**، جمعية الرابطة الثقافية، ١٩٤٦، ص٢٨ . ٢٩، انظر أيضاً: قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦٩-٧٠ .



أما السراكيل فكانوا وكلاء المشايخ في القرية، ووسطائهم لدى الفلاحين ويقومون بوظائف تأجير الأرض، ومراقبة الفلاحين، وجمع الضرائب منهم، ويمثلون سلطة الشيخ عندما يغيب عن العشيرة، ويتقاضون أجورهم من الفلاحين من خلال غلة الحقول، ومن الشيخ من خلال جزء من الغلة، أو من خلال قطعة أرض يهبهم إياها، ويقوم الفلاحون بالعمل لحسابه، أما الفلاحين فقد كانوا قبل ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ محرومون من ملكية الأرض، ويشتغلون في أعمال السخرة في أراضي الشيوخ مقابل أجر زهيد، وكانوا يتسمون بانخفاض مستوى التعليم، وانتشار الفقر، وارتباطهم بأعراف العشيرة الخاضعين لها، وبتعدد أفراد العائلة على أساس أن هذه الزيادة توفر لهم مورداً أخر، من خلال عمل هؤلاء إضافة لهيبة العائلة، من خلال زيادة عدد أفرادها وتماسكها[٢٧٠].

كما ساهم الصراع الحضاري بين البدو، والريفيين، في زيادة التمايز بينهما، فقد أعتاد البدو حياة الصحراء، والانطلاق، وكرهوا الارتباط بالأرض، كما اعتادوا على التفاخر بغزواتهم، وكانوا يغيرون على المزارع؛ ليسرقوا المحاصيل الزراعية وغيرها، مما دفع الفلاح العراقي الساكن في محاذاة الصحراء إلى التوغل إلى الداخل هرباً من هذه الغزوات، وقد كان انتقال الفلاح من تخوم الصحراء إلى الداخل، قد قابله احتقار أخر من جانب أهل المدن؛ الذين ظلت العصبية العشائرية تتحكم في تصرفاتهم بشكل مباشر، رغم أن هذه النظرة بدأت تتغير بمرور الزمن[٢٧١].

كما ساهمت السياسة الإنكليزية في العراق في زيادة التمايز بين الحضر، والبدو من خلال خلق الموازنة بين قوة العشائر، مع قوة أهل المدن، لضمان استمرار النفوذ الإنكليزي في العراق، فلم يحاولوا تشجيع العملية المدنية التي كانت تسعى

---

(٢٧٠) نفس المرجع السابق، ص ص ٧١- ٧٢ .

(٢٧١) حنا بطاطو، **العراق**: **الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية**، مرجع سابق ذكره، ص ص٤٢-٤٣

لتحقيق الانحلال العشائرية، وتحقيق التفاعل بين أهل المدن، والعشائر اللاحضرية، بل عملوا على تدعيم الانشقاق القائم بتقوية العادات العشائرية والاعتراف بها رسمياً، وبقي العراق من الناحية القانونية يخضع لنظامين واحد خاص بالمدن، والأخر خاص بالريف العشائري، وبقى على هذا الحال حتى ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ حيث حاول النظام الجديد، إضعاف سلطة العشائر الريفية وتحقيق الاندماج ببين الريف، والمدن من خلال قانون دعاوى العشائر الذي ألغته ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، شكلياً، إلا أنها لم تستطع أن تقضي على البنية العشائرية في العراق [٢٧٢].

وبالنسبة لسكان المدن، فقد ظهرت تمايزاتهم عن سكان الريف، والبدو، بعد ظهور التقسيم الإداري للإنكليز عند احتلالهم العراق، وذلك بعد سقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٧،• فظهرت المحافظات العراقية، التي تتمركز في كل واحدة منها مدينة خاصة بها، وعلى هذا الأساس قسّم العراق إلى محافظات، وأقضية ونواحٍ، وقد تأثر التزايد السكاني للمدن سلباً، نتيجة عدم قدرتها على استيعاب هذه الزيادة الغير طبيعية، حيث كانت بالدرجة الأولى؛ بسبب الهجرة من الريف حتى وصلت نسبة سكان المدن إلى ٤٠% من مجموع سكان العراق، وبرغم ذلك استمروا في

([٢٧٢]) نفس المرجع السابق، ص ص٣٨ ـ ٤٢، انظر أيضاً: سيّار الجَميل، البنية العشائرية في العراق، حرر في ٢٠٠٧/١٢/٢٩، **جادة حوار عراقي: مقاربات ومباعدات بيني وبين الأستاذ الدكتور كاظم حبيب**، أخذ من الموقع: http://www.akhbaar.org/wesima_articles/democratic_studies-20071229-40428.html

• لقد قسم العراق إلى أقاليم عديدة كل منها كانت تدفع خراجاً للسلطة المركزية، وقد ظهر هذا التقسيم بشكل أوضح في ظل حكم السلاجقة للعراق حيث بدت الأقاليم وكأنها دول، انظر حول ذلك: رشيد الخيون **أقاليم العراق: لبغداد أكثر من الدعاء والخطبة، الشرق الأوسط**، العدد ١٠١٥٨، ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٦



عاداتهم، وتقاليدهم، وعصبياتهم العشائرية؛ بسبب أن الشخصية العربية، أينما كانت فهي تتسم بالعشائرية، والجهوية قبل الوطنية، والقومية[٢٧٣].

كما عمل الإنكليز على عدم تشجيع الاختلاط بين أبناء المدن، وأبناء الريف، فكان هناك مدارس لأبناء مشايخ العشائر، وأخرى لأبناء المدن[٢٧٤]، كما انتشرت التمايزات الإقليمية بين سكان العاصمة من جهة، وسكان المحافظات الأخرى من جهة أخرى، حيث نظر بعضهم إلى الأخر على أساس أنهم غرباء، بسبب ما كان من فوارق بين محافظة وأخرى، وظهرت هناك مصطلحات الأقاليم الشرقية والغربية، والجنوبية، والشمالية[٢٧٥].

لكن بسبب التطور الحضاري في المجتمع العراقي، بدأ الولاء للقرية، أو للعشيرة، أو للقبيلة بالاهتزاز، حيث حلَّ الولاء للوطن عند كثير من النخب المتعلمة المثقفة، بعد ازدياد تطور المدن، وتزايد عدد السكان فيها، وعلى هذا الأساس نشأ مايعرف بازدواجية الولاء بين القديم، والجديد، حيث انتهت سيطرة العائلة التي كانت تشرف على الفرد وتوجهه وتختار عمله، كما لم تعد متجانسة، واختلفت نظرة أعضائها إلى الحياة[٢٧٦]، كما أن تحقيق التوازن بين مصلحة الإقليم، أو

([٢٧٣]) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٧٣ أنظر أيضاً، عز الدين دياب، **التحليل السياسي لظاهرة الانقسام السياسي في الوطن العربي**، مرجع سابق ذكره، ص ٦٧ .ص٥٢ .

([٢٧٤]) حنا بطاطو، العراق، **الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية**، مرجع سابق ذكره، ص١٢٠ .

([٢٧٥]) باسيل يوسف بجك وأخرون، استراتيجية التدمير: آلية الاحتلال الأمريكي للعراق ونتائجه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص٢، أنظر أيضاً: حنا بطاطو، العراق، مرجع سابق ذكره، ص١٢٠.

([٢٧٦]) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٧٣، للمزيد انظر: جرجس كوليزادة، **الأقاليم العراقية**، حرر بتاريخ ٢٠٠٨/٠١/٠٨، وأخذ من الموقع:
http://www.iraqoftomorrow.org/wesima_articles/articles-20080108-51742.htm



المحافظة، ومصلحة الوحدات الإدارية الصغيرة من خلال تنظيم العلاقات بين المستويات الإدارية المختلفة، وتقسيم الحقوق والواجبات فيما بينها والصلاحيات ونمط العلاقة بين الأطراف المعنية ضمن إطار من التنسيق، والتكامل والتعاون بين المستويات المختلفة، وتحقيق الاستغلال الأمثل للموارد المحلية البشرية والطبيعية والمالية لصالح التنمية المتوازنة في المنطقة المعنية لكل المكونات والوحدات الإدارية للإقليم أو المحافظة، والعمل على تلبية حاجات السكان المحليين في كل وحدة إدارية، وخلق تنمية حقيقية تزيد من أهمية الإقليم أو المحافظة والمساهمة في زيادة الدخل المحلي وتحقيق مستوى معاشي مناسب للسكان موازية للمستوى العام في البلد،كل ذلك سيقلل من الفوارق الإقليمية الموجودة بين الأقاليم العراقية بكافة أنواعها، إلا أن هذه التناقضات تبقى موجودة، ومؤثرة؛ لأنها لم تنتهي بشكل كامل من المجتمع العراقي.



المطلب الرابع

التمايز الطبقي، والحزبي في العراق قبل عام ١٩٦٣

هناك ارتباط كبير بين الطبقية، والحزبية؛ لأن الأحزاب السياسية إنما وجدت من أجل مصلحة فئة من الشعب، تتزايد قوتها بتزايد الفئات التي تمثلها وبما أن معظم الفئات في المجتمع العراقي كانت من الطبقة الفقيرة، فكان حري بالأحزاب السياسية أن تدعي تمثيلها، ومن هنا ينشأ الترابط بين الطبقية، والحزبية.

- **التمايز الطبقي في العراق قبل عام ١٩٦٣**

من المعروف أن الملكية المشاعية للأرض في العهد العثماني؛ كانت موجودة في العراق، مثلها مثل سائر الدول العربية التي خضعت للحكم العثماني، كون المراعي ملكاً جماعياً لعشائر البدو في المناطق التي يسكنها الرحالة، فكانت المشاعيات الفلاحية توزع دورياً بين العوائل الكبيرة؛ لأن الأتراك اتَّبعوا سياسة نزع الأراضي المشاعية، واعتبروها أراضي أميرية تابعة للدولة، ثم جعلوها فردية عائدة إلى ممثلي أشراف العشائر من الشيوخ، وقد انقسمت الأراضي الأميرية وفقاً لذلك إلى قسمين هما [٢٧٧]:

١- الخاصيات: وهي إقطاعيات مترامية الأطراف ذات دخل سنوي يتصرف بها السلطان وأفراد أسرته، وينتفع منها مؤقتاً الوزراء، وكبار الموظفين عند توليهم لمناصبهم.

---

(٢٧٧) شفيق عبد الرازق السامرائي، مرجع سابق ذكره، ص ص٥٥-٥٦



٢- الإقطاعيات العسكرية، وتعهد إلى الفرسان• مدى الحياة، وتعفى من الضرائب كلياً مقابل التزام الفرسان (السباهيين) بتأدية الخدمة العسكرية، وتنقل الأرض من الفارس إلى أولاده من بعده.

كما ظلت الأراضي الزراعية العائدة للإقطاعيين المحليين بأيديهم على أن يدفعوا خراجاً لولاة السلطان، وهم أول من استورد آلات الزراعة؛ لزيادة إنتاج الأرض الزراعية، منذ قيام الدولة العراقية عام ١٩٢١، وهم أول من أقام المصانع الغذائية، وتحول قسماً منهم إلى برجوازيين، يعملون في المدينة على استثمار أموالهم، إضافة إلى استثمار برجوازيي المدينة لبعض أموالهم في الريف من خلال شراءهم لكثير من الأراضي الزراعية، واستثمارها، وعلى هذا الأساس تكونت البرجوازية في العراق قبل الحرب العالمية الثانية، من خلال الإنتاج الزراعي الصناعي في جلب الإنتاج[٢٧٨].

وقد أفرزت هذه العملية تشكيل ثلاث طبقات في المجتمع العراقي وهي[٢٧٩]:

١- طبقة الحكام ومعاونيهم إضافة إلى رؤساء الدين والعلماء....الخ.

٢- طبقة الأسر العريقة إضافة إلى ذوي المهن اليدوية المختلفة.

٣- طبقة العمال، والفلاحين، والخدم.

• كان يسمى العسكريون في الجيش العثماني باسم الفرسان أو السباهيين، حيث كانت خدمتهم في الجيش مدى الحياة (الباحث) .

(٢٧٨) نفس المرجع السابق ص٥٨ .

(٢٧٩) يوسف الحكيم، **سوريا والعهد العثماني**، ط٢، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٠، ص ص٨٣-٨٤، للمزيد انظر: حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية**، مرجع سابق ذكره: ص٧٧ - ٨٨



وقد برز الصراع الطبقي في العراق منذ تطبيقات قانون الطابو العثماني خلال الحكم العثماني للعراق، حيث أصبحت معظم الأراضي الزراعية في أيدي شيوخ العشائر، ووجهاء المدن على حساب الفلاحين، وفقراء البدو وقد استمرت بريطانيا بعد حكمها للعراق، في إتباع نفس النهج، فقامت بتقوية النفوذ السياسي للزعيم العشائري، وتزكية التقاليد، والأعراف التي تجعل الآخرين من الشعب الكادح من فلاحين، وفقراء المدن تابعين لسلطة الشيوخ، والآغوات الإقطاعيين والبرجوازيين، إضافة لما قام به بعض الإقطاعيين، وتسجيلها بأسمائهم، وسادت العلاقة بين الفلاح، والإقطاعي من خلال نظام المحاصصة –المزارعة- بين المالكين والفلاحين، أي أن الفلاح يشتغل في الأرض مقابل نسبة من الإنتاج(٢٨٠)، وفي ذلك يقول هاي:

" إن أقسام العشيرة المختلفة تمثل ملاك الأرض الأصليين، في حين أن الرؤساء ينتمون إلى أسر قوية، سبق لها أن اجتاحت هذه الأراضي، وسيطرت عليها بالقوة ... حيث تعود ملكية جميع الأراضي تقريباً إلى أسرة واحدة، يقابلها نفر قليل من الرؤساء، والأغوات العشائريين القدماء الذين يحتفظون ببعض النفوذ، فالرئيس العشائري هنا في الحقيقة مالك للأرض، والنظام بحد ذاته هو نظام إقطاعي، وليس نظاماً عشائرياً بمعنى الكلمة"(٢٨١).

(٢٨٠) طلعت الشيباني، **بعض مشاكل العراق الاقتصادية ومعرفة اتجاهاتها التطورية**، بغداد، ١٩٥٣، ص١٦، أنظر أيضاً:عزيز الحاج، مرجع سابق ذكره، ص ص٥٨- ٧٠ .

(٢٨١). Weliam Hay**, two years in Kurdistan**, London 1921, p.p. 65 - 64.
للمزيد أنظر، شاكر خصباك، مرجع سابق ذكره، ص٣٤٨، ص ص٣٨٢ – ٣٨٣ .أيضاً عبد الجليل الطاهر، مرجع سابق ذكره، ص ص ٦-١٦ ص ص٢٠-٢١ . ص٣٨-٤٢، أيضاً قاسم جميل قاسم: **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٥- ١١٦ .

لكن بعد خروج العثمانيون من العراق، كانوا قد أخرجوا معهم سندات ملكية الأفراد للأرض، واتلفوا قسماً منها قبل خروجهم، فقامت بريطانيا التي حلت محل العثمانيين في العراق، بتوزيع جديد للأراضي العراقية على مؤيديها من الشيوخ الذين ساندوها أثناء دخولها للعراق، أو على أولئك الذين وقفوا موقفاً سلبياً من ثورة العشرين عام ١٩٢٠، ثم قامت بالمساومة على أراضي الدولة؛ فوزعت بعضها على الأفراد من خلال تحويل الملكية الجماعية إلى ملكية فردية، بعد إصدارها لقانون سمته "قانون دعاوي العشائر" عام ١٩١٨، ثم إصدارها "لقانون اللزمة" الصادر عام ١٩٣٢، فبموجب إحصاء الحكومة العراقية حتى عام ١٩٥٩ وجد أن عدد الملكيات الزراعية تقدر بـ (١٦٨) من أصل (٣٤٦)، وثلث هذه المساحة يملكها أفراد نسبتهم ٢% فقط من مجموع المالكين، كما وجد أن عدد الأشخاص الذين لا يملكون شيئاً، بنسبة تساوي أكثر من ربع سكان الشعب العراقي[٢٨٢]، وهذا يتوافق مع قول سلام كبه:

"حسب إحصاء ١٩٥٧ كان لكل ٦ عوائل فلاحية حصان واحد أي سدس حصان لكل منها.. وكان مابين ٦٠%- ٧٠% من مجموع العوائل الفلاحية لا يملك حصانا واحدا أو بغلا أو حتى حافرا!.. كان تملك الفلاح أو عدم تملكه لحيوان حراثة قوي يمكن أن يتخذ مقياسا لتصنيفه من مرتبة فقراء الفلاحين أو أغنيائهم أو متوسطيهم إلى جانب المقاييس الأخرى.. لقد استغلت في زراعة ما قبل

---

(٢٨٢) قاسم جميل قاسم، الحزب الوطني الديمقراطي، حي العراق، مرجع سابق ذكره، ص ص ١١٦-١١٧ للمزيد أنظر عبد الجليل الطاهر، **العشائر العراقية**، بغداد مكتبة المثنى ١٩٧٢، ص٤٢، أيضاً، نوري خليل، **الملكية والتطور الزراعي في العراق**، بغداد: مطبعة العاني: ١٩٦٤، ص٥، أيضاً صالح يوسف عجينة، **ضريبة الدخل في العراق من الوجهتين الفنية والاقتصادية**، القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٦٥، ص ص٢٠-٢١، أيضاً: حنا بطاطو: **العراق: الطبقات الاجتماعية، والحركات الثورية**، مرجع سابق ذكره، ص ص٦٥-٧١، حمود الساعدي، **دراسات في عشائر العراق**، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧ .



١٩٥٨ (٢٧١٢) ساحبة و(١٠٥٦) حاصدة دارسة وآلاف الآلات الزراعية مما أسهم في تفكيك العلاقات الأبوية"[٢٨٣].

هذا الوضع الطبقي في العراق كانت له أثاراً سلبيةً على العراق، فانتشرت الأمية بشكل عال في أوساط الشعب، وخاصة الفلاحين؛ بسبب انخفاض التعليم، وساد استعمال الأساليب، والآلات البدائية في الزراعة، وزاد من الأمر سوءاً تهاون الحكومات العراقية المتعاقبة في تنشيط الزراعة، ومكافحة آفاتها، وازدياد عدد السكان في العراق، ومشكلة الهجرة من الريف إلى المدينة، بغرض الحصول على دخل أعلى، وازدياد النشاطات في المدينة، حيث انخفضت نسبة سكان الريف من حوالي ٨٠% من سكان العراق في الأربعينيات لتصبح حوالي ٥٦% من السكان في منتصف الستينات، ومعظم المهاجرين تركزوا في مناطق معينة، وقد كانت من أهم أسباب هجراتهم من الريف على المدينة هي[٢٨٤]:

١- اضطهاد شيوخ العشائر للفلاحين، وتفضيل مصلحتهم على مصلحة الفلاحين الذين يعملون عندهم.

٢- انعدام الصحة في الريف.

٣- زيادة الإعمار، والتصنيع في المدن وهذا تطلب زيادة في العاملين، مما زاد من الهجرة إلى المدن.

وقد حاول نوري السعيد تفسير مشكلة الإقطاع على أنها موروث اجتماعي،وسيحل من خلال الزمن حيث سيورث الآباء أبناءهم، والأبناء

([٢٨٣])سلام كبه، **طريق الشعب**، ٢٠٠٧/٩/٣٠ .

([٢٨٤]) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ١١٦- ١١٨، ص ص ١٢٢، ١٢٣، حول وضع الطبقة الدنيا في المجتمع العراقي، أنظر أيضاً، نفس المرجع المذكور، ص ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .



أحفادهم، وبذلك ستنتهي الملكيات الكبيرة، لكن بعض الشيوعيون عارضوا هذا الرأي، فيقول أحدهم وهو إبراهيم كبه:

" من الغريب أن يطمئن السيد نوري السعيد الرأي العام العراقي بقرب زوال النظام الاقطاعي العشائري عن طريق الإرث، وتقسيم الإقطاعيات الكبيرة على الأبناء والأحفاد، وقد تناسى فخامته أن قرونا سحيقة مضت على نظام الإرث دون أن تنال من النظام المذكور، وأن الأنظمة والتقاليد العشائرية تحتفظ بالملكيات الكبيرة للأبناء الكبار فقط، ويعلم الرأي العام أن السبيل الوحيد للقضاء على هذا النظام الظالم هو تغيير العلاقات الإقطاعية نفسها؛ بتمليك الأرض لمنتجها والقضاء على الملكيات الاستغلالية الكبرى في الزراعة وتوزيع أراضي الدولة على الفلاحين وأتباع نظام التعاونيات الزراعية... الخ، كل هذا مرتبط بالقضاء على الاستعمار وسحق الرجعية وانتصار الحركة الوطنية بمجموعها وتحقيق الأهداف الوطنية الكبرى"(٢٨٥).

لكن يرى سيار الجميل أن الإقطاع لم يوجد في كل مناطق العراق فكان في مناطق محدودة، وإن علاقة الفلاح بالمالك أو شيخ العشيرة كانت جيدة فيقول في ذلك:

" فليس هناك أية علاقات إقطاعية كالتي صبغ بها تاريخ العراق الاقتصادي ظلماً وعدواناً.. إن غالبية شيوخ العشائر كانت تمتلك سندات التفويض بالطابو لأراضي العشيرة والتي كانت تدعى بـ " الديرة "، وتعريفها: أنها مساحة من الأرض التي تأوي العشيرة التي اعتادت زراعتها أباً عن جد، وهي ارض أميرية مملوكة للدولة، ولكنها مفوضة بالطابو بأسماء شيوخ العشائر.. وكان استثمار الأرض يتم طبقاً للأعراف والتقاليد التي تلتزم العشيرة بها، وكان لكل أسرة في العشيرة لزمتها الخاصة، بما فيها أسرة الشيخ.. وكانت العشائر في جنوب العراق والأدنى من الفرات الأوسط هي

(٢٨٥)إبراهيم كبه، **الإقطاع في العراق**، بغداد، ١٩٥٧، ص ١٧.



التي تضطلع بكري الجداول والنهيرات وبناء السدود وفتح الترع.. وكلها تتم بأسلوب التعاون وبتلقائية من قبل الجميع بما فيهم طاقم الشيخ، وكلنا يعرف أن الفلاحين انقلبت على شيوخها في كل من العمارة والناصرية يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، إذ لم نجد أية ثورات وانتفاضات وانقلابات فلاحية ضد شيوخ الديوانية ولا الكوت ولا الانبار ولا ديالي ولا شهربان ولا الحويجة والعظيم ولا الموصل ولا أربيل والسليمانية"[٢٨٦].

وبعد الثورة العراقية عام ١٩٥٨، تزعزع الإقطاع بظهور قوانين الإصلاح الزراعي، وتحجيم امتيازات الطبقة الإقطاعية، ونمو طبقة رأسمالية صناعية، نافست الإقطاع في المصالح، خاصة بعد دخول الآلة قطاع الزراعة، وازدياد الهجرة من الريف إلى المدينة، مما أدى إلى تطور المجتمع العراقي، بازدياد قوة الطبقة الوسطى في المجتمع والتي كانت الأساس في الثورة العراقية عام ١٩٥٨، وزاد من نفوذها استغلال موارد جديدة في الدولة، ونمو المؤسسات المالية في العراق، مما أدى على التوسع في العمران، ونمو طبقة عاملة أصبحت تقوى وتشتد وتزداد نفوذاً[٢٨٧]، لكن أيضاً ظهرت أثار سلبية في ظل تطبيق قانون الإصلاح الزراعي،على مستوى الدخل القومي والفردي، فالعلاقات الإنتاجية للأرض الزراعية العراقية كانت أقوى بكثير قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ مما غدت عليه في ظل حكم قاسم، حيث أن الفلاح الذي كان يخاف فيعمل وينتج، أصبح حراً طليقاً لا يعمل ولا ينتج، فالإنتاج الزراعي العراقي من قمح وشعير وتمر وفواكه، كان فائضه يصدر من خلال نقله عن طريق

---

(٢٨٦)سيّار الجميل، **البنية العشائرية في العراق**، مرجع سابق ذكره .

(٢٨٧) نفس المرجع السابق، ص١٦٧، للمزيد حول الإصلاح الزراعي في العراق أنظر:

Doreen ,Warriner,. **Land Reform and Development in the Middle East: A Study Egypt, Syria, and Iraq.** London: Oxford. University Press for the Royal Institute of International. Affairs, 1962.pp.100-150.**Also Look:** Martin E ,Adams,. **"Lessons from Agrarian Reform in Iraq,"** Land Reform [Rome], No. 1, 1972,pp. 56-64.



النهر إلى البصرة ليشحن إلى خارج العراق، لكن العراق أصبح يستورد المواد الغذائية الأساسية؛ لأن الأرض لم تعد تزرع وبات الفلاح حراً لا يعمل، وقد ساهمت الدولة في هذه الكارثة؛ لأنها لم توفر أية أدوات تطوير ولا أية مكننة ولا أي تسويق ولا أي بذور ولا أي مواصلات متطورة، ولم تستطع أن تحميه لأنه غير قادر أن يحمي نفسه من رئيس عشيرته أولاً، ذلك الشيخ الذي أخذت أرضه؛ حيث ذهبت إلى الفلاح الذي كان يرتبط به؟ فكيف باستطاعته وهو المعدم في الجنوب أو الشمال، وفي القرى البعيدة أن يعتمد على نفسه في تهيئة مستلزمات الزراعة؟ من أين سيحصل على ما يؤهله للإنتاج؟ لذلك عمل النظام على محاولة حل هذه المشكلة بإعادة بعض الأراضي إلى مالكيها، وتخصيص ٥% من إنتاج الفلاح إلى المالك الأصلي الذي أخذت منه الأرض،وأطلق قاسم شعار " الفلاح أخو الإقطاعي "؛ مما أكسبه سخط الفلاحين.

وبالنسبة إلى الصناعة، فقد كانت في العراق ضعيفة، واقتصرت على بعض الصناعات الصغيرة عدا النفط، كالصابون، والمشروبات، والكبريت، وقد تمركزت في ثلاث مدن هي: بغداد، والبصرة، والموصل، حيث كان ثلثي عمال المصانع في هذه المدن؛ بسبب اتساع مراكز هذه المدن لاستيعاب المنتجات الصناعية، وسهولة المواصلات فيها، مما يسهل انتقال المواد الأولية، وتصرف الإنتاج، ووجود مؤسسات مهمة إدارية للدولة فيها، إضافة لوجود الطاقة الكهربائية فيها، مما يشجع وجود المصانع فيها(٢٨٨).

(٢٨٨) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص١٣٩-١٤٠ للمزيد أنظر، حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية**، مرجع سابق ذكره ص ص٣٣٠ ص ٣٨٧.



وكان من أسباب ضعف الصناعية في العراق هو ما كان من دور للسيطرة العثمانية على العراق في تخلفه الاقتصادي والاجتماعي، ففيما يخص الإنتاج الزراعي وتخلف نظام الري، فقد كان الشيوخ والأغوات يسرقون جهود الفلاحين لمصلحة العثمانيين، وظلت السلطات العثمانية منذ فتحها للعراق غير مهتمة بتطوير القوى المنتجة، إضافة إلى عدم اهتمامها بتطوير الصناعة، وبقى العراق لفترات طويلة جداً مستورداً للمواد الصناعية رغم كونه يصدر المواد الأولية، كما اتجه التجار المحليين إلى التجارة الخارجية بدل الاهتمام بإنشاء صناعات وطنية، واستمر هذا الحال حتى الاحتلال الإنكليزي، حيث ارتبطت الصناعة بالمصالح الاستعمارية في مجالات الحبوب، والتمور، والصوف، والجلود، وصناعات أخرى، ولقد لبت هذه الصناعات الأهداف الاستهلاكية للمحتلين، ونتج عن ذلك عدم تطور البرجوازية العراقية مثل مثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى، كمصر، وسوريا، ولبنان وغيرها(٢٨٩).

وكانت الدولة العراقية قد شجعت في فترة ما قبل ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ على نمو الصناعة، على اعتبار أنها ستساهم في تنمية الدخل القومية، وتحقق استقلال البلاد اقتصادياً، وترفع المستوى المعاشي للأفراد، كما أنها تقوم بتحقيق التوازن بين المبادلات الخارجية عن طريق تنويع الصادرات، فهي واسطة؛ لتحقيق الاكتفاء الذاتي في الدولة من خلال إحلال سلع مصنعة محلياً مكان سلع مستوردة، ووسيلة للقضاء على البطالة في ظل تزايد عدد السكان، لكن رغم ذلك لم تكن نتيجة هذا التشجيع إيجابية على الطبقة العاملة؛ بسبب ارتفاع الأرباح الكبيرة في المصانع، وارتفاع تكاليف الاستثمار، مما أدى لتزايد الفوارق الطبقية في المجتمع؛ بسبب تفاوت الدخول، ونشأت طبقة مالكة غنية، وطبقة فقيرة عاملة، ومازاد من

(٢٨٩) مصطفى محمد غريب، **الطبقة العاملة العراقية وحركتها النقابية تاريخ ونضالات وآفاق مستقبلية**، **الحوار المتمدن**، العدد: ٤٨٤، ٢٠٠٣/٥/١١ .



نسبة أرباح أرباب العمل، هو عدم وجود إجراءات قانونية منظمة لتوزيع الشركات، ولم تكن نسبة العاملين بالصناعة يتجاوز الخمسة بالمائة من السكان قبل الثورة العراقية، وحتى بعد الثورة لم تكن معالجة الحكومات العراقية مفيدة للتّقدم في الصناعة، فمثلاً حركة التأميم التي قام بها عبد الكريم قاسم، قد سجّلت المشاريع التي ساهم القطاع العام بالجزء الأكبر منها، ولم يؤمم إلا البسيط منها، كما أن معظم هذه الشركات كانت ذات طابع تجاري، لا تساهم في تكوين تراكم رأسمالي للبلد [٢٩٠].

وقد كان في حوزة أصحاب رؤوس الأموال العراقيين عدة ملكيات متشعبة في كثير من المرافق، فمثلاً كان يملك في آن واحد مضخات مياه الزراعة، وأراض زراعية يعمل فيها الفلاحين ويمتلك في ذات الوقت عقارات معينة في المدينة، إضافة إلى قيامه بأعمال تجارية في كثير من المجالات مع وجود بعض الصناعات، وبهذا قد أضعفت هذه العملية (التراكم) الذي كان بالإمكان أن يؤدي إلى قيام صناعة وطنية متطورة، ويعلل وجود بعض الصناعات الأولية بعد ذلك أنها صناعات معينة تنسجم مع متطلبات المصالح الإنكليزية، بينما بقت الصناعات الأجنبية لفترات طويلة تحتل مواقع الصدارة في العراق،أما صناعة النفط (استخراج النفط) فقد كانت لها آثاراً متميزة على عموم الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العراق، فقد جعلت الاقتصاد العراقي يرتبط بالاقتصاد الرأسمالي الأجنبي، وأصبح يتأثر بأزماته الاقتصادية الدورية والعامة[٢٩١].

---

[٢٩٠] قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص: ١٤٠-١٤٢.

[٢٩١] Langley. M. Kathleen,. **The Industrialization of Iraq.** Harvard Middle Eastern Monograph Series, V). Cambridge: Harvard University Press, 1967.pp.30-50.



وحول الصراع الطبقي في مجال الصناعة، فقد خاضت الطبقة العاملة العراقية منذ نشؤها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر صراعاً مزدوجاً طبقياً وقومياً، فقامت باضرابات قبل ثورة العشرين لاسيما في عام ١٩١٨، واعتبرت هذه الإضرابات إحدى العوامل التي ساهمت في ثورة العشرين ١٩٢٠ في العراق، لكن كانت أول تجربة يقوم بها عمال العراق لتنظيم أنفسهم في عام ١٩٢٤، حيث حاول عمال السكك الحديدية أن ينظموا أنفسهم، وكانوا يشكلون أكبر مجموعة عمالية تقدر بثمانية آلاف عامل، فقدموا طلباً إلى السكك الحديدية الحكومية؛ لمنحهم إجازة فتح نادٍ لهم، لكن السلطات الحكومية لم تمنحهم الإجازة، وقد حوكم مقدمي الطلب قانونياً ووجهت لهم عقوبات إدارية، وبين عامي ١٩٢٨ – ١٩٢٩ حدثت تبدلات في الوضع السياسي؛ فتكونت "جمعية حرفي" العراق برئاسة محمد صالح القزاز، وكذلك تكونت منظمات أخرى مثل " الاتحاد التعاوني للحلاقين "، و"اتحاد عمال الطباعة" الذي ضم عمال الصحف، والمطابع الحكومية،و"اتحاد عمال الميكانيك" و"اتحاد السواق"[٢٩٢].

وقد قادت منظمة حرفي العراق اضرابين عماليين لعمال السكك الحديدية في ١٩٣٠ – ١٩٣١، وساهم في هذين الاضرابين حوالي ألف عامل وطالب بزيادة الأجور، وأعقبه إضراب آخر شارك فيه ألف ومائتي عامل؛ وطالب بتقليص أوقات العمل وتطبيق نظام العمل بالمناوبة؛ أي يبقى العامل عاطلاً فترة زمنية ويعمل فترة أخرى، وقد بدأ هذا الإضراب في بغداد في يوليو ١٩٣١، وفرضت السلطات الحكومية ضرائب جديدة على أصحاب الورشات، وفي نفس الشهر السابق قام عمال البصرة بإضراب كبير؛ قامت على إثره مظاهرة واسعة ساهم فيها عمال السكك الحديدية، وقد حدثت صراعات دموية بين العمال والسلطات الحكومية،

([٢٩٢])مصطفى محمد غريب، مرجع سابق ذكره، ٢٠٠٣/٥/١١ .



حيث قامت السلطات بإطلاق النار على المتظاهرين مما أدى إلى قتل وجرح العديد منهم، وفي الوقت نفسه قامت مظاهرة في بغداد فاعتقل العديد من العمال، واتخذت هذه الإضرابات والمظاهرات طابعاً حزبياً سياسياً أيضاً، وقد استطاع العمال من خلال هذه المظاهرات الحصول على العديد من حقوقهم، مما حذا ببعض الأحزاب الإصلاحية الموالية للحكومة للتدخل مثل: الحزب الوطني، وحزب الإخاء الوطني؛ اللذين كانا يتفاوضان مع السلطات من جهة،ومع القادة النقابيين المعتقلين من جهة أخرى،لذلك قامت السلطات بغلق جمعية الحرفين في أواخر شهر أغسطس ١٩٣٠، وشكلت بدلاً منها "منظمة العمال العراقيين " وهي منظمة عراقية حكومية يقودها أعضاء من الحكومة، إلا أن ذلك لم يمنع العمال من العمل في اتحاد الميكانيك من استمرار نشاطاتهم لصالح العمال، فدعوا لتكوين " اتحاد عمال العراق " الذي تم تكوينه في عام ١٩٣٣ وانظم إليه حوالي عشرون ألف عامل من جميع النقابات العمالية، وكانت شعارات الاتحاد اقتصادية فقط، حيث شملت " ساعات العمل، والضمان الاجتماعي، وتشريع قانون العمل، والأجور، والبطالة... الخ، ولم تكن شعارات الإتحاد تتضمن مطالباً سياسية، وبين عامي (١٩٣٢ – ١٩٣٣)وتحت تأثير حزبي الإخاء الوطني، والحزب الوطني صدرت جريدة باسم (العمال) في الموصل، وقد أشارت إلى تكوين حزب باسم "حزب العمال"، والذي نشر برنامجه بعد موافقة السلطات الحكومية، وتضمنت بنوده حول الاستقلال التام، والعمل من أجل الوحدة العربية والقومية العربية، والدفاع عن حقوق العمال ونشر الثقافة بين العمال وغيرها من المطالب [٢٩٣].

كما كان رفع أسعار الكهرباء إلى الضعف، قد أثار الشعب ضد شركة الكهرباء الإنكليزية؛ مما أدى إلى الإعلان عن مقاطعة الكهرباء في ١١ سبتمبر ١٩٣٣ مما

(٢٩٣) Kathleen. M. Langley . op.cit.pp.35-70,



حذا بالحكومة إلى اعتقال المحرضين، وفصل قسماً من العمال، وإغلاق قسماً من المنظمات العمالية، فقامت تحركات عمالية واسعة مثل: تقديم العرائض والمذكرات في سبيل إلغاء قرارات الحكومة، وكذلك فتح المنظمات التي تم إغلاقها وتخفيض أجور الكهرباء، وقد استجابت الحكومة لبعض مطالب العمال، ثم قامت الحكومة عام ١٩٣٤ بقمع الحركة العمالية بعد المقاطعة المذكورة، وتراجعت نسبياً حركة الطبقة العاملة العراقية، لكن في الوقت نفسه شهد تاريخ العراق مرحلة جديدة من العمل السياسي حيث أعلن عن تأسيس حزباً للطبقة العاملة العراقية، وأداتها السياسية وهو الحزب الشيوعي العراقي في عام ١٩٣٤، والذي قاد الطبقة العاملة ضد الحكومة والاتفاقيات مع بريطانيا(٢٩٤).

وخلال تطور الصناعة في الأربعينات اتسعت الطبقة العاملة أكثر من السابق؛ فتصاعدت حركة الإضرابات المتنوعة التي خاضتها بعد ثورة ١٩٤١، ونتيجة هذه الإضرابات والتصميم؛ اضطرت السلطات الحكومية على إجازة (النقابات العمالية) اعتباراً من سنة ١٩٤٤؛ فقد تشكلت (١٦) نقابة واستأنف خلال هذه الفترة نشاط النقابات، ونشط الحزب الشيوعي العراقي الذي كان يقود (١٢) نقابة، وعقدت على أثر ذلك نقابة السكك أول اجتماع لها في أيلول ١٩٤٤، وتضمن برنامجها التي المطالبة؛ بزيادة الأجور وتحسين ظروف العمل؛ وقدمت هذه الطلبات إلى مجلس إدارة الشركة البريطانية من أجل تنفيذها بشكل سلمي، ولكن مجلس الإدارة رفض هذه المطالب؛ لذلك دعت النقابة إلى الإضراب ولقد لبى الطلب (١٢٥٠) عامل، ونجح العمال في تحقيق مطالبهم في زيادة الأجور، لكن بعد فترة وجيزة منعت النقابة من ممارسة نشاطها؛ فقام العمال بتنظيم إضراباً عاماً في ١٩٤٦ وآخر في ١٩٤٨، وقد سجلت ما قبل هذين التاريخين إضرابات عمالية

(٢٩٤) Ibid.pp.50-60.



في الميناء حيث قام العمال بتأسيس نقابتهم عام ١٩٤٥، وكذلك إضرابات النفط في كركوك عام ١٩٤٦؛ حيث شارك في المظاهرة العمالية حينذاك خمسة آلاف عامل وكانت هذه الإضرابات من خلال قادة الحزب الشيوعي العراقي الذين أعدم قسماً [•] منهم بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨.

وفي عام ١٩٥١ تم تأسيس (مكتب النقابات الدائم) دون أخذ موافقة من السلطة الحكومية، وركز نشاطه في المجالين الإعلامي و التنظيمي، ففي الجانب الإعلامي أصدر المكتب العديد من البيانات، وفي مجال التنظيم قام بتشكيل الحلقات النقابية واللجان النقابية السرية خلال عام ١٩٥٣، كما أصدرت الحركة السرية في ١٩٥٤ جريدتها السرية (اتحاد العمال)، وشهدت فترة الخمسينيات إضرابات عمالية عديدة ومتنوعة، ونشطت هذه الإضرابات في مجال عمال البناء في البصرة وإضرابهم المعروف، وتبعهم إضراب عمال النفط في البصرة أيضاً، ثم إضرابات عمال النسيج والسكاير والمطابع في بغداد، وشاركوا في انتفاضة ١٩٥٢، كما أضرب عمال مصلحة نقل الركاب في البصرة، واضرب في تشرين الثاني عمال اللاسلكي في الميناء، وتلتها إضرابات عمالية تضامنية عديدة، وعندما تفاقم الأمر أعلنت السلطات الحكومية الأحكام العرفية العسكرية لقمع الإضرابات والحركة الجماهيرية المتصاعدة مما أدى إلى غلق العديد من الصحف الوطنية وزج المئات في السجون والمعتقلات وتقديمهم للمحاكم العسكرية، لكن استمرت الطبقة العاملة في المساهمة لقيادة الحركة النقابية الديمقراطية وشاركت في جميع المظاهرات الحزبية والشعبية المساندة لحركة التحرر الوطني وبخاصة ضد العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦، كما شهد عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ بعض الإضرابات العمالية في قطاعات

[•] كان أهم الذين أعدموا هو زعيم الحزب الشيوعي العراقي يوسف سليمان يوسف، حيث اتهم بالعمالة لصالح الصهيونية (الباحث).



مختلفة مثل معمل نسيج الوصي، وشركة الغزل والنسيج وغيرها وحضر ممثلي عمال ونقابات العمال العراقيين للعمال العراقيين المؤتمر العمالي العالمي، في عام ١٩٥٧، فكان للعمال مساهمة جبارة في ثورة ١٩٥٨ في العراق[٢٩٥].

لكن هذا التطور قد خلق صعوبات عانتها الطبقات الدنيا من العمال؛ فكان العامل لا ينال من نصيبه سوى القوت الضروري لحياته الخاصة، بسبب استغلال أرباب العمل لجهد العمال، وهذا ما أدى لظهور جماعات منظمة تسعى لإبراز حقوق العمالة، وتطالب بتحسين ظروف العمل، والمعيشة الخاصة بهم، فقاومها أرباب العمل، على أساس أنها ضد الدولة، بسبب ما قامت به من إضرابات ضد الحكومة، مثل الإضراب الذي قام به عمال النفط في العراق عام ١٩٥٢•.

وبعد ثورة ١٩٥٨ قامت الطبقة العاملة بتأسيس نقاباتها بكل حرية، وسارعت للعمل من أجل علانية العمل النقابي الذي كان يعيش الظروف السرية، والملاحقة في العهد الملكي، ومنذ التشكيلات الأولى أخذ عشرات الآلاف من العمال ينتمون إلى نقاباتهم، وبعد أتمام عملية تأسيس النقابات في أكثرية المرافق العمالية من المعامل والورش والمهن وغيرها؛ انطلق العمال من أجل التحضير لعقد المؤتمر التأسيسي العلني وقد تحقق ذلك في تموز ١٩٥٩، وفي نقلة هامة في تاريخ الحركة

---

(٢٩٥) Ibid.pp.70-75.، للمزيد أنظر: سيار الجميل: **البنية العشائرية في العراق**، ٢٠٠٨/٠١/٠١ مأخوذ من الموقع، www.aljeeran.net

• حيث ازداد إنتاج النفط في العراق منذ ذلك الوقت بشكل كبير،ومنذ ذلك الوقت والاقتصاد العراقي يعتمد اعتماداً شديداً على النفط، فاقتصاده نفطي في المقام الأول، لكنه ليس المورد الوحيد في العراق، وهو من الدول المؤسسة لمنظمة الأوبك وقد بدأت صناعته منذ عام ١٩٢٥، وبدأ الإنتاج في حقل كركوك بعد عامين من ذلك التاريخ، وتوالي في الحقول الأخرى، وقبل التأميم اتبعت شركات الامتياز النفطي العاملة سياسة معاقبة العراق بالحد من إنتاجه والتقليل من حصته في الأسواق العالمية خاصة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وسن قانون رقم ٨٠ لعام ١٩٦١ والمعروف بقانون الاستثمار المباشر أنظر حول ذلك: قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص: ٢٣٢-٢٣٣، ص ص: ٢٥٥-٢٥٦.



النقابية العراقية الذي مثلها المؤتمر التأسيسي الذي مَثّل (٢٥٠) ألف عامل، عقدوا المؤتمر الأول في ١٩٥٩، وحضره (٣٥٠) مندوباً يمثلون أكثر من (٣٥٠) ألف عامل عراقي، وهكذا عاشت الطبقة العاملة العراقية وحركتها النقابية أوج ازدهارها من خلال تعبئة عشرات الآلاف من العمال في النقابات، ثم تم تشكيل (٥١) نقابة واتحاد فرعي في جميع أنحاء العراق، إلا أن هذه الفترة الذهبية للطبقة العاملة وحركتها النقابية الحرة لم تدم طويلاً، حيث بدأت الأجهزة والمؤسسات الحكومية الأمنية وغير الأمنية؛ تضيق الخناق على هذه الحركة وتوجهاتها وطابعها الطبقي، من خلال دعم خارجي مثل شركات النفط الاستعمارية، وبقايا من مالكي الأراضي الكبيرة، والجبهة القومية وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي العراقي، ورؤساء بعض العشائر، والأغوات، والبعض من رجال الدين الذين أصدروا البعض منهم فتاوي ضد النظام الحاكم، وزج بالمئات من نشطاء العمال النقابين في المعتقلات والسجون، وكان الحجز بأمر الحاكم العسكري بحجة التشرد؛ قد طال أساتذة ومعلمين وأطباء ومثقفين وسياسيين، إضافة لقادة نقابين معروفين، ومنذ بداية ١٩٦٠، بدأت الممانعة تشتد وتتوسع على الحركة النقابية حيث جر تزوير الانتخابات في عدة فروع وهيئات نقابية نتج عنها السيطرة على اتحاد النقابات العام، وعين على رأس كل نقابة عضو من الحكومة، لكن الطبقة العاملة بقت تتذمر من أجل تخليص النقابات من سيطرة رجال الحكومة، وتدعوا إلى الحرية النقابية ومبادئ الديمقراطية النقابية[٢٩٧].

ومن سلبيات هذه المرحلة أيضاً أن معظم الصناعات التي أممت في العراق قبل عام ١٩٦٣، كانت صناعات استهلاكية، بسبب أن القطاع الخاص، كان يتجه غالباً إلى النشاط الربحي السريع، ومن المعلوم به أن صغر المؤسسة الإنتاجية

---

(٢٩٧) مصطفى محمد غريب،مرجع سابق ذكره .

يؤدي غالباً إلى رفع سعر الوحدة المنتجة، بسبب ازدياد تكاليف إنتاجها، وهذه الصناعات لا تحقق تطور للبلد(٢٩٨)؛ فالصناعات الثقيلة لم تدخل للعراق إلا في عهد عبد الكريم قاسم، ورغم دخول بعض هذه الصناعات، إلا أن خبرة استعمالها ظلت ضعيفة؛ لخضوعها التام للإدارة العامة للدولة، وعلى ذلك فتطور الصناعة في العراق حتى عام ١٩٦٣، لم يستطع إدخالها إلى السوق الرأسمالية العالمية، وتحول الكثير من الرأسماليين العراقيين إلى وكلاء محليين للبضائع الأجنبية المصنعة، التي نافست الصناعات التقليدية اليدوية في العراق، مما زاد من البطالة؛ بسبب عدم قدرتهم على منافستها، فتوجهوا إلى مصانع البرجوازيين؛ ليعملوا فيها بالقطعة(٢٩٩).

ورغم أن الحكومة العراقية- قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨- قد ضمنت لعمال النفط تحديد ساعات العمل، وأجور أيام العطل، إضافة إلى أجور الساعات الإضافية، والحد الأدنى للأجور، إلا أنها اضطهدت تنظيمهم النقابي، مما حذا بالكثير من الأحزاب أن تقف إلى جانبهم(٣٠٠).

أيضاً في المجال التجاري، ساهمت التجارة في زيادة الفوارق الطبقية في المجتمع؛ فبسبب ضيق السوق الداخلية نتيجة انخفاض مستوى دخل الفرد في العراق، ومنافسة السلع الأجنبية للسلع الوطنية؛ نتيجة عدم الإشراف الحكومي على السوق الداخلية، مما أدى إلى احتكار فئة معينة من المستوردين للسلع

(٢٩٨) نفس المرجع السابق، ص١٤٤.

(٢٩٩) خلدون حسن النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**، ط٣، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦، ص ص: ١٠٥-١٠٦.

(٣٠٠) نفس المرجع السابق، ص ص: ٢٥٤-٢٥٥.



الاستهلاكية، وذلك بغية التحكم في أسعارها، مما أثَّر سلباً على التطور الإنتاجي الوطني[٣٠١].

وبسبب إجراءات التأميم والإصلاح الزراعي التي قام بها عبد الكريم قاسم، لم يعد المستثمر يستثمر من أجل التنمية، في أوضاع ليست في مصلحته، فقد فقدَ السيطرة على الدولة التي أصبحت وكأنها ليست دولته، ولا الحكم حكمه، واستبعد رجال الاستثمار من كل الأجهزة البيروقراطية، ولم تشرع لهم ضمانات ضد التأميم، والمصادرة، والوضع تحت الحراسة، وغيرها من الإجراءات التي تقوم بها السلطات الديكتاتورية، والشيوعية، فكان تقوية دور الدولة من خلال سيطرتها على المجتمع، والاقتصاد؛ بحجة منع السيطرة الإمبريالية على موارد الدولة حجة خاطئة وزائفة؛ لأن الدولة قد تحولت بسبب ذلك إلى شريك في السيطرة الإمبريالية على موارد الدولة، والمجتمع، ومصالح الشعب[٣٠٢].

وأما الادعاء بأن الإصلاح الزراعي، قد حدَّ من الملكيات الواسعة الزائدة عن الحد المعقول، والتي تعيق المالكين أنفسهم عن إمكانية استثمارها على الوجه الأكمل؛ بسبب اتساعها، وتباعد أمكنتها، والمشاكل المتوطنة فيما بينها، وبين المالك، والفلاح من أجلها، حيث سيؤدي هذا إلى اتجاه المالك إلى إحياء أراضيه المتبقية له مستخدماً كامل قوته، وكفاءته اللتين ظلتا موزعتين على جميع ما كان في ملكيته، ونتيجة لذلك سيؤدي هذا الإجراء إلى الحصر في المقدرة؛ وبالتالي إلى رفع نسبة الإنتاج، والتقليل من التكاليف، والمصاريف، وسيقود ذلك في النهاية إلى الفائدة وتخفَّيف الأعباء، لكن هذا الادعاء لا يمت للحقيقة بأي صلة؛ لأن الدولة

---

(٣٠١) نفس المرجع السابق، ص١٤٤.

(٣٠٢) Rony ,Gabbay,. **Communism and Agrarian Reform in Iraq**. London: Croom Helm, 1978.pp.30-180.، انظر أيضاً: خلدون حسن النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**، مرجع سابق ذكره، ص١٩٧.



لم تستطع توجيه المالكين الجدد من الفلاحين لزيادة إنتاجهم، كما لم يستطع الفلاح أن يستثمر الأرض التي أعطيت له من خلال الإصلاح الزراعي، بسبب بيروقراطية الدولة في تأمينها لمستلزمات الأرض والإنتاج، كما أدى تشتيت الأرض على أعداد كبيرة من الفلاحين إلى ظهور ما عرف بالإنتاج الصغير الغير قادر على المنافسة، والتطور، وتحقيق التنمية الاقتصادية في الزراعة، فلم تكن إجراءات التأميم، والإصلاح الزراعي في خدمة رفع الدخل العام في الدولة بقدر ما ساهمت في انخفاض الدخل القومي، وبالتالي الفردي؛ بسبب العلاقة بينهما.

- **التمايز الحزبي في العراق قبل عام ١٩٦٣**

الحزبية في العراق قديمة جداً، فلم تكن الحركات الاجتماعية الثورية التي اكتسبت الطابع الديني، أو المذهبي، في العصر العباسي سوى أحزاب سياسية تسعى للسيطرة على الحكم، واكتسبت بعد ذلك الصفة الدينية، لإيمان المريدين بأفكارها، واعتبارهم إياها مقدسة، مثل الخوارج، والبرامكة، والشيعة وغيرهم من الحركات الاجتماعية، لكن في العصر الحديث، أصبح للحزب مفهوماً عصرياً، فأصبح منظمة متخصصة في تدريب المرشحين للبرلمان، من أجل عرض مشكلات المجتمع فيه، وأصبح مؤسسة سياسية تنظم بشكل رسمي ضمن أهداف معلنة بشكل قانوني[٣٠٣].

وعليه فقد رأت الدراسة أن تطور الأحزاب في العراق قد مر بثلاث مراحل، وكل مرحلة كانت تتسم بطابع خاص، يطبع أحزابها يميِّزه عن غيره من المراحل الأخرى، لذلك فثمة أحزاب كانت ذات سمة خاصة قبل الحرب العالمية الثانية، ثم ظهرت أحزاب في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، مختلفة بطبيعتها عن سابقتها،

---

[٣٠٣] James, Jupp. **parties ,** Northumberland, Press: Great Pritch , pp.3-4
,Political



ثم ظهرت أحزاب جديدة في عهد الثورة العراقية عام ١٩٥٨، حيث اتسمت هي الأخرى بطابع خاص، بعد إلغاء القيادة السياسية للأحزاب القديمة، واستمرت تلك الأحزاب حتى سقوط نظام عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣.

وأهمية ذكر هذه المراحل الثلاث تكمن في بحث المسار الذي وصل فيه حزب البعث الذي هو موضع الدراسة إلى الحكم في العراق، حيث أن وجوده في الساحة العراقية قبل حركته عام ١٩٦٣، لم يكن منفرداً، بينما أصبح بعد عام ١٩٦٣ منفرداً، أو قائداً للمجتمع، فهنا يثار تساؤل مفاده: هل كان رفض الفرد العراقي لأيديولوجيات الأحزاب السياسية -غير البعث- هو الذي جعل البعث يصل إلى السلطة؟ وهل استفاد الفرد العراقي من التجارب الحزبية التي قد مرت بالعراق قبل حركة البعث الأولى عام ١٩٦٣؟ وهل كانت التمايزات الحزبية في المجتمع العراقي عاملاً سهَّل وصول حزب البعث إلى السلطة؛ بسبب ما سببه وجود أحزاب متعددة في العراق من عدم استقرار سياسي فيه؟.

- الأحزاب العراقية قبل الحرب العالمية الثانية

كانت معظم هذه الأحزاب امتداداً للتأثيرات الفكرية؛ التي خضع لها المثقفون الذين تلقوا علومهم في الغرب، فبضعهم كان يمثل صيغة الديمقراطية البرجوازية،، كما خضع بعضهم لتأثير الفاشية، وتأثر آخرون بالفكر الاشتراكي، سواءاً الديمقراطي كالفابية، أو الديكتاتوري كالماركسية، فلم يكن الواقع العربي هو

المطلق في المعاناة الفكرية، بل كان التأثر بالأيديولوجيات هو الأساس؛ لذلك كان الطابع النسخي المقلد هو الطابع الذي يغلب على هذه الأحزاب[٣٠٤].

وأهم الأشكال الحزبية التي وجدت في العراق خلال هذه الفترة هي:

١. أحزاب ذات طابع ليبرالي مثل الحزب العراقي عام ١٩٢٢.

٢. أحزاب ذات طابع ديني مذهبي مثل جمعية الشباب المسلمين، التي كان مركزها في سوريا، والعراق، وحركة الإخوان المسلمين التي انتشرت في بعض الدول العربية، والإسلامية، ومنها العراق، بعد أن كان مركزها مصر، وكلا هاتين الحركتين تتبعان المذهب السني[٣٠٥]، كما نشأت أحزاب شيعية أهمها حزب النهضة الذي تأسس في منطقة الفرات الأوسط، ودعا إلى تعديل الدستور الذي تشكل عقب قيام المملكة العراقية عام ١٩٢١، كما دعا إلى إتاحة المجال في مجلس إدارة الدولة والحكومة، لصالح الشيعة، كونهم يمثلون الأكثرية، وأن يكون حكم العراق شيعياً، وقد قام أعضاء هذا الحزب ببعض التمردات ضد الحكومة، لكن تم قمعها، وقد عزا بعض الشيعة؛ أن تمردات هذا الحزب، كانت بسبب إدارة الدولة العراقية التي لا تعتبر أنها تمثل المجتمع العراقي بكل فئاته[٣٠٦].

٣. الأحزاب القومية العربية التي كانت امتداداً للجمعيات السرية، والحركات القومية التي وجدت منذ أواخر العهد العثماني؛ حيث كانت تدعو إلى الوحدة العربية بشكل غامض، وقد تفاعلت أفكارها مع ثورة الشريف

---

(٣٠٤) شفيق عبد الرزاق السامرائي، مرجع ساق ذكره، ص ص ٨٣-٨٥ .

(٣٠٥) نفس المرجع السابق، ص ص٨٤-٨٩، للمزيد حول أحزاب ما قبل الحرب العالمية الثانية، أنظر قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، ص ص ٣-١٣، ص ص٢٨-٣١ .

(٣٠٦) فرهاد إبراهيم، **الطائفة والسياسة في العالم العربي: نموذج الشيعة في العراق**، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦، ص١٢٥.



حسين عام ١٩١٦، ومع قيام الدولة العربية الفيصلية في سوريا، ثم في العراق، وأهم هذه الأحزاب كان نادي المثنى (١٩٢١ . ١٩٢٧)، وعصبة العمل القومي في سوريا، والعراق.

٤. الأحزاب الإقليمية، وهي الأحزاب التي رأت وجود أمم عربية، وخصائص لكل قطر من الأقطار العربية، مثل الحزب الحر العراقي عام ١٩٢٢، وحزب التقدم (١٩٢٤ – ١٩٢٩)، وحزب الشعب وحزب العهد عام ١٩٣٠، وكانت هذه الأحزاب تطالب بالإبقاء على الوضع الراهن؛ مستغلة مصالح شيوخ العشائر، ورجال الدين في العراق، لكن رغم ذلك ظهرت بعض الأحزاب الإقليمية الأخرى التي كانت معارضة للسلطة نفسها من خلال رفضها للانتداب البريطاني، ومطالبتها ببرلمان منتخب من قبل الشعب، وتحويل الملكية إلى ملكية دستورية، وأهم هذه الأحزاب كان الحزب الوطني (١٩٢١-١٩٣٤)، وحزب الإخاء (١٩٣٠-١٩٣٣) وحزب الأمة، وحزب الاستقلال الوطني في الموصل ١٩٢٤[٣٠٧].

٥. الأحزاب الاشتراكية، وهي الأحزاب الاجتماعية التي دعت لمساعدة المحتاجين، وكانت تقوم ببعض النشاطات الثقافية والسياسية مثل جمعية البصرة الإصلاحية ١٩١٣، وجماعة الأهالي في العراق ١٩٣١،، ونادي البعث العربي؛ الذي بدأ في العراق في منتصف الأربعينيات، إلا أنه كان لظهور بعض هذه الأحزاب الاشتراكية خدمة لمصالح خارجية، وكانت تتبع مصالح تلك الدول، مثل الحزب الشيوعي في العراق الذي تأسس عام ١٩٣٠، على يد شخص اسمه (يوسف سليمان يوسف) الملقب بفهد، وقد انتشر هذا الحزب في المدن العراقية، وكان مدعوماً من قبل روسيا الشيوعية، وقد نادى هذا الحزب بإلغاء الانتداب البريطاني عن العراق، ثم طالب بإلغاء

---

(٣٠٧) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٣-١٣ .



المعاهدة العراقية عام ١٩٣٠، لكن رغم ذلك لم يكن انتشاره كبيراً في أوساط الغالبية من سكان العراق، فقد اقتصر انتشاره بين الأقليات العرقية، والدينية، وما يثبت تأثره بالسياسة الشيوعية السوفياتية؛ أنه أيد التحالف الذي قامت به روسيا مع الغرب ضد قوات المحور أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد سيطر هذا الحزب على النقابات، وتغلغل في صفوف الطلاب، والمثقفين، وطالب بضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية،، وزيادة الأجور، وضرورة تحقيق التضامن الاجتماعي[٣٠٨]، ويعتبر هذا الحزب من الأحزاب الأممية، الذي لم يكن يعمل على المستوى العراقي فحسب، بل على المستوى العالمي، بحكم ارتباطه بروسيا الشيوعية.

٦. الأحزاب القومية الكردية، حيث ظهرت هذه الأحزاب رداً على الأحزاب القومية في تركيا، أو في المنطقة العربية، ومنها العراق، ورغم أن بعضها لم يكن وجوده في العراق؛ إلا من خلال امتداده لحزب أخر موجود في تركيا التي تحتوى أكبر تجمع للأكراد في العالم، إلا أن ظهورها في العراق كان ملحوظاً بشكل أكبر، كون الأكراد في العراق متواجدين في منطقة محددة من العراق تتيح لهم الانعزال عن غيرهم من أبناء الشعب العراقي، وأهم هذه الأحزاب هي: حزب خيبون (الاستقلال)، الذي تشكل في تركيا وامتد إلى العراق عام ١٩٢٦، وطالب بضرورة جمع القوى الكردية من أجل تحقيق إقامة الدولة الكردية، وحزب (كومه لي لاوان) أي الفتوَّى، وتشكَّل في بغداد عام ١٩٣٢، وأصدر بعض المجلات مثل: مجلة "ذكريات الشباب"، وحزب هيوا الذي تشكَّل عام ١٩٣٩، وتأسس في إحدى المدن العراقية ذات الأكثرية الكردية، وهي السليمانية، وذلك من خلال عدداً من الضباط، والمثقفين الأكراد، الذين دعوا لإقامة الدولة الكردية الكبرى، أو ما

---

(٣٠٨) نفس المرجع السابق، ص ص ١٦-١٩ .

يسمى بدولة كردستان الكبرى، كما دعوا إلى ضرورة تأسيس حكومة كردية، والتقارب مع زعماء الحركة الكردية في إيران، لكن هذا الحزب انقسم إلى تيارين، يميني، ويساري، حيث انحل التيار اليميني، بينما انضم التيار اليساري إلى الحزب الشيوعي العراقي، كما ظهر حزب أخر اسمه حزب "شورس" عام ١٩٤٤، وكان حزباً شيوعياً لكنه خاص بالأكراد، وحدد أهدافه وبرامجه على أساس تحقيق الأماني القومية للأكراد، وأخيراً ظهر حزب "زركاري كورد" أي الثورة الكردية في عام ١٩٤٤، وهو أيضاً ركَّز جهوده على المطالب الكردية، وضرورة الاستفادة من كافة القوى الكردية لتحقيق ذلك، حيث جاء في بيانه: "الأمة الكردية المقسمة حسب خطط وأطماع الاستعمار، عليها أن تناضل في سبيل تقرير المصير وتحرير كردستان الكبرى"، وقد حدد هدفه المرحلي، بضرورة تحرير كردستان العراق ضمن الدولة العراقية، وهو الحزب الذي رفع مذكرة إلى مجلس الأمم المتحدة الذي عقد في لندن في نهاية الحرب العالمية الثانية، وأشار فيها إلى ما أسماه المؤامرة التي أيدها مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عام ١٩١٩، وذلك غداة الحرب العالمية الأولى، حيث رأى أن ذلك المؤتمر كان له دور مهم في تقسيم كردستان بين تركيا، والعراق، وسوريا، وإيران، وأضاف أن الأكراد يتعرضون للاضطهاد في هذه الدول[٣٠٩].

-الأحزاب العراقية بعد الحرب العالمية الثانية،وحتى ثورة ١٤ يونيو ١٩٥٨

استمرت بعض أحزاب الفترة السابقة، في هذه المرحلة، لكن ظهرت أحزاب جديدة أخرى، خاصة بعد ظهور تطورات كبيرة على الساحة السياسية العالمية، والإقليمية، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث ظهر نظام عالمي ثنائي القطبية،

---

(٣٠٩) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٢١٧ – ٢٢٥.



يسعى كل قطب على استقطاب حكومات، وأنظمة الدول الأخرى من العالم الثالث، وكان لهذين القطبين عدة أدوات، ومنها كانت الأحزاب السياسية، فكان الحزب الشيوعي يسعى جاهداً للوصول إلى السلطة في العراق ضمن استراتيجية السوفيت؛ للوصول إلى منطقة الخليج الغنية بالنفط، كما أيد هذا الحزب سياسة الاتحاد السوفيتي، وقراراته التي تمس المنطقة العربية، مثل تقسيم فلسطين، وهذا أثار الشعب العراقي ضده، وحكم على بعض أعضاءه بالإعدام مثل رئيسه **فهد** الذي أعدم عام ١٩٤٩، ثم استخدم هذا الحزب أسماء متعددة لتثبيت تغلغله في المجتمع العراقي مثل تسميته " أنصار السلام"، تلك الحركة التي ضمَّت الكثير من الطلاب، وقد شارك هذا الحزب في انتفاضة العمال في العراق عام ١٩٥٢، وعارض الوحدة السورية المصرية عام ١٩٥٨، وبما أن الكثير من أعضاء هذا الحزب كانوا من الأقليات الدينية، والقومية العراقية، لذلك عملوا على إثارة النعرات الإثنية، والطائفية، واستغلالها لصالح استقطاب الأقليات التي تدعي بأنها مضطهدة، وكل ذلك من خلال سياسة الاتحاد السوفيتي في المنطقة[٣١٠].

كما ظهرت في العراق خلال هذه الفترة، ما عرف بالحركة الناصرية، تلك الحركة التي تأثرت بمبادئ جمال عبد الناصر الاشتراكية، منذ عام ١٩٥٤ فدعت في برنامجها السياسي إلى ضرورة تحقيق الاستقلال الوطني، وتنميته ومكافحة الاستعمار بكل صوره، واعتناق سياسة عدم الانحياز في السياسة الخارجية، وتنمية الاقتصاد، والاجتماع، وكل نواحي الحياة في المجتمع، مع ضرورة تحقيق الاستقلال الاقتصادي، والسعي لتحقيق الوحدة العربية، والاشتراكية العربية، المنبثقة عن الشعب العامل،

---

(٣١٠) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص١٧-١٩.

والإيمان بالصراع الطبقي بشكل سلمي، وتحويل المجتمع المتخلف إلى متطور من خلال إقامة سلطة قوية[٣١١].

وبالمقابل ظهرت بعض الأحزاب الموالية للسلطة العراقية، المرتبطة ببعض الدول الغربية من خلال المعاهدات، وقد عملت السلطة السياسية على تأسيس هذه الأحزاب بحيث تكون مؤيدة لها من جهة، وتعارض الحكومة (ظاهرياً) في البرلمان في بعض الأشياء، وذلك بغية إظهار النظام العراقي بالمظهر الديمقراطي، وقد تميَّز أعضاء هذه الأحزاب؛ بأنهم محافظين، وإقطاعيين مثل: حزب الأمة الاشتراكي الذي أسسه رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، وحزب الاتحاد الدستوري الذي أسسه رئيس الوزراء العراقي صالح جبر، وقد تم حل هذين الحزبين عام ١٩٥٤، بناءاً على قرار نوري السعيد تجميد الأحزاب السياسية في العراق، كما حلت الأحزاب الأخرى في نفس الفترة بينما استمر آخرون مثل: البعث، والشيوعي يعملان سراً[٣١٢].

كما ظهرت خلال هذه الفترة، بعض الأحزاب الإصلاحية في البرلمان، حيث دعت لإصلاح الأوضاع الداخلية، وتحقيق الوحدة الوطنية، وإلغاء المعاهدة العراقية البريطانية، ونشر الديمقراطية، والاهتمام بالتصنيع، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتقريب الطبقات من بعضها البعض من خلال الضرائب التصاعدية على الدخول، وإصلاح الإدارة والتعليم، ومكافحة الأمراض، وكان من أهم هذه الأحزاب: حزب الوحدة، وحزب الأحرار، وحزب الاستقلال، والحزب الوطني الديمقراطي، وحزب الجبهة الشعبية المتحدة[٣١٣].

([٣١١]) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٢٠ .

([٣١٢]) فرهاد إبراهيم، مرجع سابق ذكره، ص ص ١٩٠ – ١٩١ .

([٣١٣]) قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٣-٢٨ .



إلا أن أخطر الأحزاب التي ساهمت في تصديع الوحدة الوطنية في العراق، خلال هذه الفترة، من خلال تبنيها أفكاراً قومية انفصالية؛ هو الحزب الديمقراطي الكردستاني، وبما أن هذا الحزب سيستمر معنا إلى نهاية فترة الدراسة، لذلك رأت الدراسة أن نلم بهذا الحزب بشيء من التفصيل، خاصة أن هذا الحزب كانت له ارتباطات خارجية منذ نشأته في العراق عام ١٩٤٥.

فمن المعروف أن التمردات الكردية لم تكن جديدة في المنطقة الكردية سواءاً كانت في تركيا، أم في العراق، أم في إيران،أم في سوريا، حيث كانت نواة الحركة الكردية منذ عام ١٩٠٨، من خلال تأسيس بعض الأكراد نواة لهم في القاهرة، ثم أنشاءهم صحيفة خاصة بهم، رغم أنهم منذ عام ١٨٤٣ أي في ظل الحكم العثماني، كانت لهم تمردات ضد السلطة العثمانية، وضد الإقطاعيين الأكراد الموالين لها، إلا أن جميع هذه التمردات قد باءت بالفشل.

والزعامات الكردية في العراق، هي زعامات قبلية، ودينية في نفس الوقت، فكان أول ظهور لها في العراق من خلال الشيخ محمود البرزنجي منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث حارب الشيخ محمود مع الأتراك ضد الروس، وضد الحلفاء، لكن اختلافه مع الأتراك بعد ذلك جعله يعلن ولاءه للإنكليز، فوافقوا على ذلك وجعلوه حاكماً على محافظة السليمانية، ثم عمل على إرسال رسالة إلى أحد ممثلي الأكراد، والقاطنين في باريس عام ١٩١٩، وكان هذا الممثل الكردي هو "شريف باشا"، حيث كان سينعقد مؤتمر الصلح، وسيمثل الأكراد في ذلك المؤتمر، وسيطالب بحقوقهم القومية، إلا أن هذه الرسالة لم تصل إلى شريف باشا، لكنه استطاع بعد حصوله على تفويض من أكراد تركيا ـ حضور المؤتمر ـ ثم حصل على تأكيد من ذلك المؤتمر، بحق الأكراد في تقرير مصيرهم في تركيا، والعراق إذا وافق أكراد العراق على ذلك، وقد حددت في ذلك المؤتمر منطقة كردستان من خلال



مـواد المـؤتمر (٢-٥٦-٦٣-٦٤)، وذلـك ضـمن مـا عـرف بمعاهـدة سـيفر ١٩١٩[٣١٤].

وعندما حاول الشيخ محمود البرزنجي، توسيع منطقة نفوذه في السليمانية اصطدم مع الزعماء الأكراد الآخرين، ومع القوات البريطانية، التي كانت منتدبة للعراق، مما حذا ببريطانيا إلى أسر الشيخ محمود، ونفيه إلى الهند، وعينت موظفين في السليمانية تحت إشرافها المباشر، لكن أعادته بعد ذلك بعد أن أخذت ضـمانات علـى حسـن سـلوكه عـام ١٩٢٢، حيـث شـكَّل حكومـة في السليمانية،وأصدر صحيفة "روزي كردستان"؛ التي أخذت تدَّعي أن السليمانية ليست جزءاً من العراق، وأنَّ لها كيانها الخاص، لكن انتصار القوات التركية على قوات الحلفاء عام ١٩٢٣، أجبر الحلفاء على توقيع معاهدة لوزان، وبموجبها ألغت بريطانيا أي أحقية للأكراد في إقامة الدولة الكردية في تركيا، وقضت على الحكومة الكردية في السليمانية، بعد اتفاقها مع تركيا على تعيين الحدود بينهما[٣١٥].

كما تأثر الواقع الكردي في العراق، بالواقع الكردي في إيران، في أعقاب تشكيل الحزب الوطني الكردستاني في إيران، وتشكيله لفرع له في العراق عام ١٩٤٦، حيث شكَّل هذا الحزب ما عرف بجمهورية "مهباد"، التي دعمها السوفيت أثناء احتلالهم لإيران خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، وحتى نهاية عام ١٩٤٦ ، إضافة لمساعدة رئيس جمهورية أذربيجان السوفيتية لها، إلا أن انسحاب السوفيت من إيران، قضى على هذه الدولة، وأعدم رئيسها المسمى (القاضي محمد)، وهرب مستشاره مصطفى البرزاني - هو شقيق الشيخ محمود، وتولى قيادة

(٣١٤) قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٢١١ – ٢١٤ للمزيد أنظر: أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره ص ص ١٩٣ – ٢٠٨ .

(٣١٥) نفس المرجع السابق، ص ص ٢١٤ – ٢١٥ .



التمردات الكردية من أخيه الشيخ أحمد- خارج إيران إلى روسيا ، وقاد الفرع الأخر للحزب الكردي في العراق، حيث كان الملا مصطفى البرازي في روسيا ويتابع تطورات الأحداث في العراق، وكانت أولى مؤتمرات هذا الحزب في العاصمة العراقية بغداد في أغسطس عام ١٩٤٦ [٣١٦].

وقد أصدر هذا الحزب صحيفة " رزكاري " لتكون لسان هذا الحزب، كما تعرض هذا الحزب منذ وجوده في العراق للمطاردة، والملاحقة من قبل السلطات العراقية، ونقلت الحكومة العراقية قسماً من الأكراد إلى الجنوب العراقي، وهرب الكثير منهم إلى خارج العراق؛ بسبب ما كان لهذا الحزب من أهداف انفصالية، من خلال مبادئه، ومطالبته باستقلال الأكراد، حيث رأى هذا الحزب أن إقامة كردستان الكبرى يبدأ من العراق، كما أن الكثير من أعضاء هذا الحزب قد قاموا بعمليات عنيفة ضد المراكز الحكومية في شمال العراق، وأعلنوا العصيان المسلح ضدها.

وكون مصطفى البرازي موالياً للسوفيت، لذلك فقد رفض هذا الحزب معاهدات الحكومة العراقية مع الغرب، مثل معاهدة "بورتسموث" عام ١٩٤٧، ونظم المظاهرات ضدها، مما حذا بالحكومة إلى القيام بحملات عسكرية ضد هذا الحزب، وأعضائه، وتمكنت من اعتقال بعض قياداته، حيث صرَّح أحدهم لمراسل الصنداي تلغراف: " لقد اتهمنا بأننا شيوعيين، وذلك غير صحيح، ليس لنا أية أهداف شيوعية، إننا نريد فقط الاستقلال، إنهاء الاضطهاد للغتنا، وثقافتنا واقتصادنا" [٣١٧].

---

[٣١٦] أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢١٢ – ٢٥٠ .

[٣١٧] قاسم جميل قاسم، **التكامل القومي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص٢٣٠ .



وقد دعا هذا الحزب في مؤتمره الثالث عام ١٩٥٣، إلى ضرورة الإصلاح الزراعي، والتأميم، والعدالة الاجتماعية، والوقوف إلى جانب المعسكر الشيوعي، وإسقاط الملكية في العراق، وإحلال الديمقراطية، وإلغاء المعاهدة البريطانية العراقية التي تشكلت عقب استقلال العراق من الانتداب البريطاني عام ١٩٣٠، كما دعا إلى حكم ذاتي للأكراد ضمن الجمهورية العراقية، والتعليم الإجباري المجاني، ويلاحظ أن هذه الأهداف تتطابق مع الأهداف التي يدعو لها الحزب الشيوعي في العراق، مع زيادة الحقوق القومية للأكراد، والحكم الذاتي لهم، وهذا ما يؤكد ارتباط هذا الحزب جذرياً بالاتحاد السوفيتي، وسياسته في المنطقة العربية في إطار حربه الباردة مع المعسكر الغربي؛ الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما يفسِّر وقوفه إلى جانب الشعب المصري في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، حيث تلاقت بعض قيادات هذا الحزب مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر، لشرح القضية الكردية له، والاتفاق على تنسيق العلاقات بين الحركتين الكردية والعراقية عام ١٩٥٧، كما التقى أحد قادة هذا الحزب وهو "**جلال طلباني**" مع أحد القادة اليساريين في سوريا وهو "**أكرم الحوراني**" من أجل هذه الغاية[٣١٨].

لكن رغم ذلك ظلت النزعة الانفصالية في أيديولوجية، وبرنامج عمل هذا الحزب، بالرغم من أن العرب، والأكراد قد تعايشا مع بعضهما البعض منذ أقدم العصور، حتى أنه كان كل زعيم كردي تقريباً يفخر بأنه ينحدر من أصل عربي، ويحاول إرجاع نسبة إلى الرسول محمد (ص)، أو إلى أحد أصحابه[٣١٩]، كما أن العراق هو أول من اهتم بالأكراد، وأدخلهم في جميع وظائف الدولة، حتى أن الكثير من أكراد تركيا هجروا أراضيهم وسكنوا العراق[٣٢٠]، فلم يدرك قادة هذا الحزب أن الأكراد

---

(٣١٨) نفس المرجع السابق، ص٢٢٥ .

(٣١٩) عزيز الحاج، مرجع سابق ذكره، ص ٤٣، ص١٠٨ .

(٣٢٠) نفس المرجع السابق، ص٤٣ – ١٠٨ .

ليسوا سوى ساحة للعمل، وميدان للصراع، وأنهم ليسوا موضوع الصراع، في ظل وجودهم في مجال حيوي تعمل فيه جميع القوى الإقليمية، والدولية الكبرى، كما أن تضحيات الأكراد، وثوراتهم هي نيابة عن تلك القوى(٣٢١)، فالعروبة في ضميرها تؤمن بالتسامح، والتعايش السلمي مع القوميات الأخرى(٣٢٢)، وهذا ما يفسَّر وصول الكثير من الأكراد إلى صفوف قيادية في الدول العربية المتواجدين منها، فقد لعب الأكراد أدوارا مهمة في تاريخ العراق، الدول العربية عموماً، وخرج منهم صلاح الدين الأيوبي، والمؤرخ والمترجم الشهير ابن خلكان صاحب "وفيات الأعيان" كما ينسب إلى الأكراد في تركيا وسورية وإيران ومصر والعراق شخصيات كبار تبوأوا مواقع قيادية وبلغوا في مجالات الثقافة والفكر والفن شأناً عالياً في مقدمهم أمير الشعراء أحمد شوقي، وقاسم أمين "محرر المرآة" في مصر، والمجاهد الاستقلالي السوري إبراهيم هنانو والمؤرخ والعلامة محمد كرد علي وعدد من أهل السياسة والحكم والجيش في سورية ولبنان مثل الرئيسين السوريين فوزي سلو وأديب الشيشكلي، وزعيم الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان كمال جنبلاط.

وفي العراق بالذات وصل عدد منهم إلى مناصب رفيعة في الدولة منها رئاسة الحكومة، ومن هؤلاء - ولا سيما من تعرّبت أسرته من قبل - جعفر العسكري وجميل المدفعي ونور الدين محمود وأحمد مختار بابان في العهد الملكي. كذلك شغل الوزارات والمواقع القيادية المدنية والعسكرية عدد من كبار الشخصيات الكردية منهم جلال وجمال بابان، ومحمد أمين زكي، وبكر صدقي قائد انقلاب ١٩٣٦، وعدد من آل النقشبندي، وغيرهم كثيرون. وفي مجالات الأدب والعلم والفن اشتهرت

---

(٣٢١) سعد البزاز، مرجع سابق ذكره، ص٢٦.

(٣٢٢) باسيل يوسف بجك وآخرون، **استراتيجية التدمير: آلية الاحتلال الأمريكي للعراق ونتائجه**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص٥٩، للمزيد، حول الحقوق التي أعطيت للأكراد في العراق، أنظر قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .



شخصيات كردية عديدة لعل من أشهرها الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي، وكذلك الشاعر الكبير بلند الحيدري، ولقد خصص منصب نائب الرئيس لهم في العهد الجمهوري .

ورغم ذلك ظلت تطلعات هذا الحزب انفصالية وأكبر الأدلة على ذلك، ما في برنامج هذا الحرب من بنود تثير القوميات العراقية الأخرى، وتساهم في تشكيل الفواصل بينهم، فتقول المادة الثامنة من هذا الحزب: " إن حزبنا حزب ديمقراطي طليعي يمثل مصالح العمال، والفلاحين، والحزبيين، والمثقفين الأكراد في العراق"[٣٢٣]، كما تقول الفقرة (هـ) من المادة الحادية عشر:"تخصيص كرسي في جامعة بغداد؛ لتدريس اللغة، والتاريخ الكردي، والسعي لتعميم اللغة الكردية في سائر أجزاء العراق، وإنشاء مجمع لغوى كردي، وزيادة الجهد باللغة الكردية في دور الإذاعة "[٣٢٤]، وتقول المادة الحادية والعشرين: " السعي لمساندة إخواننا الأكراد أينما كانوا في نضالهم من أجل استكمال حرياتهم وحقوقهم القومية...." [٣٢٥]، وتقول المادة الخامسة: "السعي من أجل تعزيز علاقات الأخوة بين جميع القوميات المتآخية التي يتكون منها الشعب العراقي، كالعرب، والتركمان، والأشوريين، والأرمن، وسائر الأقليات الأخرى في العراق"[٣٢٦]، فهذا التقارب الذي يدعو إليه هذا الحزب ليس سوى تقارب بين الأكراد، والغرباء، فلا يوجد أي تمايز بينهما حسب رأي هذا الحزب، وهذا خلاف للواقع الذي يؤكد العلاقات المتميزة بين

([٣٢٣]) محمد طالب هلال، **دراسة عن محافظة الجزيرة، من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية (وثيقة)**، (بيروت: دار كاد النشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص٩٦ .

([٣٢٤]) نفس المرجع السابق، ص٩٩ .

([٣٢٥]) نفس المرجع السابق، ص١٠٢ .

([٣٢٦]) نفس المرجع السابق، ص١٠٦ .



الأكراد، والعرب، وعلى هذا الأساس فهذا الحزب في مبادئه يتناقض مع مبادئ الوحدة الوطنية في العراق، ومع مصالح الأكراد، والعرب على حد سواء.

- الأحزاب العراقية من ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وحتى حركة البعث ١٩٦٣

حيث تشمل هذه الفترة فترة حكم عبد الكريم قاسم للعراق، كحكم فردي أوتوقراطي؛ بسبب ما جمعه من سلطات تشريعية، وتنفيذية، بحسب الدستور الذي وضعه هو نفسه، بالرغم من أن هذه الثورة لم يقم بها الجيش وحده، حيث كان قاسم هو أحد القيادات التي نفَّذت الثورة، وليس هو وحده القائد العسكري الذي أطاح بالنظام، بل هناك قادة آخرون شاركوه في ذلك، وأبرزهم عبد السلام عارف، وناظم الطبقجلي، وعبد الوهاب الشواف، ورفعت الحاج سري،ونجيب الربيعي، وقد اضطهدهم قاسم بعد ذلك وأعدم بعضهم، كما أن الإطاحة بالنظام الملكي، اشترك فيها ما عرف بالجبهة الوطنية، التي تشكلت عام ١٩٥٧م، من مجموعة من الأحزاب العراقية اليسارية، والقومية العراقية، وخاصة حزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب الشيوعي العراقي، لكن بعد ذلك قام عبد الكريم قاسم؛ بإلغاء جميع هذه الأحزاب، مع إجازة أربعة أحزاب هي[٣٢٧].

١- الحزب الشيوعي، الذي شكَّله عبد الكريم قاسم بعد أن حلَّ الحزب الشيوعي القديم.

٢- الحزب الوطني الديمقراطي في العراق، الذي تميَّز منذ ما قبل الثورة، بنزعاته الاشتراكية.

٣- الحزب الوطني الكردستاني الذي ذكرناه سابقاً.

---

(٣٢٧) نفس المرجع السابق، ص٢٤٥ .



٤- الحزب الإسلامي، الذي أراد قاسم من خلاله، إثبات أن حكمه ليس شيوعياً، ورغبة منه في استغلال الأيديولوجيا الدينية التي تتسم بتأثيرها الشديد على الشعب العراقي.

وقد سمح قاسم للحزب الوطني الكردستاني، بإصدار الصحف، وتعليم اللغة الكردية في مدارس الأكراد، وخصص لهم برامج بالإذاعة العراقية بلغتهم، وعفى عن الملا مصطفى البرزاني، ومؤديه، بعد ثلاثة عشر سنة قضوها خارج البلاد في روسيا، واستقبلهم على أساس أنهم كانوا يكافحون ضد الملكية الديكتاتورية، وبالرغم من ذلك عاد هذا الحزب إلى نشاطاته السرية، ودعواته الانفصالية، حتى أن أحد قادة الحزب صرَّح للرئيس المصري جمال عبد الناصر خلال فترة الوحدة بين سوريا، ومصر بأنه آن الأوان لخلق دولة كردية، وأنَّ للأكراد ديناً على العرب، وأن هذا الدين يجب أن يوفه عبد الناصر، وهو بذلك يقصد هزيمة الصليبيين على يد القائد التاريخي صلاح الدين الأيوبي –كردي- وإخراجهم من الديار العربية، وبالفعل فقد ساهم عبد الناصر بدعمهم في طار خلافه مع نظام عبد الكريم قاسم، فسلحهم، وأنشأ لهم برامج تبث من صوت العرب(٣٢٨)، وأخذت صحيفة الحزب المسماة (خه بات) ترفع شعار: " يا جماهير شعبياً: ناضلي من أجل اتحاد وطني للعمل على تمتع الشعب الكردي، بحقوقه القومية، بما في ذلك الحكم الذاتي لكردستان العراق "(٣٢٩).

وقد تأثرت بعض الفئات العراقية سلباً بسياسة عبد الكريم قاسم مع الأكراد، إضافة لمساندة نظام الجمهورية العربية المتحدة للقوميين العرب، الذين كانوا على علاقة بذلك النظام فقاموا بثورة الموصل عام ١٩٥٩ ضد نظام قاسم، وقد دعمت

(٣٢٨) محمد طلب هلال، مرجع سابق ذكره، ص ص ٣٢-٣٣.

(٣٢٩) أمين سامي الغمراوي، مرجع سابق ذكره، ص ص ٢٥٣ – ٢٧٨ .



الجمهورية العربية المتحدة هذه الثورة وأمدتها بالخبرات الفنية، وبالسلاح، وبالمال، لكن فشلت هذه الثورة، وساهم الحزب الوطني الكردستاني، والحزب الشيوعي، في قمع هذه الثورة وقاموا بعمليات في منتهى القسوة ضد مؤيديها، كما كان نظام قاسم قاسياً جداً على أعضاء هذه الثورة، وخاصة من خلال ما عرف بالمحاكمات التي كان رئيسها قريبه "فاضل عباس المهداوي"، وقد كان من أسباب هذه الثورة، إضافة للأسباب السالفة الذكر، ارتفاع نفوذ العناصر الشيوعية في عهد قاسم، وقضاءه على الأحزاب القومية العربية في العراق، وديكتاتورية النظام، ولجوء قاسم إلى سياسة ضرب الفئات السياسية ببعضها البعض؛ بحيث تصفي نفسها بنفسها، وإعدامه لبعض القادة الذين اشتركوا معه بالثورة مثل: رفعت الحاج سري، وناظم الطقجلي، وسجنه لرفيق ثورته "عبد السلام عارف"، ونشوء فجوة بين الشعب العراقي، والنظام العراقي؛ بسبب انعدام وجود رسالة عقائدية يتفق عليها الجميع، والمركزية المفرطة في إدارة الدولة، مما جعل الكثير من مناطق العراق مهملة، وذلك بالنسبة إلى مناطق أخرى، وانعدام الوعي الثقافي لدى أفراد الشعب العراقي؛ بسبب الأمية التي كانت منتشرة بشكل كبير في العراق، والتدخل العسكري في صنع القرار السياسي، كما أنه –قاسم– لم يوجد دستور دائم حدد على أساسه الشكل الحقيقي لنظامه، إضافة لمغامرات قاسم في المجال الخارجي؛ بإنهائه لمصالح الشركات الغربية النفطية في العراق، وإثارته لمشكلة الكويت عام ١٩٦٠، وإثارته لمشكلة الإمتيازات الفرنسية النفطية في العراق، حيث رفع شعار استثمارها من قبل النظام العراقي، وتقاربه الكبير مع الاتحاد السوفيتي، هذه الأشياء جعلت الغرب يثير الأكراد ضده؛ لأن الكثير من الأكراد لهم علاقات مع الغرب، وعلى هذا الأساس قام أفراد من الحزب الوطني الكردستاني بمهاجمة المناطق الكردية في الشمال، والاستيلاء عليها، وأصبح لهم قوة مؤثرة فيها(٣٣٠).

---

(٣٣٠) Michael, E,Brown,. **The Nationalization of the Iraqi Petroleum**



كما تبين من خلال التحقيقات التي أجراها مجلس قيادة ثورة البعث الأولى ١٩٦٣، أنه في الأشهر الأربعة التي سبقت الثورة، كان الشيوعيون يدأبون على تحريض عبد الكريم قاسم على ما يسمونها المؤامرة المزعومة، حتى أن جريدة "طريق الشعب" السرية كتبت في أحد مقالاتها، أن هناك تآمر في معسكري أبو غريب والرشيد، وأن آمري كتائب دبابات بين المتآمرين وأن ساعة الصفر حددت، لكن تبين فيما بعد أنه كانت هناك ثلاث كتل داخل المكتب السياسي للحزب الشيوعي، واحدة متطرفة يقودها سلام عادل منذ ١٩٥٩ تطالب بمشاركة الحزب الشيوعي بنسبة معقولة في حكم عبد الكريم قاسم، وأخرى مع التسليم التام لقاسم وتأييده من دون قيد أو شرط يمثلها بهاء الدين نوري وعامر عبد الله، واتجاه ثالث في الوسط يمثله زكي خيري، وكانت مراكز القوى تتبدل في شكل دائم فأبعد سلام عادل إلى موسكو مرة، ثم عاد وأبعد بعدما أبعد إليها نوري وعبد الله[٣٣١].

هذه الأمور جعلت بعض الأحزاب السياسية المعارضة، وخاصة القومية، تعمل لإسقاط عبد الكريم قاسم، حيث حدث تجمع للناصرين من خلال عبد السلام عارف . بعد خروجه من السجن- واجتمع مع بعض أفراد حزب الاستقلال، وتلاقى مع بعض الأكراد على أساس أن إسقاط قاسم سيكون في صالحهم، إلا أن أهم الفصائل التي كان لها الدور الأول في سقوط قاسم هو حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي كانت له عدة محاولات لاغتيال قاسم، إلا أنها كلها باءت بالفشل، وبعد ذلك استطاع حزب البعث أن يجمع جميع القوى المعارضة

Company
International Journal of Middle East Studies, 10, No. 1, February 1979,pp. 107-24.

أنظر أيضاً: قاسم جميل قاسم، **الحزب الوطني الديمقراطي في العراق**، مرجع سابق ذكره، ص ص٢٤٦ – ٢٤٧، ص ص ٢٠٥ – ٢٠٨، ص ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٣٣١) حازم جواد، صحيفة الحياة، ٢٠٠٤/٢/١١.



لقاسم، تحت قيادته، وأن يسقط بعد ذلك النظام، من خلال عدداً من الضباط العسكريين في الجيش العراقي، وخاصة من البعثيين، وقد رأى البعث أن حركته هذه هي حركة تصحيحه لمسار ثورة ١٩٥٨، وتأكيد مبادئها في تحرر العراق من الاستغلال الاقتصادي العربي، وإنهاء القيود المفروضة على حرية الشعب وحقوقه، وإعادة العراق إلى دوره القومي العربي، وتحقيق الديمقراطية، ورفع مستوى الطبقات الفقيرة، وكل ذلك ضمن وحدة الشعب، والالتزام بالمعاهدات، والمواثيق الدولية[٣٣٢].

وعلى هذا كانت الأحزاب العراقية خلال المراحل الثلاث التي ذكرت سابقاً، قد اتسمت بعدد من السمات التي جعلتها لا تستطيع الاستمرار، أو حل المشاكل العراقية؛ مما جعلها لا تعبِّر عن الواقع العراقي بجميع تمايزاته، بل ساهمت بتمايزها عن بعضها البعض في إضعاف الوحدة الوطنية، وأهم المآخذ على هذه الأحزاب هي[٣٣٣]:

١- انعدم ارتكاز زعمائها على تنظيم شعبي؛ بسبب ديكاتوريتهم.
٢- افتقارها إلى التنظيم، مما سهَّل وقوعها في عثرات كثيرة.
٣- كان الكثير من أعضائها ذوي مصالح شخصية، لا يهمهم سوى مصالحهم.
٤- عدم شعبيتها، وجماهيريتها، وتبعيتها للمؤسس، أو للقادة الذين يسيرونها.
٥- اختراقها من قبل جهات خارجية لها مصالح في العراق.
٦- ديكتاتورية النظام العراقي في المراحل السابقة، مما ساهم في عدم وجود، أو استمرار حياة حزبية عادلة.

---

(٣٣٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

(٣٣٣) نفس المرجع السابق، ص ص ٣٣ – ٣٤ .



٧- افتقادها لفهم نفسية الشعب العراقي، المتسم بتنوع الآراء، إضافة إلى جهله بما يحيط بمجتمعه.

كما تميزت هذه الأحزاب بهشاشة بنيتها وبغموض برامجها، وحتى لو أن لبعضها برامج محددة، فلم تكن تتقيد بها، فكان من الممكن حل الحزب، أو انشقاقه في الداخل؛ بسبب تعارض المصالح الضيقة للقادة، والزعماء مع البرامج التي كانوا يتبنوها، وساهم في ضعف الهيكلية التنظيمية لهذه الأحزاب، إبقاء نشاطها، وتأثيرها محدوداً، فلم تعرف ما يسمى بالهيكل التنظيمي المتدرج من القيادة إلى الكوادر إلى الوحدات الأصغر المنتشرة بين صفوف السكان، وهذا ما أدى إلى عدم وجود أنظمة داخلية تقرر حقوق الأعضاء، وواجباتهم، ونمط العلاقات القائمة بين القيادات، والقواعد في الهرم التنظيمي، وهذا ما جعلها أحزاب مرحلية، ووقتية، ومحدودة النشاط،والتأثير، وضعيفه الاتصال الواسع مع الشعب، وكان سبب عدم وجود هياكل تنظيمية؛ بسبب غياب القواعد الفكرية المشتركة التي تسير هذه الأحزاب، ومن علائم ضعف نضج هذه الأحزاب، أن الخلافات فيما بينها كانت هي السائدة، وأكثر هذه الخلافات، كان بسبب الرغبة في الوصول إلى السلطة، أو البرلمان، وتحقيق مكسب معنوي(٣٣٤).

كما لم تستطع هذه الأحزاب حل مشكلة الفوارق الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية بحيث تضيق الهوة بين الأفراد، ولم تكن لها استراتيجية واضحة، وعلمية في تحقيق أهدافها، باستثناء بعض الأحزاب القومية العربية التي رأت ضرورة تذليل، وإزالة هذه الفوارق من خلال عملية متدرجة توصل بالنهاية إلى تحقيق الوحدة العربية، وبالمقابل كانت بعض الأحزاب تتناقض مع أعراف، وتقاليد

---

(٣٣٤) محمد جعفر فاضل الحيالي، **العلاقات بين سوريا والعراق (١٩٤٥ – ١٩٥٨)**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١، ص ص ١٣٥ – ١٣٦ .



ومبادئ الشعب العراقي الذي يتسم بالتدين في معظم مناطقه، فكان وجود الأحزاب الشيوعية سواءاً ما كان منها يميل إلى الأمية، أو ما كان يميل إلى القومية الكردية، قد جعل الهوّة كبيرة بينه، وبين الشعب، فظلت هذه الأحزاب أسيرة أفكارها، رغم ما كانت تقوم به من دعايات واسعة، من قبيل أن أهدافها الرئيسية هي: القضاء على الفوارق الطبقية، وإن التمايز بين الأفراد ليس منزلاً من عند الله، بل هو ناجم عن أسباب إنسانية، وتاريخية، وأن الاتحاد السوفيتي قد انتصر بالعلم في الحرب العالمية الثانية، ووصل إلى الفضاء، وامتلك الذرة،، وطور أسلحته، وأنه يدعم الحركة القومية العربية، وهو الذي كشف عن مخططات الغرب لتقسيم الأرض العربية في سايكس بيكو١٩١٦، ورغم ذلك لم يستطع هذا الحزب أن يكون جماهيرياً، بسبب إيمانه بالمادية الجدلية التي رفضها الشعب العراقي، فعلى سبيل المثال يقول لينين:

"على الماركسي أن يكون مادياً، أي عدواً للدين، ولكن أن يكون مادياً جدلياً، أي مادياً لا ينظر إلى محاربة الدين بطريقة تجريبية، ولا على أساس الوعظ الرتيب، والبعيد، والنظري البحت، بل بطريقة واقعية، على أساس الصراع الطبقي الجاري بالممارسة العملية، والذي يثقف الجماهير أكثر، وأفضل مما يفعله أي شيء أخر"(٣٣٥).

كما يقول أيضاً: "يجب أن يرتبط بالممارسة الفعلية للحركة الطبقية التي تهدف إلى اقتلاع الجذور الاجتماعية للدين"(٣٣٦).

(335) Vladimir, Lenin, Marx, English, **Marxism**, Moscow, 1951, pp. 274 – 280.
(336) Vladimir. Lenin, **collected works**, Moscow, 1963, pp. 403 – 408.

ورغم أن هذا الحزب كان له النفوذ الأكبر خلال عهد عبد الكريم قاسم، إلا أنه لم يستطع الحفاظ على نفوذه؛ بسبب عدم شعبيته أولاً، وبسبب اضطهاد قاسم له، في مرحلة لاحقة لنفوذه، حيث عمل قاسم على إبعاد الكثير من الشيوعيين عن المراكز القيادية، وحل حزبهم، بعدما شعر أن هذا الحزب أصبح عاملاً سلبياً في وجه سلطته المطلقة.

مما سبق رأينا أن المجتمع العراقي يحتوي تمايزات عديدة، منها التمايزات العرقية، والدينية، والطائفية، والمذهبية، والعشائرية، والإقليمية، والطبقية، والحزبية، وأن كل تمايز من هذه التمايزات له خصوصياته التي تؤثر بشكل مباشر على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية في المجتمع العراقي، وبالتالي على أي سلطة سياسية تحكمه، وقد رأينا على سبيل المثال مساهمة الأحزاب السياسية، في إسقاط النظام الملكي، وفي إسقاط قاسم بعد ذلك، كما رأينا مساهمة الأكراد في إحداث تضعضع في الأنظمة السياسية المتعاقبة، ورأينا أثر وجود السلطة العشائرية في بروز الصراع الطبقي في المجتمع العراقي، ورأينا الخلافات العقائدية، ودورها في الانتقاص من شرعية النظام السياسي، فهذه التناقضات كافية لزعزعة أي نظام سياسي، والتقليل من شرعيته ما لم يستطع التعامل معها بكل حكمة وموضوعية.

وعلى هذا فقد رأينا من خلال مبحثي هذا البحث، أن حزب البعث العربي الاشتراكي، قد وجد في مجتمع يحتوي تمايزات عديدة، فكيف استطاع التعامل معها، رغم أنه حزب قومي، لا يمثل كل القوميات الموجودة في العراق، وهو حزب يرفض الإقليمية، والعشائرية، والطائفية، والمذهبية، والطبقية، والتعددية الحزبية، في مجتمع يحوي كل هذه التناقضات.



فهرس